د.البيرت عيسى

قراءة البعث للفاشية التأريخية

دراسة سياسية عن البعث العراقي

ترجمة . خالد مجيد فرج

اهداء

الى الشعب الكوردي وكل انسان مؤمن بالديمقراطية

في ربيع عام 2005 رجعت الى مدينة السليمانية حاضرة الثقافة والأدب والفنون الكوردية من جملة الأماكن التي زرتها لرؤية الأصدقاء والأحبة والذين بعد المهجر بيني وبينهم ، مبنى الأعلام المركزي للأتحاد الوطني الكوردستاني، وهنالك تعرفت على الأستاذ الصحفي شهاب القره لوسي، حيث تحدثنا عن هموم الكتابة والكورد المغتربين ومدى ارتباطهم بالوطن الأم وقضاياه المصيرية ، ولاسيما ونحن على اعتاب اعادة تشكيل الدولة العراقية والتي نطمح نحن الكورد في ان يكون وطناً للجميع وليس حكرا على قومية او طائفة معينة كما كانت في السابق ، حيث ان الحاق ولاية الموصل ذي الأكثرية الكوردية بالعراق العربي كان مشروطا بأحترام ارادة ساكنيها الكورد وذلك بأدارة شؤونهم بأنفسهم .وهذا ماتم التنصل منه جملة و تفصيلا من قبل القوميين العرب الذين تعاقبوا على حكم هذا البلد وحلت ثقافة الأقصاء والتدمير والحكم الفردي وشن الحروب العبثية محل التعايش و قبول الأخر، واشراك الجميع في الحكم واحترام الخصوصية القومية لكل مكونات الشعب العراقي. ومن جملة مادار بيننا من حديث، هو ان نعمل نحن الكتاب والمثقفون الكورد على تعرية الوجه القبيح للدكتاتورية وجرائمها ،التي فاقت في وحشيتها كل من سبقوها من النظم الشمولية والأيدولوجيات التي كانت تدعو الى العنصرية والكراهية بين الشعوب . وذلك لكي تكون الأجيال القادمة على بينة من مخاطر الفردية حيث خنق الحريات الأساسية وحكم الحزب الواحد والأيدولوجية الواحدة التي تمتلك وحدها الحقيقة وعلى الجميع التسليم بدورها الريادي في المجتمع والدولة ،حيث اقترح على ان اقوم بترجمة هذا الكتاب الذي بين ايديكم للباحث الأستاذ الدكتور البيرت عيسى، وما ان وقع عيني على غلافه حتى قبلت المهمة من دون تردد وتذكرت على الفور السؤال الذي وجه الى معاذ عبد الرحيم (قومي الهوى) ماهي مصادركم في التثقيف عندما كنتم في حزب البعث ، فيجيب بأنه كتاب كفاحي لهتلر. ومقولة موسوليني (إن اسطورتنا هي عظمة الأمة) . لو قرأنا هذا الكتاب سوف نرى مدى الجهد الذي بذله الباحث في العثور على المناهل التي استقى منها عفلق والبقية من مؤسسي البعث افكارهم ليعيدوا انتاجها في زمن وتربة ومجتمع مغاير تماما عما كانا عليه المجتمعين الأيطالي والألماني ايام ظهور الفاشية والنازية فيهما.

المترجم

لمحة

في نهاية السبعينات من القرن المنصرم عندما كنت طالباً في كلية العلوم السياسية في جامعة تورينو في ايطاليا. كانت تلقى علينا محاضرات حول القومية و الفاشية الأيطالية. في تلك الأيام كنت أتذكر الأسس الفلسفية و ممارسات البعث، بالأخص في مجال العودة الى الماضي والأفتخار اللامحدود بالقومية وعبادة القائد وتحويل القمع الى منهج ذي مؤسسات منظمة. وفي سنوات مابعد تخرجي من الجامعة لم انسى هذه الأشكالية والتي اصبحت فيما بعد موضوع اطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه بكلية ستراس بورك للعلوم السياسية في فرنسا والتي كانت بعنوان اوجه التشابه بين البعث والفاشية التأريخية.
إن هذه الدراسة بمثابة تجديد وتوسعة للأطروحة التي سبق وأن تحدثت عنها، ومحاولة لفهم ظاهرة البعث من خلال تشريح الأدبيات الفلسفية والسياسية للفاشية التأريخية. وهي محاولة جديدة لأيجاد التشابه والتوازي بينهما.وليس لدى ادنى قلق مهني واكاديمي واخلاقي بأصراري على إن الفضل في هذه الدراسة المقارنة يرجع الى الكاتب الذي ولأول مرة استطاع وبصورة منهجية ايجاد حالة التوازي بين البعث والقومية الفاشية التأريخية . وبهذه المناسبة استطيع القول بأني لم ارى و لحد اليوم اية محاولة منهجية في هذا المضمار سواء أكانت في الشرق أم في الغرب . واملي أن لا يهمل الدارسين والباحثين هذه الظاهرة المرعبة ولاسيما ان الوقت ليس متأخرا لفهمها.
سيما وأن هذا الواجب السياسي والأكاديمي والأخلاقي يقع بالأخص على كاهل السياسيين والمثقفين والباحثين الكورد ليركزوا على قراءة ظاهرة البعث والتي تعتبر من اكثر الظواهر المثيرة للرعب في تأريخ البشرية. عندما تربعت القومية الفاشية الأيطالية على دست الحكم، ومنذ السنوات الأولى من حكمها انكب الباحثون الأوروبيون والأمريكيون على دراستها و اماطة اللثام عن نواياها مستندين في تحليلاتهم على الأسس الفلسفية والسياسية التي كانت تدعم هذا النظام وعلى ضوء هذه التفسيرات قامت شعوبهم بالهجوم على انظمتهم والدفاع عن انفسهم منعا من فرض نظام شمولي عليهم.

البيرت عيسى

المقدمة

يبدو ان الدراسات والتحليلات التي اجريت لحد الأن حول ايدولوجية البعث، لم تستطع الأجابة على سؤال بسيط ولكنه وفي نفس الوقت جوهري الا وهو: ماهي مكونات ايدولوجية البعث؟ كتب المؤرخون والسياسيون وعلماء الأجتماع و الصحافيون والمختصون في مجال فلسفة السياسة الكثير عن ايدولوجية البعث ، ولكن وللأسف لم يتطرقوا في تحليلاتهم للظاهره إلا الى غلافها الخارجي دون الغوص في اعماقها، لأنهم بدل أن ينحوا بأبحاثهم منحى تؤدي الى طريقة تحليلية وبالتالي الى ايجاد الروابط بين الأصول الأيدولوجية، حاولوا وضعها في اطار تعبير سطحي عن عقيدة قومية تناضل ضد "الأمبريالية".وقاموا بعرض هذه الأيدولوجية كحركة قومية عادية تنبع من ظروف معقدة، تبحث عن هوية قومية وترفع راية الحرية والأستقلال ضد الأمبريالية . لهذا السبب اتت تحليلاتهم للبعث كأيدولوجية و كشكل للحكم بعيدا عن المنطق العلمي ، لذا يمكننا طرح سؤال مشروع وذلك عن ماهية الأسباب التي حالت دون خوض المثقفين العرب والكورد على وجه الخصوص في هذه المسألة و عدم استطاعتهم ازاحة الستار عن ظاهرة لم تعد خافية بل ومرعبة في نفس الوقت . اليس من المستغرب انه و بالرغم من مرور اكثر من ربع قرن وثلاثة حروب وجرائم ابادة شاملة مورست ضد الكورد واستمرار في قتل العراقيين، ان انتباههم لم تتجه نحو تقييم طبيعة الأسس الفلسفية التي كانت الدافع من وراء الفعل السياسي للنظام العراقي.

لكي يتم ازاحة البرقع عن وجه التصرفات السياسية لنظام معين ، من الضروري قبل كل شئ أن يكون هنالك فهم فيما يتعلق بجوهر وطبيعة الأسس التي تشارك في قيام النظام الفكري له.

كان مونتيسكو(1689-1755) اول كاتب بعد افلاطون وارستوطاليس استطاع أن يعرف الحكومة على اساس من الطبيعة والمبادئ .

يقول مونتيسكو ان القانون يتوقف على طبيعة ومبادي الحكومة .ولكي نفهم طبيعة ومبادئ هذه الحكومة . يجب أن نفهم ماهو المقصود بالقانون؟ حسب وجهة نظر مونتيسكو القانون يشتمل على تلك العلاقات المتعلقة بطبيعة الأشياء. عليه واستنادا الى هذا القول ، فأن لكل وجود قانونه الخاص: العالم المادي،الأنسان، الحيوان[1].

ان الأنسان يقوم بصورة مستمرة بتغير القوانين التي وضعها لأجل تنظيم نفسه ، يفرق مونتيسكو بين نوعين من القوانين: القانون الطبيعي والقانون الوضعي . يتكون القانون الطبيعي بفعل سلسلة من العوامل التي لها صلة بحاجات معينة مثل السلم والأمن و الطعام وتكوين المجتمعات البشرية . اما القانون الوضعي يتكون عندما يتحد الأنسان مع بني جنسه ليكون مجتمعا بشريا ، بحاجة الى سلطة ، اي حكومة . في هذه الأحوال، يحتاج افراد المجتمع الى القانون الوضعي لأجل تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، تسمى هذه العلاقة بالحق السياسي . في قراءة لمونتيسكو الى افلاطون فارسطوطاليس، يتبين حسب الفيلسوف الفرنسي مونتيسكو بأن الحكم يجب ان لا يخضع لمشيئة فرد واحد . وان اي تفكير في اعطاء الحكم

الى فرد وجعله بمثابة والد للشعب يعتبر خطأ. ويقول ايضاً بأن البعض يميلون الى القناعة التي تقول بأنه عند تشكيل اية حكومة ، فأن الطبيعة تتحتم عليهم اعطاءه اي الحكم الى فرد واحد،لأن سلطة الأب انسب لهم من سلطة الأكثرية. ولكن سلطة الأب ليست بالمناسبة ولاتؤدي الى اية نتيجة صحيحة، ففي حالة وفاة الوالد ينتقل السلطة الى الأخوان او الأبناء او ابناء العمومة وهكذا يبقى الحكم ضمن اطار العائلة وهذا الأمر لايستقيم مع المنطق الأنساني. بالعكس من ذلك فأن الحكومة الشعبية التي تستند في قوانينها الى ارادة الشعب هي التي تكون منسجمة مع الطبيعة، من هنا يبدأ مونتيسكو بتحليل الطبيعة و مبادئ الحكومة فعند التطرق الى القوانين يجب ان نعرف بأن هذه القوانين لها علاقة بالطبيعة ومبادئ الحكومة[2] .
يفرق مونتيسكو في هذا الصدد بين ثلاثة انواع من الحكومات: 1ـ الحكومة الديمقراطية2ـالحكومة الملكية 3ـ الحكومة المستبدة. الحكومة الديمقراطية هي تلك الحكومة التي تنسب فيها كل السيادة او بعضها للشعب ، اما الحكومة الملكية هي تلك الحكومة التي تدار من قبل شخص واحد وحسب قانون مكتوب و ثابت. اما في الحكومة المستبدة فيدار من قبل شخص واحد دون أن يلزم نفسه بمراعاة القوانيين، فيحكم بموجب اهواءه ورغباته الشخصية.
في الحكومة الديمقراطية يصبح الشعب حاكما ومحكوما في نفس الوقت و بعبارة اخرى يصبح ملكاً ولكن فقط في حالة حصوله على حق التصويت والتعبيرعن رغباته بموجب هذا الحق[3].
يتحتم على الشعب صاحب السيادة المطلقة ان لايفعل شيئاً يكون له مردودات سلبيه عليه بل يمنح ثقته فقط لأشخاص هم في الحقيقة اهل لهذه الثقه وأن يوكل دون خوف سلطاته الى هؤلاء الأشخاص.

السلطات المركزية في الحكومة الملكية هي التي تحدد طبيعة نوع الحكم.
الفرد هو مصدر السلطات المدنية والسياسية و جوهر السلطات المركزية هي طبقة النبلاء. و خاصية الملكية تبرز ضمن الأطار التالي، يعتبر الملك و النبلاء مكملين لبعضهما البعض بحيث لايمكن تصور احداهما دون الأخر ، لو لم يكن لدى الملك هذه الطبقة ولم تكن الأخيرة سنداً للملك لكننا ازاء حالة من الحكم الفردي[4].
وللقانون دوره الأساسي في الملكية يسن وينفذ من قبل كيان سياسي .
كان مونتيسكو على وعي بأنه بعدم امكانية ان يكون الأمير مصدرا للتشريع منعا لأن يستغل (اي الأمير)هذا الوضع في تطويع القانون وفق منافعه الشخصية . لذا يجب ان يكون هنالك كيان سياسي يتمتع بالأحترام والخبرة في مجال التشريع. فلايمكن ادارة حكومة الأمير دون اطار قانوني[5].
في الحكومة المستبدة لايوجد هناك اي دور للقانون ، لأن طبيعة هذه الحكومة توحي للحاكم بأنه كل شئ والبقية لاشئ.
ان الفروقات التي نراها بين الأشكال الثلاثة ، تتوقف على الطبيعة والمبادئ . يقول مونتيسكو ان طبيعة الحكومة تجعلها ان تكون هكذا و مبادئها هي التي تجعلها

تتصرف هكذا، ان طبيعة الحكومة عبارة عن تكوينها الخاص"ومبدئها" هو تلك الحالات العاطفية "التي تحركها[6].
ماهي مبادئ الأشكال الثلاثة؟ ان مبدأ الحكومة يتمثل في القانون والفضيلة[7] ومبدأ الملكية فيتمثل في ‘الشرف’ الذي يشمل مختلف نواحي الحياة السياسية اما مبدأ الأستبداد فيتمثل في "الخوف" .في الحكومة المستبدة يكون المواطنين متساوين في العبودية والفرد المستبد يعتبر نفسه منتصرا عندما يقوم بتحقير المواطنين وقوته تكمن في القمع الذي يمارسه في حق رعاياه.
ان الذين يحترمون انفسم هم الذين يشلكون عامل الخوف وعدم الطمأنينة للطاغية لذا يجب ان يشعروا بالخوف وذلك بكسر شوكتهم وكبح طموحاتهم.
في حالة الأمير المستبد تكون فرص النجاة والأنقلاب عليه متوفرة عندما يرخي الأمير قبضته او يضعف حينئذ فقط يتحرر المواطنون من عقدة الخوف ويقومون بالأنتفاضة ضده ليزيحوه عن كرسي الحكم.
يشير مونتيسكو الى تلك الحقيقة التي تقول(لانتمالك انفسنا عن الخوف عندما نذكر هذا النوع المرعب من الحكومات). ان طبيعة الحكومة المستبدة تتطلب ان تكون هنالك طاعة مطلقة تنفذ كل رغبات الأمير الذي لايقبل اية مناقشة او احتجاج حتى وان كان معتدلا تجاه مطالب هذا ‘الفرد’.
في الحكومة المستبدة ،ما علي الشعب الا الطاعة العمياء ويتصرف افراد المجتمع في اطار غريزة ‘الطاعة والعقوبة’.
في حكومة من هذا النوع لن يكون بأمكان الفرد ان يتصرف بما يمليه عليه شعوره الطبيعي ، ليس هنالك اى احترام للأب والمرأة والطفل واى اعتبار للشرف، المهم هو ان افراد المجتمع خاضعين للأوامر ليس الا[8] .في الأطاعة المطلقة ينبغي ان يكون كل من طالب الطاعة والمطيع جاهلين معا وفي ان واحد. ليس هنالك ادني مجال للمناقشة بغية الوصول الى هدف معين ولا للشك او مجرد التفكير،المطلوب هو مراعاة رغبات الأمير فحسب.
في الحكومة المستبدة ، تكون مهمة القانون والمؤسسات التربوية هي زرع الخوف في قلوب المواطنين لأن العلم والمنافسة يعتبران خطرين على ديمومة هذا النوع من الحكم. فعندما يعطى شئ للمواطن ينتزع منه اشياء كثيرة اخرى حيث يعمل على خلق تابع سئ من اجل صنع عبد جيد[9] .
ان مبادئ الحكومة المستبدة والعنف الذي هو عبارة عن (الخوف) تناسب الشعوب الخجولة والجاهلة والمقموعة التي لاتكون بحاجة الى قوانين كثيرة. ان الحكومة المستبدة لا تستمد قوتها من الدولة وانما من الجيش وهي بحاجة للجيش من اجل الدفاع عن الدولة الذي يعتبر وسيلة مهمة لبقاء الأمير[10] . علاوة على هذه الملاحظات المهمة ، يؤكد مونتيسكيو بأن مبادئ الحكومة المستبدة تتعرض بأستمرار الى الفساد لأن طبيعتها هي في الأساس فاسدة، وحينما تفسد مبادئها، تكون قد فسدت حتى قوانينها الصالحة وتنقلب ضد الدولة[11]
ان هذا الفساد يشمل جميع المكونات السايكولوجية والسياسية ويحول دون اخذ القانون دوره في التغيرات الأجتماعية وتصبح العلاقات بين الأفراد مجرد علاقات

فردية ويكون اعضاء المجتمع متساوين ليس امام القانون بل امام شخص واحد الا وهو الأمير الذي يتصرف حسب ما تمليها عليه اهوائه، وعليه واستنادا الى ماتم عرضه لحد الأن. نستطيع القول بأنه وحسب ميثودلوجيا(علم المنهج) مونتيسكيو حول طبيعة ومبادئ الحكومة ، اصبح بأمكاننا الأن الوصول الى فهم ايدولوجيا وتصرفات صدام حسين. والذي على اساسه نستطيع ان نحلل و نتمحص في ايدولوجية البعث فندرس العناصر المكونة لها ونفهم منطقها وتكوينها الخاص ونزيح الستار عن الأساس البنيوي والأيدولوجي الذي هو عماد البعث.

في الحقيقة لا نستطيع ان نضع ايدولوجية البعث في مرتبة الأيدولوجيات الأخرى في الشرق الأوسط وان نظام البعث هو نتاج مباشر لهذه الأيدولوجية حيث لايصح ان ينظر اليه كنظام سياسي طبيعي، ولايمكن وضع صدام حسين ضمن الأطر التقليدية (للدكتاتورية).

ماهي ايدولوجية البعث؟ وفي اي موضع يمكن وضع صدام حسين؟ في تأريخ البشرية كان هناك على الدوام وجود للدكتاتوريات ، وحكومات الأوتوقراط و حكام مطلقين، ونظم مستبدة في الشرق وبلاد مابين النهرين ومصرالقديمة وامبراطورية الرومان الخ ، كانوا يحكمون مجتمعاتهم بالضد من ارادتهم وبأسم الأله. ان الملكية المطلقة في اوروبا الحديثة فرضت سلطاتها الزمنية والمادية ، والنظم العسكرية في امريكا اللاتينية والشرق وافريقيا كانوا قد دأبوا على ممارسة السلطة السالبة، السؤال الذي يطرح نفسه هو هل يمكن وضع البعث ضمن نفس المجموعة التي نتكلم عنها ؟ كلا لأن البعث هو نتاج تلك الأيدولوجية التي هي في طبيعتها تندرج ضمن بوتقة الأشكال الحديثة للحكم الشمولي ، والتي همها الأول هو ان يجعل من الأنسان الة ومهمته اليومية هو حشره في بوتقة الأيدولوجيا الرسمية[12] .

لم يكن تحول البعث الذي كان صدام حسين يقوده ،الى حكومة شمولية مجرد صدفة او عمل لا ارادي . وكما يشير اليه (رايموند ارون) حيث لاتتحول حكومة معينة الى حكومة شمولية تحت تأثير ظروف معينة، وانما تؤسس على اساس من قصد عنصري و رغبة ايدولوجية لتحقيق تحول جذري في الظروف الراهنة[13] .

ان حكومة البعث هي في طبيعتها و مبادئها التي تستند عليها هي حكومة شمولية وهي انعكاس لمنظومة من الأفكار التي تتشابه الى حد بعيد مع الفاشية التأريخية. ان هذا التشابه يجعلنا ان نقول بأن ايدولوجية البعث هي محاولة لأعادة احياء و تجديد الفاشية التأريخية على اساس الفكر القومي العروبي و عبادة القائد.

نبدأ هذا البحث بالحديث عن حياة ميشيل عفلق الذي درس التأريخ في اوروبا بين اعوام 1918-1932 وفي سنة 1932 ليعود الى سوريا فيؤسس مع (صلاح الدين البيطار و زكي الأرسوزي) حزب البعث حيث كان لميشيل عفلق دور كبير في نشر الفكر القومي المتطرف. و بعده نحاول ان نتطرق الى تأريخ هذا الحزب وتأسيسه في العراق. سيلاحظ القارئ بأن الأيدولوجية المتطرفة بحاجة الى بيئة متطرفة ايضا لكي تنمو.

ان حزب البعث الذي وصل للسلطة مرتين تحول الى حزب جماهيري بمعناه الشمولى وبالأخص بعد عام 1979 ، عندما انتهي الى اداة طيعة في يد صدام

حسين ويرجع السبب في هذا التحول الى علاقات القرابة و المؤسسات القمعية المخيفة التي ساعدت صدام في احتكاره للسلطة . بعد تحليل سياسي و تأريخي نحاول ان نعرف حجم ايدولوجية البعث و ذلك بدراسة الثالثوث المقدس[14] مثلما كان المثقفين العراقيين في السبعينات من القرن الماضي يشيرون اليه بقصد تقديس شعارالبعث، (الوحدة والحرية والأشتراكية). يظهر بأن من اهم مرتكزات هذا الثالوث هي الوحدة ، لأنها تعكس الفكرالقومي العربي، حيث يعبر البعث عن طموحه في تحقيق الوحدة العربية وتحت حكمه فقط ، وتجعل ايدولوجية البعث من القومية العربية عامل توحد للأمة العربية . وبهذه العملية اي (الأتحاد) يريد ان يجمع ويصهر كل المجموعات الأثنية والدينية الأخرى في بوتقة الحس القومي الذي يعتبر المحرك لقوة النضال من اجل الوحدة . وبعد الأنتهاء من مهمة الوحدة يذهب البعث بأتجاه تحقيق الحرية ، ان الحرية القومية شرط اساسي لحرية الفرد وحرية الكل تأتي قبل حرية الجزء، فلأن واجب الأمة العربية قبل كل شئ هو النضال ضد الأستعمار والأمبريالية اللتان تنكران وحدة العرب التي تقع عليهما المسؤولية التأريخية في تجزئة الوطن العربي . لذلك يناضل العرب من اجل حرية كل الشعوب والأديان و الطبقات الأجتماعية الذين يعيشون في الوطن العربي فالأجزاء لاتستطيع بل لايمكنهم الأبتعاد عن النضال لأجل الحرية . وان هذه الأجزاء عبارة عن نظم بدائية و بجمعها يتشكل كيان نظامي يناضل من اجل الخلاص من القمع الأمبريالي. ان من مكملات الوحدة والحرية هي الأشتراكية والتي وقبل كل شئ تتكون من قوة روحية بمعنى انها عندما تتحد مع القومية ، ستولد طاقة عظمى في التضامن الأجماعي . ان الأشتراكية عبارة عن اداة تغذي الشعور القومي وانها عامل اساسي لبعث القومية العربية . ان الأشتراكية العربية لا هي ماركسية ولا هي اصلاحية ، بل هي قومية و ثورية .

ان الأشتراكية العربية تدحض الرأسمالية لانها تمثل الأمبريالية و انها لاتقبل بالأشتراكية الغربية لأنها تخدم الليبرالية والحرية الشخصية وفي الوقت نفسه لا تقبل بالشيوعية ايضا لأنها تخدم الأممية التي تنكر المجتمع القومي وتجزئه.

ولا يخفى على القارئ ان مطالب البعث لتحقيق الوحدة القومية تتستند على فكرة العودة الى الماضي وتهجين القومية مع الأشتراكية ويذكرنا هذا بالنموذج النازي .

ومن المعروف بأن ميشيل عفلق و زكي الأرسوزي و صلاح الدين البيطار كانوا واقعين تحت التأثير الكبير للقومية الألمانية وفكر الفيلسوف فيخته ، ومن الجلي بأن العفلق و البيطار كانوا ابان عهد الفاشية يقرأون بشغف لنيتشة و يعترفون بأن نيتشة بين اعوام 1929-1934 كان يمثل الوحدة الروحية بين الألمان والعرب[15].

وتطرقنا لهذا ليس نابعا من اننا نريد ايجاد حالة التوازي بين البعث و القومية الأشتراكية، بل ان اسلوب ايدولوجية البعث حول اشكالية الدولة و دور القائد كصمام امان للوحدة القومية هو الذي يشبه تماما اسلوب الأشتراكية القومية ، وان تأثير الفاشية الأيطالية عليهم يظهر عندما يؤمن البعث بأن الوحدة الداخلية (اي بين الأعضاء) تتحقق عن طريق الدولة الشمولية ومثل النازية و الفاشية الأيطالية يؤمن البعث بأن هذه الدولة يجب ان تقاد عن طريق حزب واحد وان رئيسها يجب يجسد

الطموح القومي ، وان البعث يبني فلسفة تصرفاته السياسة على اساس النضال والطاقة والأنقضاض و البطولة في كيان يمهد الطريق امام القسوة و العنف.
فمن خلال هذه الفلسفة و النظرة الشمولية تتكون حكومة البعث و التي هي و دون ادنى شك ليست فقط صورة من صور الشمولية [16] بل انها حكومة بربرية او دولة ضد المجتمع[17] .
ومن ناحية النظرية السياسية والفلسفية فأن ايدولوجية البعث توازي و بصورة كبيرة الأشتراكية القومية و الفاشية الأيطالية . وعلى مستوى الأفعال لاتقل عنهما وحشية وتطرفا ، هذا بدون ان نقلل من بربرية الأشتراكية القومية اذ لا نستطيع ان ننظر بصورة مختلفة الى همجية البعث. صحيح ان النازية ابادت اكثر من ستة ملايين يهودي فقط لأنهم يهود. ولكن قبل الحرب العالمية الثانية لم ينفذ سياسة التطهير العرقي بهذه الكثافة كالذي جرى اثناء هذا الحرب .
نرجو من القارئ الكريم ان لايفهم بأننا لانريد القول بأن وحشية النازية و تعامله العنصري ضد اليهود ليس لها مثيل في تأريخ البشرية ، ولكن وحشية البعث العراقي ، في تعامله العنصري ضد الشعب الكوردي ليس لها مثيل ايضا على الأقل في التأريخ الحديث والمعاصر للبشرية. اباد هذا الحزب 182 الف كوردي و غيب الألوف و استعمل السلاح الكيمياوي لكي ينهي حياة الألاف من المواطنين الكورد خلال ثواني معدودة ، وقام بجلب العرب ليحلوا محل الأكراد في مناطق مختلفة من كوردستان. وتهجير الألاف من العوائل الكوردية الى جنوب العراق وبنى المئات من المجمعات القسرية من اجل محو وقتل التكوين النفسي الكوردي وازال الألاف من القرى والقصبات الكوردستانية من على الخارطة الجغرافية. مثلما فعلت النازية بموجب تصميم ايدولوجي بأبادة اليهود، فقط لأنهم كانوا يهودا. فقد استعان البعث بالتصميم ذاته في قتل الكورد لأنهم اكراد، إن الة العنف تتحول الى شئ مخيف عندما تستند الى اساس ايدولوجي و فلسفي وعندما يصبح هذا الأساس في بادئ الأمر سندا لهذه الألة، فعندما تتحد النظرية مع التطبيق، الفلسفة مع العمل، الأيدولوجيا مع التصرف. لانملك الا ان نقول بأن الأشتراكية القومية و البعث هما ظاهرتان فريدتان في تأريخ البشرية.
انه لمن العجب بالرغم من ولادة هاتان الظاهرتان في منطقتين وبيئتين متباينتين جغرافيا وثقافيا و سياسيا وعصرين مختلفين ايضا، الا انهما تشتركان في الكثير من العناصر الفلسفية و الأيدولوجية المكونة لهما لذا تتبعان نفس الأساليب السياسة و تصرفان بنفس الطريقة.اسست المانيا النازية سنة 1933 على انقاض المانيا الفايمر الديمقراطي ، هذا البلد الذي استقر فيه الجمهورية الأشتراكية الديمقراطية، لم يكن بعيدا عن التجربة الديمقراطية سنة 1919 حيث كانت قد نمت فيه الرأسمالية منذ زمن بعيد ، و الذي تمكن فيه هتلر و بالأستفادة من الية الأنتخابات من الوصول الى سدة الحكم.
فماذا نقول عن عراق البعث؟ الذي بني فوق المؤسسات القمعية، مستندا على التأريخ السياسي المتطرف، وعلى هدى افكار سامي شوكت و ساطع الحصري و الملك العربي الذي لم يكن عراقيا ،على القومية العربية المستسقية من معين العقلية

القبلية و القروية و بالأضافة الى كل ذلك خصال وتصرفات صدام حسين. نستطيع القول بأن المانيا الهتلرية تجسد في العراق المعاصر في مجتمع يختلف كثيرا على الصعيد النفسي و المجتمعي ، في مجتمع يتحول فيه مفهوم الشعب الى كيان يدافع عنه فرد واحد تجاه الجميع. من هو صدام حسين؟ الأجابة هي كالأتي: هو الشخص الذي نقل تهديد ميشيل عفلق النظري الى برنامج عمل في ارض الواقع هو الأبن البار للفلسفة البعثية الذي عاد بالعراق الى مرحلة ما قبل السياسة . ففي اية ثقافة و مجتمع ولد وعمل؟ ولد في تلك البيئة التي سماها ابن خلدون (بالبادية) تميزا عن(الحضارة) التي كانت في المدينة وجعل بأن تكون مركزا لها. ولكن المدنية كناتج للتضامن المؤسسي (ئيميل دوركايم) لاينسجم مع التضامن البدوي مع 'العصبية البدوية'[18] والذي وحده له الحق في ان يمنح السلطة وان يضمن الوحدة الأجتماعية، بهذه الصورة تكون المدينة راضخة لسلطة 'العصبية'.

ان البعث لم يكن له بأي شكل من الأشكال جذور في المدينة و لايزال، كان دخول البعثيين الى المجتمع المدني على شكل 'عصابة' وهكذا ظلوا[19]. وان كوادر البعث الذين شاركوا في التعذيب و قتل الناس وممارسة العنف عام 1963 كانوا اعضاء في الجهاز السري و المخابراتي للحزب . انهم اتوا من ثقافة تتباهي بالقتل و النهب و تسمى السارق ب(دواس الليل) وتطلق على القاتل الرجل[20] .

تلك الثقافة التي تثمن عاليا قيم العنف و ينظر الى الجهل و النفاق و الحسد و القتل و النهب والسرقة نظرة ايجابية[21] ،ان لم يكن كذلك فكيف تبرر التصرف التالي من بين الكثير من التصرفات المماثلة : رجل يطلق سراحه من السجن ومن ثم يربط يديه ورجليه وجسمه و يوضع في تابوت و يقطع الى نصفين بواسطة منشار،او خنق كلب باليدين حتى الموت[22] .

من اية بيئة اتى الرئيس العراقي؟ الم يكن ضمن اطار تلك العصبية التي تكلم عنها ابن خلدون؟ الم يجمع حوله كل العصبيات المحيطة به؟

كان صدام الثمرة النقية لأيدولوجية البعث. فهو الشخص الذي اتخذ من البعث وسيلة لتحقيق مأربه الشخصية ومنافع عائلته الكبيرة فأحدث انسجاما بين هيكل القبيلة وقوانينها وبين الدولة في الوقت الذي كان يحاول كسب عواطف الأخرين كان يعامل الرعية على النحو التالي:

الرئيس: ميخائيل من اين انت ؟

المواطن: من الكاظمية

الرئيس: لربما زار ابي (الكاظمية) و هنالك تعرف على امك لعل هذا مايفسر سر التشابه بيننا.

كما يقول مونتيسكيو في تحليله لطبيعة و مبادئ الحكومة المستبدة، فأن الرجل هو ذلك المخلوق الذي يقدم واجب الطاعة الى مخلوق اخر يريد ان يطاع، لصدام الذي كان يريد هذه الطاعة. لم تكن هنالك اية حدود اخلاقية ام مادية لرغبات الرئيس لأنه كان يجسد الفكر القومي للأمة العربية ، والتي سادت لمدة قارب ربع قرن. نستطيع القول و بالأستناد الى مقولة مونتيسكيو ان صدام حسين ، حامل فكر الأمة العربية جعل من الشعب العراقي عبدا جيدا.

الهوامش

1-Montesquieu, de I’ esprit des Lois, GF-FIammarion,Paris,1979,p.123.
2-Ibid., p.125-129
3- Ibid.,p.123
4- Ibid., p.139
5- Ibid., pp. 140-141
6- Ibid., p 143
7- كان قصد مونتيسكيو من الفضيلة ليس الفضيلة الأخلاقية و الدينية ، وانما الفضيلة السياسية .فمن وجهة نظر مونتيسكيو ليس الفضيلة الماكيافيلية ، ان الفضيلة السياسية تعني المساواة في الوطن، والأنسان السياسي السوي هو ذلك الأنسان الذي يمتلك فضيلة سياسية بمعنى انه يكن الحب لقانون بلده . ويجعل من تصرفاته و افعاله منسجمة مع هذا القانون. انظر نفس المصدر ص 111.
8- Ibid., pp.150-153
9- Ibid. ,p.159
10- Ibid.,p.186
11- Ibid., pp.250-251
12-انظر:
Hanna Arendt, La nature du totalitarisme,Payot,Paris,1990
13- Raymond Aron, Democratie et totalitarisme,Editions Gallimard, 1965, p.287.
14- انظر:
Albert Issa, I Kurdi et regimi che governano il Kurdistan,in,Politica.ed economia, xx11,n.12 ?1991,p.25 .
15-Olivier Carre, Le nationalisme arabe, Fayard, 1989,240.
16- انظر:
Hannah Arendt, Le systeme totalitaire,Paris,Le Seuil,1972
17- انظركتاب ميشيل سورا
Michel Seurat, L’ Etat de barbarie, Paris, 1989
18- حقا يمكن ان يعتبر ابن خلدون كمرجع اساسي لفهم البيئة الثقافية لصدام حسين وذلك من خلال فهم العصبية.
19- انظر: ابن خلدون دار احياء التراث العربي ،بيروت
انظر تحليل ميشيل سورا:
Mechel seura, op .cit., pp.23-27
20- انظر:جعفر الحسني، على حافة الهاوية، العراق 1968-2002 ، دار الحكمة، لندن 2003 ص 110.

21- حول هذه الثقافة انظر: على الوردى، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق، الطبعة الثانية، الجزءالثاني، ص5
22- حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، 1990،ص48.
23- انظرنداء المستقبل 1999/9/28

الفصل الأول

ميشيل عفلق و البعث العفلقي في العراق

من اجل ان نفهم جيدا ديناميكية البعث، يجب ان نلقي نظرة على حياة مؤسس حزب البعث العربي الأشتراكي ونحلل مراحل تكوين هذا الحزب من منظور سياسي و ثقافي.

العفلق وحزب البعث

المصادر التي تحدثت عن حياة ميشيل عفلق لم تتفق على تأريخ ولادته. فبعضها تقول بانه ولد عام 1910 والبعض الآخر يرجع تأريخ ميلاده الى عام 1912[1]. و في هذا الصدد يقول احد الكتاب ، في الحقيقة ولد ميشيل عفلق سنة 1912، ولكنه ولأجل المشاركة في الأمتحانات الوزارية اضاف سنتين الى عمره وجعل نفسه من مواليد 1910[2]. من المعروف ان ميشيل عفلق ولد في دمشق من عائلة مسيحية تتبع الكنيسة الأرثوذوكسية اليونانية كان والده يمتهن التجاره ولكنه لم يستطع سوى ان يؤمن مستوى بسيط من المعيشة لأسرته. ومن الناحية الوطنية كان والده من الوطنيين المتحمسين ومنذ الأيام الأولى لتأسيس الكتلة الوطنية في عام 1928 كان عضوا فيها[3]. وقد اودع السجن مرات عدة وعذب من قبل الأتراك والفرنسيين. ونستطيع القول بأن امه كانت ايضا مهتمة بالسياسة وتؤمن بالقومية العربية[4]. لربما وقع مشيل عفلق و منذ نعومة اظفارة تحت تأثير افكار ابويه و تعود على الفكر القومي حتى قبل ان يصبح شخصية سياسية مهمة[5] . عندما كان طالبا في الأعدادية الدينية في محلة باب توما في دمشق، بالرغم من انه كان يعيش في بيئة دينية الا انه لم يكن شخصا ملتزما بتعاليم الكنيسة ، وكان لايتقبل الأفكارالأرثوذوكسية لزملائه الطلبة واساتذته وغالبا ماكان يتشاجر بسببها معهم. لهذه الأسباب لم يكن له اصدقاء كثر ولم يكن من الطلاب المتميزين ايضا. في لقاء له مع الكاتب العراقي حنا بطاطو في 1958/7/13 يقول " كنت اختلف عن بقية المسيحين وكنت في خلاف مع زملائي الطلبة و اساتذتي. وفي السنوات اللاحقة عندما اصطدمت مع ادارة المدرسة (...)، نقلت الى الأعدادية الحكومية[6]. وفي مقابلة اخرى مع الصحافي باتريك سيل في 1961/1/3 يقول: قبل ذهابي الى باريس كنت' قوميا بسيطا'و قد اكتشفت الأشتراكية في فرنسا[7] . و جدير بالذكر ان مشيل عفلق في الكثير من لقاءاته مع الصحافيين و رجالات السياسة ، اراد ان يبين تلك الحقيقة التي تقول بالرغم من انه كان ينتمي الى بيئة دينية ، لكنه لم يكن ينسجم مع افكارعصره الدينية حيث كان شعوره القومي قويا جدا وكان يعرف بأنه سيأتي اليوم الذي ينسجم فيه شعوره هذا مع الأشتراكية. عندما انهى دراسته الأعدادية حصل على زمالة للدراسة في اوروبا وذهب الى السوربون ليدرس هناك علم التأريخ. بالرغم من ان ليس هنالك اتفاق بين الكتاب على تأريخ سفره الى فرنسا، ولكن معظمهم يميليون الى ان سنوات دراسته كانت بين اعوام 1928 و1932 [8] .

بقى عفلق اربع سنوات في باريس وتعرف على الكثيرين من الطلاب العرب وأنشأ علاقات متينة معهم. منهم صلاح الدين البيطار الذي كان مسلما سنيا، و كان يدرس الفيزياء و الرياضيات، حيث اسسوا فيما بعد معا حزب البعث العربي الأشتراكي، في تلك الأثناء اي عند اقامتهم في باريس(كانوا يقرأون معا لماركس و نيتشة و اندريه جيد و دستويفسكي و تولستوي و رولاند رومانو بيركسن و انتنول فرانس) واسسوا ايضا اتحاد الطلاب العرب و عن طريق هذا التنظيم تمكنوا من انشاء العلاقات مع الطلاب العرب [9] والعمل اجل توعية هؤلاء الطلبة. بعد رجوعهم الى سوريا عام1933 ، اصبحا مدرسين في الأعدادية الحكومية : عفلق لمادة التأريخ والبيطار لمادة الفيزياء. في هذه الأعوام ، كانت سورية تواجه ضروفا سياسية واجتماعية صعبة للغاية . منذ عام 1925 بدأت في سورية حركة ضد الأحتلال الفرنسي وقاموا بعدة انتفاضات على مدى عامين ولكنهم لم يفلحوا في طرد الأستعمار من سوريا. وبالرغم من انهم في سنة 1928 قاموا بأنتخاب الجمعية التأسيسية ولكن' الكتلة الوطنية ' كانت تأخذ بزمام الحكم و تم سن دستور لسورية ، لكن المشاكل التي كانت بين الفرنسيين و السوريين الوطنيين حالت دون استتباب الأمن وبالتالى خلق وضع مستقر ، ان تطبيق هذا الدستور قد تأجل لمدة سنتين. من الجدير بالذكر بأنه بين اعوام 1933و 1936 واجهت سوريا اوضاعا دراماتيكية و معقدة للغاية . في خلال هذه السنوات حاول الفرنسيون و السوريون ايجاد حالة من التفاهم فيما بينهما ولكن كل المحاولات ذهبت ادراج الرياح. في العام 1936 عمت سوريا موجة من الأعتصامات و المظاهرات والتي دامت ايام دون توقف ، والتي علاوة على انها لم تجلب الأنتصار لهم، بل وقد تسبب في ازمة اقتصادية وسياسية ادت بسوريا الى منعطف جديد ساعد في انماء وتقوية الشعور القومي . ان الضغط السياسي و الأضرابات التي دامت خمسين يوما، دفع بالفرنسيين الى القبول بأستقبال وفد وطني في باريس والتفاوض معه .ولكن هذه المفاوضات لم تؤدي الى استقلال سوريا ، وبدات جولة جديدة من الصراع بينهما. وفي نفس السنة كانت تركيا تطالب بضم لواء الأسكندرونة ، وفي النتيجة الحق هذا اللواء بتركيا والذي اضافة الى العرب كان يعيش فيه الترك فون(الناطقين بالتركمانية) .

ففي تلك المرحلة المعقدة كانت هنالك احزابا و تنظيمات سياسية تنشط على الساحة السورية، فممن كانت تتكون تلك الحركات.؟

الأول هي الكتلة الوطنية. فالكتلة الوطنية لم تكن حزبا بالمعنى الحرفي وانما تجمعا من الأقطاع و البورجوازية الصغيرة و رؤساء العشائر ، ولم تكن لها عقيدة سياسية معينة . ومنذ تأسيسه عام1928، تمكنت من استقطاب جماهير غفيرة ومن ان تشحذ الهمم وان تقود الأضرابات و الأعتصامات. في العام 1933 انشق عدد من الأعضاء عن هذه الكتلة و بمساعدة بعض الدول العربية ليؤسسوا عصبة العمل القومي ولتي كانت تعادي الشيوعية بقوة و تطالب بوحدة البلاد العربية . ان هذه الجمعية لم تدم طويلا فقد انفرط عقدها في عام1940 . وبدون شك فأن الكتلة الوطنية لم تستطع في مواجهة المشاكل السياسية في سوريا ان تحافظ على وحدتها علاوة على الأنشقاق الذي حدث فيها اذ اسسوا عصبة العمل القومي ، تبعثر الكثير

من اعضاءها الأخرين و فأسسوا احزابا و تنظيمات اخرى "كالحزب الوطني" والذي خرج من كنفه "الحزب التعاوني الأشتراكي" و"حزب الشعب" الذي تأسس عام1948 . والثاني "الحزب الشعبي العربي" الذي اسسه انطوان سعادة عام 1933 والذي كان مسيحيا لبنانيا . وكان شعاره : "سورية للسورين و انهم امة متكاملة". هذا الحزب كان ينادي بسورية الكبرى (اي غرب الهلال الخصيب) . و كان يعمل بصورة سرية وغالبية اعضائه كانوا من الشباب والذين لعبوا دورا كبيرا في حركة رشيد علي الكيلاني في العراق. ونستطيع القول بأن هذا الحزب والذي كان واقع تحت تأثير الفاشية اهتم كثيرا بالتدريب العسكري[10] . وقد شارك البعض من اعضائه في تأسيس حركة "القوميين العرب" وكانت اهدافهم تتلخص في هذه الثلاثية "الوحدة، والحرية ، والأنتقام" وكانوا ايضا تحت تأثير افكار ساطع الحصري[11] .والثالث كان حزب الشباب. إلا ان هذا الحزب والى سنة 1950 لم يستطع ان يكون له قاعدة جماهيرية في عموم سوريا و بقي كحزب محلي اذ غير اسمه فيما بعد الى" العربي الأشتراكي" حيث استطاع بعد هذا التغيير والى حد ما ان يستقطب الفلاحين وان يدفعهم ليثوروا ضد الأقطاعيين. بالأضافة الى هذه الأحزاب القومية و الوطنية. وكانت هنالك بعض الأحزاب الأخرى مثل الحزب الشيوعي الماركسي اللينيني والذي تأسس سنة 1924 وبدأت نشاطاته السياسية عام 1930 وكذلك الأخوان المسلمين بدأوا نشاطاتهم عام 1930 كانوا يتمتعون بتنظيم قوى. والجدير بالذكر ، انه لم يكن في هذه الأثناء اي وجود للبعث ولم يكن لميشيل عفلق و صلاح الدين البيطار والى سنة 1939 اي دور على المسرح السياسي ولم يكونا معروفين. ولكنهما ومنذ عام 1939 اسسا معا تنظيما كان بأسم حركة الأحياء العربي[12] .ان تنظيم عفلق والبيطار كان يتألف فقط من عدة اشخاص فأصدروا في عام 1941 عدة بيانات تهاجم فيه الكولونيالية الفرنسية والكتلة الوطنية و رئيسها شكري القوتلي. وكانا يريدان بهذا ان يفصحا عن موقفهما تجاه ضم تركيا للأسكندرونة وان ينتقدا الكتلة الوطنية على عجزها ازاء قضايا الشعب العربي . وكان انقلاب رشيد عالي الكيلاني قد وفر فرصة وارضية خصبة لعفلق وتنظيمه كي يعرفوا أنفسهم بالجماهير بصفتهم مدافعين بكل قوة و نشاط عن قضايا الأمة العربية[13]. واثناء انقلاب رشيد عالي الكيلاني قاموا بتوزيع منشورات مؤيدة للحركة و ارسلوا متطوعين الى بغداد لكي يقاتلوا الى جانب مفتي بيت لحم الأكبر.ولأجل هذا اسس عفلق و تنظيمه لجنة بأسم "حركة نصرة العراق" وبدأوا بأرسال السلاح والعتاد الى بغداد . بهذا التصرف اصبح واضحا مدى العلاقة الحميمة التي تربطهم مع عرب العراق وكان للعفلق دور كبير في هذا وبالأخص عندما تبين بأن الكثير من يهود العراق قتلوا وغيبوا بأشراف من عفلق[14].

في تلك الأونة كانت السلطات الفرنسية في سوريا قد بدأت المباحثات مع حكومة فيشى والتي كانت تابعة للنازيين و اتفقوا على ان يسمح للطائرات الألمانية ان يستخدموا المجال الجوي السوري كي يصلوا الى ساحة العمليات العسكرية في بغداد[15]. ولكن بعد اندحار حركة رشيد عالي الكيلاني و احتلال سورية من قبل الأنكليز والفرنسيين وقيام الجمهورية السورية بقيادة "الشيخ تاج الدين الحسيني" في

حزيران 1941 ، قلت نشاطات عفلق و حركة نصرة العراق . و في السنة ذاتها بدا عفلق والبيطار بطرح فكرة الوحدة القومية العربية بصورة منهجية والحديث عن ضرورة قيام الثورة خارج سورية وعقد الندوات لطلاب الجامعات. ويجب ان لا ننسى ايضا بأن الأحداث في العراق ساهمت في تقوية وتوسيع دور عفلق و مريديه كمعارضين في الساحة القومية العربية . بدون شك عندما رجع عفلق و البيطار الى سورية اصبحا معروفين اكثر من قبل السوريين و ظهر عفلق كبطل قومي عربي واجب السمع والأحترام والطاعة من قبل اتباعه.

مثلما كان يقول بأن "الأنتصار في العراق" فتح له بابا خصبا لزرع بذور الكراهية ضد العدو و نشر قيم وحدة العرب. وبمناسبة الأنقلاب العسكري في العراق ، كان يقول العفلق" بأن الأنتصار في العراق كان فرصة مكنتنا من ان ننقل العقيدة الأساسية للحزب الى طلابنا"[16]. لايمكن انكار نشاط العفلق في العمل السياسي وامكاناته الثقافية التي ادت الى سهولة كسب مستمعيه الى الحزب . ولايمكن انكار ذلك ايضا بأنه كان يتمتع بصلابة و جدية حتى مع نفسه وسيكولوجية معقدة، و بالأضافة الى ذلك وهب جل حياته الى القضية العربية و كان يعيش بعيدا عن الترف ولم يفكر في ان يصبح غنيا[17]. بزهده في العيش و مواقفه المنهجية تجاه قضية العرب استطاع ان يعمل على بعث همم الناس واستطاع ان يكسبهم وان يجعل منهم ان يهبوا جل وقتهم وطاقتهم السيكولوجية من اجل مستقبل العرب. علاوة على ذلك، انه رجع الى سورية بعد دراسته للتأريخ في سوربون و لمدة اربع سنوات، بخلفية علمية موثوقة بها، ولهذا السبب استطاع ان يؤثر على تلامذته و سامعيه.عندما كان مدرسا في دمشق لمدة عشر سنوات تفرغ لنشر مبادئ القومية العربية على اساس لغوي وتأريخي. مابين السنوات 1935 و 1942 استطاع ان يجمع من حوله عددا كبيرا من من الطلاب كي يعلمهم رسالة القومية العربية. لربما في هذا الوقت بالذات كان مهما جدا تكوين الخلايا وكسب الأنصار لحزب البعث وفي العام 1943 ظهر هذا الحزب للعلن ليمارس نشاطه بصور علنية . في نفس العام شارك العفلق و حزبه ولأول مرة في العملية الأنتخابية التي جرت حينذاك في سورية، و نشروا بيانا اشاروا فيه الى النقاط التالية:

1. الأهتمام بالفكر القومي الحي الذي يمثله الروح العربية
2. الأهتمام بالشخصيات التأريخية العربية و روح الأمة العربية والمحافظة عليهم من استلابهم من قبل الثقافة والفلسفة الغربية.
3. ان لاتكون الثقافة مجردة بل سبيلا لتقوية الأخلاق وتنمية روح النضال.
4. رفض الطائفية و القطرية و المنطلقات الضيقة.
5. رفض الشيوعية التي تمثل المادية والتطور المصطنع.
6. العمل على الربط بين القومية و الدين ، اى بين العروبة والأسلام.
7. اعطاء الأهمية للحرية لأن جوهر العروبة والأمة الحرة هو الأنسان الحر.
8. اعطاء الأهمية للوحدة بين الدول العربية على اساس الفكرة التالية:

" امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"[18].

ان نتائج الأنتخابات لم تعط عفلق و تنظيمه اية فرصة للمشاركة في السلطة ولكن الكتلة الوطنية حصلت على نتائج طيبة . ومن الجدير بالذكر ان في الأنتخابات الثلاث للسنوات 1943 و1947و1949 و لم ينتخب ايا من العفلق و البيطار الى البرلمان السوري هذا وقد زج بالكثيرين من كوادر البعث سنة 1945 في السجن، بدأ ميشيل عفلق و البعض من اعضاء حزبه الكفاح المسلح والعمل السري ، وشكلوا "فرق الجهاد الوطني" لهذا الغرض.

استمر هذا الصراع لغاية عام 1947 والذي تقدم فيه البعث و بصورة رسمية بطلب الى وزارة الداخلية للحصول على الأجازة تمكنهم من العمل بشكل علني على الساحة السياسية السورية.

من الجدير بالذكر انه ولغاية الثاني من حزيران 1947 لم يكن عفلق والبيطارهما المؤسسين الوحيدين للبعث ، وبالرغم من ان اساسه النظري والأيدولوجي كان قد وضع منذ فترة طويلة. الا إنه دون شك كان هنالك اخرين ممن شاركوا في وضع اللبنة الأولى للحزب.

من هم اولئك الذين شاركوا عفلق والبيطار في تأسيس البعث متى سمى البعث بالأسم الذي يعرف به اليوم اي حزب البعث العربي الأشتراكي؟

ان المصادر التي تتحدث عن اسم البعث و سنة تاسيسه بالتحديد لم تتفق على اشياء كثيرة .بعضها تقول بأن مؤسس البعث هو زكي الأرسوزي. وفي هذا الصدد يقول سامي الجندي احد مؤسسي البعث: ان في 29 تشرين الثاني سنة 1940 كان عدد البعثيين ستة اشخاص واقترح زكي الأرسوزي ان يشكل حزب بأسم "البعث العربي" واقترح ايضا ان يقسم التنظيم الى قسمين: القسم السياسي والقسم الثقافي [19]. يقول كاتب اخر ان زكي الأرسوزي و جماعته اسسوا البعث العربي في سنة 1939 في منطقة الأسكندرونة. ايا كان، نستطيع القول بأن الأرسوزي كان "صاحب مبادرة روح البعث[20].

من هو زكي الأرسوزي؟ الأرسوزي(1895-1968) كان مسلما علويا من عائلة ميسورة تسكن الريف حيث ولد. العلويون[21] هم فرع من المذهب الشيعي و يعيشيون في غرب وشمال سورية وشرق تركيا. في سورية يعيشون في منطقة تسمى بأسمهم "جبل العلويين"، ولكن في المدن التي تقع حول هذا الجبل كاللاذقية وجبلة وبانياس و طرطوس لايشكلون الأغلبية و يعيش قليل منهم في حلب و دمشق في سنة 1964 وصل عددهم الى ستمائة الف نسمة والأن يشكلون نسبة 11% من سكان سورية. توجد ايضا اقلية اخرى منهم في شمال لبنان المتاخمة لجنوب سورية ويتواجدون كذلك في تركيا حيث كان عددهم سنة 1921 ثمنمائة الف نسمة و اليوم يصل عددهم حوالى من خمسة عشر الى عشرون مليونا ويعيشون بصورة رئيسية في انطاكيا و اسكندرونة.

استقر المذهب العلوي في العراق بين القرنين الثالث و التاسع و ينسبون اسمهم الى(محمد ابن انصير النميري) الذي اعتبر نفسه شخصية لها طابع الأمام و الرسول في الوقت نفسه. وبموجب التقاليد العلوية، فأن ابن النصير كان التلميذ النشط للأمام الحادي عشر "الحسن العسكري" حيث كان يأخذ منه الألهام والوحي.

بصورة عامة ، فأن العقيدة العلوية تقدس على بن ابي طالب و يعتبره "الأله الأعظم القديم الأزل". ومحتوى العقيدة العلوية يتكون من كوزموكونية* من نوع كنوستيك. ان معتنقي هذه العقيدة يأمنون بأن منذ بدء الزمن والكون ، كون حزمة من النور الروح العلوي وأن هذه الأنوار هي من تلك الأنوار التي تلتف حول الباري عزوجل لذا فمن واجبها السجود لها ووصفها بأجمل العبارات.
بعدة فترة ، لم تستطع هذه الأنوار ان تؤمن ايمانا كاملا بقدسية الله فوقفت ضده. لذا سقطت من السماء و لجأت الى الأرض و دخلت في جسم البشر اى واجهت (التناسخ) (تلك العقيدة تؤمن بدخول الروح ولمرات عدة الى جسم البشر او الحيوانات). واثناء سقوطها يظهر لها الأله العظيم والذي يسمى "معنى" سبع مرات كي يأمرها بوجوب اطاعته. في كل مرة يكون له مضمونين اي يتكون من شيئين لهما اسمان الأول "الأسم" ويدعى ايضا با"لحجاب" والثاني "الباب". ان هذه الركائز الثلاثة اي "المعنى" اظهر نفسه عدة مرات على الأرض ، وبعد ذلك دخل روح المرسلين واخرهم الأمام على بن ابي طالب وبعده دخل الى روح الائمة الى ان وصل الى الحادى عشر و الذي هو الحسن العسكري .هكذا فأن المعنى الألهي قد دخل اجساد هؤلاء الأئمة.

---

*كوزموكوني نظرية تتكلم بصورعامة عن الكون، اما كنوستكس يأتي من كنوز يتكون من تلك الفلسفة القائلة بأمكانية الأنسان الوصول الى الخواص الألهية وان يفهم ظواهره.

بدون شك فإن الركائز الثلاث المحورية او الرئيسة في عصر الأسلام عند العلويين تتكون من على بن ابي طالب الذي هو بمثابة "المعنى" و الرسول الذي هو بمثابة "الأسم"،"الحجاب" و سلمان الفارسي الذي هو بمثابة "الباب" . فأن ابواب الائمة الأحدى عشر تشكل علاقة بين الأله الخفى و الأيمان مثلا كان "محمد بن نصير" بمثابة الباب ل"الحسن العسكري"، الذي كان يثق فقط بالعلويين كمؤمنيين. وبموجب هذه العقيدة ، ان الذي يعرف كنه هذا " المعنى " و يؤمن به ، يتخلص من التناسخ و ينسلخ روحه عن جسده ويتحول الى نجم يسلك الطريق اللامنتهي في السماوات السبعة و يبدأ بمعاينة النورالألهي [22].
من خلال هذه النظرة الفلسفية والثيولوجية، يتجه المذهب العلوي بأن للأسلام معنى مجازياً باطنياً و لايصل اليه إلا العلميون في صفوفه. بأختصار ان العلويين يقدسون

على بن ابي طالب ويقولون ان الوحي نزل اليه . ولهذا السبب ينظرون الى على بن ابي طالب على انه "معنى الهي"[23].
اعتبر حنا بطاطو ان زكي الأرسوزي كان واقعا تحت تأثير هذه الفكرة مما يفسر نظرته الى الأمة العربية من الناحية السياسية على انها (معنى موجه و ابداعي) [24] ان هذه النظرة التي كانت تعتبرالأمة العربية امة مقدسة ، شكلت الموضوع المركزي للتحرك المكثف الذي قاده ضد الأتراك في الأسكندرون بين العامين 1936 و 1938 [25].
كان الأرسوزي يطالب بالأحياء المقدس للأمة العربية، ويبين ضرورة هذا الأحياء . وفي هذا الصدد يؤكد حنا بطاطو ان الأرسوزي استمد وحيه من العنصرية [26].
وفي هذه السنوات ومن منطلق عنصري كان يهاجم الأتراك و الأرمن و ينعت السوريين بأنهم عرب تم "تتريكهم". و اتهم الفرنسيين بالتفريق في المعاملة بين العرب و الأقليات. و يقول "بأن الأجنبي يخشى من ان يشكل العرب خطرا على مصالحه ، لذلك استعان باليهود ليقفوا في وجه هذا الخطر" و يقول ايضا بأن من الطبيعي ان الفرنسيين كانوا يفضلون "جيفة الأرض" علينا، نحن الذين كنا اصحاب العالم في الماضي [27]. كان زكي الأرسوزي ومنذ صغره كثير الأهتمام بالروح العلوية و مسألة العروبة. انهى دراسة الدكتوراه في الفلسفة بين اعوام 1926 - 1930 في باريس . وحتى وفاته كان يدرس في جامعات عدة في سورية مادتي التأريخ و الفلسفة[28].عندما عاد الى سورية الف كتابا بعنوان"العبقرية العربية في لسانها".ان بؤرة الفكر السياسي للأرسوزي كان يتمحور حول القومية اللغوية والتي تتطابق مع عنصرية فيختة. وفقا للأرسوزي ان الأمة العربية والتي هي المعبر السياسي عن القومية العربية يمكن تعريفها عن طريق لسانه. وان اللغة العربية تعبر عن عبقرية العرب. ومن ناحية البناء وسحر كلماته ، فأن اللغة العربية ارفع شأنا من اللغات الأخرى. ومنذ بدء الخليقة كانت اللغة العربية لغة محبوبة فلقد عبر الله عن هذا الحب عن طريق القرآن فأنزله عربيا . حسب الأسوزي ان ميزوبوتاميا و سورية كانتا مركز الحضارة الأولى وميدان للغة متكاملة . ان التوراة والأنجيل نزلا باللغة العبرية والتي هي لغة سامية واللغات الأرامية التي تعتبر من اصل سامي لاتتحدث بها سوى اقلية مسيحية في العراق وسوريا وتركيا. لذا فاللغة العربية هي الوحيدة التي ارتبطت بالوحي الديني ولأن اللغة العربية هي لغة اصيلة وكما قلنا هي لغة "ادم" . عليه فالعرب وبالفطرة يؤمنون بأن لغتهم الأم هي اللغة الأصل للبشرية . ومن خلال اتيانه بعدة امثلة في بناء اللغة العربية وبناء الأفعال العربية و نماذجها كان يريد بهذا ان يبرهن بأن اللغة العربية هي مطابقة للطبيعة البشرية وهي لغة الطبيعة . ان الكلمات العربية في تكوينها وبناءها تعبر عن معانيها الغنية . ومحتوى الكلمات العربية مثل" العدالة، المنهج، الشعر، الجمال"، تعبر عن الروح العربية. فكلمة "الأم" و كلمة "الأمة" ، على مستوى علم المصطلح لهما نفس الأصل لذا فالأمة بالنسبة لروح للعرب تعتبر بمثابة خط ديمومة الأسرة اي الأم . لهذا السبب يعتبر العرب اصل كل الشعوب السامية وهو بحد ذاته عالم و منذ ان وجد الخليقة على الأرض لم ينقرض ، ومن منطلق التفاخر بالأصل ، كان زكي

الأرسوزي يشعر بمثالية الروح السامية العربية ورسالتها الأرتقاء بالأنسانية من خلال التنوير الروحي. انه ومثل الكثير من البعثيين الأخرين ، خصوصا ميشيل عفلق و صدام حسين والذين نتحدث عنهما لاحقا، كان يريد ان يؤكد بأنه الألوف من الأنبياء قد خرجت من رحم الأمة العربية الى مسرح الأنسانية و وكلهم تحدثوا باللغة السامية اوالعربية . وان عموم الأنسانية بأجمعها قد تعرفت على هذه الحقيقة بفضل العرب ، بهذا الشكل شأنه كشأن البعثيين الأخرين كان يريد "تخليد رسالة القومية العربية" بجعلها ظاهرة تأريخية مستمرة وابدية. علاوة على هذا يربط الأرسوزي التوراة والأنجيل بالعروبة ويجعل من حضارات مصر وبابل وسومر والفينقية و اسطورة ادم وحواء كلبنة للعروبة . وعن طريق النظرة الهرمية للغة والثقافة ، كان يريد ان يؤكد علو وشرعية اللغة والثقافة العربية ودحض العلاقات الأفقية بين الشعوب . وكان الأسوزي يقر بأن هنالك ديانات وحضارات عدة ولكنه يرجعها الى اصل واحد هو الأصل العربي. وان اللغات الأوروبية ، وبالأخص اليونانية واللاتينية هي لغات الملاحظة و العلم والتكنيك حتى اذا ما دبت فيها الروح فهذا يعني انهم حصلوا عليه اى "الروح" من الشرق اي من الرسل و الأديان والذي يعتبر الأسلام جامعهم وخاتمهم، ان القرأن الذي كتب بالعربية يبين عظمة العرب. فالقرآن بالنسبة للعرب مثل الأفلاطون لليونان و شيشرو للاتين و شكسبير للأنكليز و غوته للألمان. ولهذا كان يقول الأرسوزي بأن العروبة هي الأيقاض الحقيقي للعرب التي تختبئ في اعماقهم. وكان الأرسوزي يعتقد بأنه ولأجل مواجه الضروف الصعبة التي تمر بها العرب يجب ان تؤدي القومية العربية دورها الأساسي لأحياء الروح العربية النقية، قومية تتكون اساسها من العلاقات الأسرية والأسلاف. ان القومية تحافظ على الوحدة البدائية و تؤمن الوحدة الداخلية وهذا تأتي عن طريق دور الزعيم.

ان الزعيم لأي شعب هو بمثابة الأم لأطفالها. بهذه الصورة ، ان اظهارالأهتمام بقيمة ومفهوم الزعيم، ادى بأرسوزي ان ينظر الى "الفداء" و "العمل" و"الوفاء" للزعيم كالفضيلة الأولى للأنسان العربي. وعلاوة على ذالك كان الأرسوزي يعتبر نفسه بمثابة النبي للفكر العروبي. فلقد قيل بأن عفلق قد اقتبس او استولى على الكثير من اراء و طروحات الأرسوزي ولهذا السبب ففي الكثير من الأحيان كانوا يتهمون بعضهما البعض حول ايهما اخذ من الأخر [29].

والبعض الأخر لايرجعون تأسيس البعث الى زكي الأرسوزي ويقولون بالرغم من ان ارسوزي عندما كان استاذا في الديرزور واستعمل كلمة "البعث" ولكن لم يكن هو المؤسس الحقيقي.(جلال السيد) الذي يعتبر احد مؤسسي البعث يقول بأن الأرسوزي كان قد لعب دورا على المستوى النظري، ولكن لم يخطو اية خطوة عملية بأتجاه تأسيس حزب سياسي كالنموذج الحالي الذي يملكه البعث، يجب ان لايغيب عن البال بأن في داخل البعث كان هنالك جناح ارسوزي[30]. حسب (جلال السيد) ان فكرة تأسيس البعث في الحقيقة كانت بين عفلق و البيطار وفي سنة 1942 وبعدة عدة اجتماعات اتفق الكل ان يطلقوا على تنظيمهم اسم "البعث العربي"[31].من الجدير بالذكر مهما كان واي رأي كان الأصوب لايمكن انكار بأنه

في ذلك الوقت كان يوجد حزبين بنفس الأسم حزب العفلق و حزب الأرسوزي. في الأربعينات دخل جماعة الأرسوزي الى الحزب الذي كان يسمى " البعث العربي".
في سنة 1944 ترك الأرسوزي العمل السياسي و لعب الكثير من اعضاء جماعته دورا كبيرا داخل تلك المجموعة التي كان يرأسها العفلق. في سنة 1953 فقط اتخذ الحزب الأسم الحالي له واصبح يسمى (حزب البعث العربي الأشتراكي) و نتيجة لأتحاده مع الحزب الأشتراكي العربي والذي كان رئيسه "اكرم الحوراني" الذي كان من مدينة حماه. وفي سنة 1936 كان عضوا في الحزب القومي السوري و في سنة 1938 خرج منه ليؤسس فى سنة 1950 الحزب الأشتراكي السوري . كان الحوراني شخصية غريبة و ذكية في نفس الوقت . لعب ادوارا كبيرة داخل الحياة السياسية السورية: في سنة 1954 كان رئيس مجاس النواب السوري و نائبا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ابان وحدة سورية ومصر. بالأضافة الى ذلك كان قد شغل مناصب وزارية عديدة. بصورة عامة يعتبر الحوراني اهم شخصية سياسية عربية وسورية بعد الحرب العالمية الثانية[32]. ان حزبه الحزب الأشتراكي العربي وكما يتبين من اسمه كان يحمل شعار الأشتراكية و يناضل من اجل تحرير الفلاحين في كل المعمورة[33]. ولكن بعد هذا الأتحاد اصبح حزب البعث العربي الأشتراكي حاملاً لشعار القومية والأشتراكية واصبح يناضل من اجل وحدة الأقطار العربية تحت شعار "امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" ولهذا الغرض وفي عام 1953 اسست القيادة القومية. و الى عام1958 كانت القيادة القومية تتكون من (ميشيل عفلق ، صلاح الدين البيطار،اكرم الحوراني) من سورية و(عبدالله نعواس و عبدالله الريماوي) من الأردن، (فؤاد الركابي) من العراق،(علي جبر) من لبنان هذا وكما حاول ان يفتح فروعا له في معظم الدول العربية. ولكنه استطاع فقط ان يفتح فروعه بسرعة في العراق والأردن و لبنان. حيث تمكنت الطلبة الأردنيين الذين كانوا يدرسون في دمشق من زرع بذور البعث في الأردن و كسب بعض الشباب الأردني. في لبنان وبعد الأنسحاب الفرنسي و الحصول على الأستقلال. بدأ البعث بممارسة نشاطاته في اوساط الطلبة . البعض من الطلاب السوريين الذين كانوا يدرسون في الجامعة الأمريكية سنة 1947 و اخرون كانوا قد انهوا دراستهم في جامعة دمشق ، استطاعوا ان يشكلوا عدة خلايا في بيروت و طرابلس و صيدا و بعلبك و النبطية الخ.
في تلك الأونة لم يكن لحزب البعث اعضاء كثيرين وكان معظمهم من الطلبة و المثقفين و كانت نسبة العمال والفلاحين ضعيفة. ماعدا في مدينة حماه حيث كان يتواجد البعض منهم ويرجع السبب في ذلك الى حزب الحوراني الذي استطاع ان يكسب اعدادا غفيرة من الكادحين و الفلاحين الى صفوفه . لذا فالأتحاد مع الحزب الأشتراكي العربي كان له مردودات ايجابية من ناحيتين، الأولى كان كسب الكادحين و الفلاحين و الثاني مساعدة البعث في تحقيق طموحاته وذلك بتوجيه اهتمامه الى السلك العسكري.
لربما ان اخفاق البعث في معركة الأنتخابات ادى به الى ان يهتم كثيرا بالجيش ويحاول ان يجعل لأعضاءه مكانا فيه كي يستعمله في الأنقضاض على السلطة

مستقبلا. في الحقيقة ان البعث ومنذ تأسيه لم يستطع ان يكسب اعضاء كثيرين الى جانبه ، وكان يعيش ازمة سياسية و ايدولوجية عميقة. علاوة على عدم تمكن امينه العام ، مشيل عفلق، الأنتصار في العملية الأنتخابية، وترك الكثير من اعضاءه البارزين الحزب مثلا اكرم الحوراني سنة 1962 و جلال السيد و صلاح الدين البيطار سنة 1955 [34]. وكل محاولاتهم للوحدة مع مصر سنة 1956 و1958 ذهبت ادراج الرياح و في النهاية اعتبر جمال عبدالناصر البعث حزبا فاشيا .

بقى ان نقول بأن البعث و منذ تأسيه حاول ان يسلك طريق المجابهه مستعملا الشعارات المتطرفة كي يصل الى السلطة و ان ينحي جانبا الوسائل الديمقراطية ان مؤسسه ميشيل عفلق وبعد اخفاقاته العديدة حاول ان يجعل من العنف كوسيلة شرعية من اجل القيام بالتغيرات الأجتماعية و السياسية . وكان له تأثير جذري على توجهات البعث ، وبالأخص على البعث العراقي و على صدام بالذات و بعد انتخابه كأمين عام للحزب سنة 1947 اصبحوا يعتبرونه بطلا للأمة العربية ، وكان له تأثير على صدام حسين في مسألة الرسالة الخاصة بالأمة العربية كما سنتطرق اليه لاحقا.

ان انقلاب 1968 كانت فرصة طيبة لعفلق لكي ينظر اليه كـ"ماركس" العراقيين وبالأخص في السبعينات و بداية الثمانيات كان مدار الحديث بين المثقفين و السياسيين العراقيين ، كانوا يتكلمون عنه في كل مكان ، في الصحافة، في الراديو والتلفزيون، في الكتب و المجلات البعثية ، كانت خطاباته و كتاباته بمثابة قانون مشترك للفلاسفة و علماء الأجتماع و مؤرخي الفكر. الى سنة 1989 خُصص (للقائد المؤسس) مركزا للأقامة في شقة بالطابق الثاني من بناية حزب البعث العربي الأشتراكي .

فؤاد مطر الصحفي وكاتب سيرة صدام يتحدث هكذا عن زيارات البعثيين الى مقر اقامة عفلق "كل البعثيين الذين يأتون لزيارة العاصمة العراقية يزورون مؤسس البعث ويؤدون له التحية(.....) القادة العراقيون يزورونه لكي يلتفوا حول القائد التأريخي ولأشعاره بأهمية نصائحه التي يقدمها اليهم[35]. وصدام حسين ايضا كان يعترف بأهمية ميشيل عفلق وخاصة عندما كان يتكلم عن نفسه و روح "الثورة" في العراق[36].

حزب البعث العربي في العراق

ان فرع العراق لحزب البعث قد تأسس سنة 1952 وبتوجيه من ميشيل عفلق فأصبح (فؤاد الركابي) اول امين عام له .كان فؤاد الركابي مهندس شيعي من مدينة الناصرية . و اصبح في عهد عبدالكريم قاسم وزيرا للأسكان و فيما بعد وزيرا للدولة (1959-1959) . وبعد ان ترك صفوف البعث في سنة 1959، تعرض عدة مرات للسجن وفي عام 1971 قتل من قبل الجهازالسري البعثي[37] .

في سنة 1952 لم يكن البعث معروفا على الساحة السياسية و كان اعضاءه لا يتعدون الخمسين وكان هؤلاء الأعضاء قد انتموا لصفوفه تحت تأثير الروابط الأسرية و الصداقات وكانوا يعملون سوية من اجل هدف ايدولوجي . في الحقيقة كان مسؤول الحزب يشرف على تنظيم يتألف من الأقرباء واصدقاء الدراسة . لهذا نستطيع القول بأن اول تنظيم بعثي كان جله من الشيعة . وعندما ترك الركابي الحزب ، ترك الكثيرون من الأعضاء النشاطات الحزبية.

بعد ذلك بسنوات اصبح السنة هم الذين يقودون البعث . منذ عام 1968 الى عام 1977 كان اعضاء قيادة الحزب و مجلس قيادة الثورة اكثريتهم من السنة تقريبا. ومنذ عام1977 فقط استطاع اربعة من الشيعة ان يصبحوا اعضاء في هذا المجلس [38]. في تنظيم اجتماعي تسيطر عليه العقلية البدوية او نظام العصبية، ان الشئ الأكثر اهمية هي علاقات القرابة[39]. ومنذ سنة 1968 حكم العراق من قبل تلك العلاقات العصبية التكريتية الذين انيط بهم مسؤوليات كبيرة في تنظيمات الحزب و مرافق الدولة والأجهزه السرية و الأمن[40].

في سنة 1959 وبموجب سجلات الشرطة العراقية ، لم يتجاوزعدد اعضاء حزب البعث 289 عضوا، وفي الفترة التي تلت انقلاب عبدالكريم قاسم في 14 تموز 1958 ضد الحكم الملكي، والذي مهد الطريق لحزب البعث استطاع ان يتستقطب 300 عضوا ناشطا[41] و200 مؤيدا و 1200 عضوا منظما و 10000 اخرون غير منظمين[42].

يمكن القول بأنه لم يكن لحزب البعث اي ثقل سياسي يذكر بالمقارنة مع الأحزاب الأخرى الفاعلة على الساحة العراقية. مثلا الحزب الشيوعي الذي تأسس بشكل سري سنة 1934، واستطاع بين السنوات 1941 و 1958 ان يثبت اقدامه على الساحة العراقية فكان له في الحقيقة تأثير ملحوظ على نسبة كبيرة من المواطنيين العراقيين و بالأخص بين الكورد و العمال والفلاحين والطلبة. بعد سنة من سقوط الملكية كان الحزب الشيوعي قد وصل الى اوج قوته و نشاطه وكان له اكثر من 25000 عضو فعال، و نصف مليون من المؤيدين، بالأضافة الى حضوره القوي في اتحاد النساء و نقابتي العمال و الفلاحين و تنظيمات الشبيبة[43].وكانت هنالك قوى سياسية اخرى بجانب الحزب الشيوعي وكان لهم ايضا دورمثل (حزب الأستقلال) و (حزب الوطني الديمقراطي).

والجدير بالذكر، ان سقوط النظام الملكي مهد الطريق امام مجمل الأحزاب العراقية ان للألتفاف حول النظام الجمهوري و عبدالكريم قاسم و ان يروا فيه قوة حية وسيلة

ضرورية لمحاربة الكولونيالية والأمبريالية. مثلا، كان الحزب الشيوعي العراقي يصف حكومة قاسم بأنها حكومة ديمقراطية بورجوازية، وكان يأمل في اقامة علاقات متينة مع الأتحاد السوفيتي للتعاون ضد الرأسمالية والأمبريالية الأمريكية. وفي الجانب الأخر كان البعث يرى في سقوط الملكية المتحالفة مع الكولونيالية طريقا نحو الوحدة العربية . من المعروف ان هدف مجمل الأحزاب التي كانت قد التفت حول عبدالكريم قاسم والجبهة الوطنية ، لم يكن انشاء نظام ديمقراطي يؤمن الحرية الفردية والديمقراطية .لابل ان هدفهم الأني كان توجيه طاقات الحكومة السياسية نحو النضال ضد الأمبريالية. مثلا كان هدف الحزب الشيوعي المحافظة على و حدة العراق و التعاون مع الأتحاد السوفيتي. وهدف البعثيين و القوميين النضال من اجل استقلال الأمة العربية ووحدتها. النضال ضد الأمبريالية كان هدف كل الأحزاب. (الحزب الشيوعي والديمقراطي الوطني) كانا يؤكدان على وحدة العراق، اما عند(حزب البعث والأستقلال)، فالشعور الوحدوي عندهما مع القومية المتدفقة كانت لها الأولوية على النضال من اجل احترام الحرية الشخصية والديمقراطية.لاعجب في أن في العراق الجمهوري تكرار لنفس التقسيمات التي كانت توجد في العراق الملكي عام 1930: الحزب الشيوعي و الديمقراطي الوطني كانوا النسخة الجديدة لجماعة الأهالي ومن جانب اخر كان البعث وحزب الأستقلال يكرران ما كان يطمح اليه رشيد عالي الكيلاني. بهذه المناسبة يمكن ان نطرح السؤال التالي: كيف استطاعت تلك المواقف المتناقضة ان تجتمع وان تستمر معا وأن تصنع وفاقا وتلتف حول نظام حكم عبدالكريم قاسم، بدون ان تلجأ اصحابها الى ممارسة العنف ضد بعضهما البعض ؟ هذا ما سنحاول الأجابة عليه.

بعد ان استلم عبدالكريم قاسم الحكم بعام انقسم الشارع السياسي العراقي الى قسمين: عبدالكريم قاسم والشيوعيون و المؤيدين له من جانب ، البعثيين و القوميين ومؤيديهم من جانب اخر. كان هنالك صراع بين البعثيين والقوميين الذين كانوا يطالبون بتوقيع اتفاق سريع للتعاون في مجال التسليح بين العراق و مصر عبدالناصر وذلك من اجل قيام الوحدة العربية وبين الشيوعيين الذين لم تكن الوحدة العربية ذات اهمية بالنسبة لهم وكان اهتمامهم الرئيسي ينصب على معالجة القضايا الأقتصادية والمحافظة على وحدة العراق. رويدا رويدا اصبح عبدالكريم قاسم ذلك اللاعب الوحيد الذي يريد المحافظة على ثورة كان هو رئيسها. كان عبد الكريم قاسم رجلا عسكريا ولم تكن له اية ميول سياسية. ولد في محلة قنبرعلي في بغداد من اب سني و ام شيعية كوردية وكان يقطن هذه المحلة خليط من الأجناس والديانات و المذاهب المختلفة (سني، شيعي، يهودي، مسيحي، عربي، كوردي، تركي). كان تأثير تلك البيئة الأجتماعية كبيرا على عبدالكريم قاسم حيث عاش طفولته في هذه الأجواء . والتي اثرت فيما بعد في تكوين شخصيته التي ابعدته عن التزمت والأنغلاق تجاه من كانوا يخالفونه الرأي . بعد ان انهى قاسم دراسته الأبتدائية والأعدادية اصبح معلما في مدرسة ابتدائية في الديوانية بين عامي 1931 و 1932 وكان منسجما مع بيئة مدرسته حيث ان الأختلاف الديني والمذهبي لم يشكل عائقا من امامه . وبعد ان انهى دراسته في الأكاديمية العسكرية في بغداد

شغل مناصب مهمة في الهرم العسكري شارك في الأنقلاب العسكري الموالي للنازيين الذي دبره رشيد عالي الكيلاني ، ولكنه لم يضع نفسه قط في دوامة الأيدولوجية اوالتعصب القومي. نستطيع القول بأنه كان متأثرا التيارالسياسي الأسلامي و ان بناءه الثقافي كان يوجهه نحو الشعب العراقي وليس نحو القومية العربية[44]، لكنه وفي نفس الوقت لم يهمل التعاون مع الدول العربية.
والجدير بالذكر انه طيلة فترة حكمه في العراق 1958 - 1963 لم يستطع عبدالكريم قاسم ان يجد حالة من التوازن بين الأحزاب العراقية المتطرفة . الا ان هذا لايعني انه كان يعيش حالة من الأنعزال . اذ ان ميوله نحو اليسار العراقي وعلاقاته الشخصية مع الضباط الشيوعيين جعله يكسب ثقتهم من دون ان يتنازل لهم . من الضروري القول بأنه وبالرغم من ملاحقته لهم ولكن الشيوعيين كانوا دائما يأملون في تعاون اوسع واقوى معه. وعلينا ألاننسى بأنه في مواجهته للقوميين وهجوم البعثيين عليه لم يكن بأستطاعته ان لا يبحث عن ظهير من بين بعض العناصر اليسارية العراقية. حيث لم تمضي مدة قصيرة على استلامه للسلطة حتى برز الى السطح الخلاف مع البعيثيين و القوميين والذي ادى الى تسميم الأجواء السياسية ولم تنتهي هذه الأزمة الا بسقوط عبدالكريم قاسم في شباط 1963. سنحاول ان نفهم هذا.
عندما شكل اول وزارة في العهد الجمهوري عين عبدالكريم قاسم عبدالسلام عارف نائبا لرئيس الوزراء ووزير الداخلية و نائب القائد العام للقوات المسلحة. تشكل اول وزارة من اعضاء الأحزاب السياسية: الحزب الوطني الديمقراطي حصل على وزارتين:المالية ، والزراعة، حزب الأستقلال وزارة التوجيه الوطني ، حزب البعث وزارة الأعمار.الحزب الشيوعي لم يكن له ممثل في الحكومة، ووزعت باقي الوزارات الأخرى على الأصدقاء والمقربين لعبدالكريم قاسم من ضباط الجيش [45].

من هو عبدالسلام عارف؟ عبدالسلام كان الرفيق و الصديق لعبدالكريم قاسم وكان له دور كبير في النضال السياسي من اجل الأطاحة بالملكية. ولد من ابوين سنيين في منطقة الكرخ ذو الأكثرية السنية.
كان عبدالسلام عارف قوميا متعصبا.بعد انهائه لدراسته العسكرية ، اصبح ضابطا في الجيش العراقي. عندما بلغ العشرين من العمر انخرط في الحياة السياسية وشارك في حركة رشيد عالي الكيلاني و بعدها انضم الى حركة الضباط الأحرارالتي كان عبدالكريم قاسم رئيسا لمجلس رئاستها . تأسس هذا التنظيم عام 1950 وكان هدفه الأطاحة بالحكم الملكي والنضال ضد الكولونيالية . كان اعضاء هذا التنظيم تتألف من عدد من القوميين المتعصبين و القوميين العاديين [46]. بالرغم من انه لم يكن له موقف ايجابي تجاه البعثيين ولكنه كان يتبنى نفس الأفكار التي كانوا يؤمنون بها اضافة الى ان عبدالسلام عارف كان معروفا بأفكاره العنصرية ، حيث يقول قبل الأنقلاب بيوم واحد لأحدى الضابط سنقوم غدا بالثورة ، مع اخذ ثلاثة اهداف بالحسبان : ابادة "المسيحيين، والشيعة والأكراد"[47].

كان عبدالسلام عارف قوميا ناصريا بعد الأنقلاب بأيام قليلة بدأ برفع شعار الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. ولهذا الغرض بدأ بجولاته في المناطق المختلفة في العراق والقاء الخطب النارية في سبيل صنع شعبية له بين الجماهير[48]. هذه الأعمال ادت الى بروز الخلاف بينه و بين عبدالكريم قاسم حيث استقال خمسة من الوزراء المحسوبين على جناح القوميين وتبعهم بعد ذلك فؤاد الركابي .بهذه الصورة انقسم المشهد السياسي العراقي الى قسمين، ان الذين كانوا ينادون بالوحدة والقومية العربية من القوميين و البعثيين كانوا في طرف ، وفي الطرف الأخر كان يقف الذين كانوا ضد هذه الوحدة وهم عبدالكريم قاسم و الشيوعيون و مناصريهم[49]. لم يمر شهران، اي في سبتمبر من نفس العام ابعد عبد السلام عارف من الوظيفة العسكرية و الوزارية بتهمة اتصاله المباشر مع جمال عبد الناصر ومحاولة القيام بأنقلاب عسكري ، وارتفع صوت البعثيين من خلال جريدهم الجمهورية و امتدحوا عارف ووصفوه بالمدافع عن قضية الأمة العربية . وفي الحقيقة كان عبدالسلام عارف هو المالك لجريدة الجمهورية التي كانت ترفع شعار الوحدة والحرية والأشتراكية ، واناط رئاسة تحريره بأحد البعثيين وهو (سعدون حمادي)[50]. وكانت تنشر مقالات عارف و صورة سكرتير الحزب فؤاد الركابي على صفحتها الأولى و كانت توزع داخل ثكنات الجيش والمدن العراقية[51].

في الوقت الذي لم يوافق عبدالكريم قاسم على تنفيذ حكم الأعدام في غريمه عبدالسلام ولكنه بدأ في مطاردة العناصر القومية. استفاد الشيوعيون من حالة العداء هذه مع عبدالكريم وسياساته ،ووقفوا مع رئيس الجمهورية . ادى هذا الى انتقال البعث الى العمل السري وبدأوا بمهاجمة الشيوعين في الشوارع . ان تفاقم العنف ادى الى ان تصبح شوارع بغداد مسرحا للقتال بين البعثيين والشيوعيين. في سنة 1961 اعلن الشيوعيين بأن البعثيين والقوميين قتلوا 286 من اعضاءهم و مؤيديهم واجبروا الألاف من العوائل على ترك منازلهم[52]. ماكانت هذه الا بداية لأعمال عنف لاحقه. و يجب التنويه الى بأنه في ايار 1959، قام الناصريون و البعثيون والقوميون بتمرد ضد حكومة عبدالكريم قاسم . ذلك التمرد الذي عرف "بثورة الشواف" [53]. وسحق قاسم هذا التمرد. لكن هذا الأنتصار لم ينهي اعمال العنف الجارية بين البعثيين و الشيوعيين وبالعكس فقد ادت الى توسعها لتشمل المناطق الكوردية ايضا التي كانت تخشى المواقف المتطرفة للشوفينيين العرب، لهذا السبب انضمت الى الجيش لقمع تمرد القوميين المتطرفين[54]. وبالرغم من ان الشيوعيين كانوا مسنودين من قبل قاسم و وصلوا الى اوج قوتهم في اواسط 1959، ولكن اصبح تأثيرهم اقل بعد ذلك لمصلحة البعثيين و القوميين. ومن الجدير بالذكر ان احداث كركوك الدموية كانت بداية النهاية للزخم الشيوعي[55]

وبدأت الحكومة بحملة تعريب واسعة في مدينة كركوك ، والتي كانت سكانها تتألف من اكثرية كوردية و اقلية تركمانية وعربية وكلدو اشورية . والحقيقة حتى قبل قيام الجمهورية لم تحاول الملكية الحد من العداء بين مكونات هذه المدينة ، بالعكس ان القوميين في الحكومات العراقية عاضدوا سياسة تذويب العناصر غير العربية وذلك

خدمة للقومية العربية . وادت تلك السياسة الى تأجيج نار العداء بين تلك المكونات وجعل من كركوك ساحة لهذا الصراع . ان احداث كركوك التي بدأت في الذكرى الأولى لثورة 14 تموز، كانت بمثابة رد فعل على تلك الأحقاد الدفينة بين الكورد والتركمان الذين كانوا يتهمون من قبل الشيوعيين بأنهم بقايا الشوفينية العثمانية الخائنة وهم يخدمون تركيا [56].

وفي هذه الأجواء لم يبقى التركمان صامتين بل هم ايضا تحركوا واشاروا بأصابع الأتهام اليهم . بهذه الصورة تحول الأحتفال بالذكرى الأولى للثورة الى مظاهرات وبالتالي الى اراقة الدماء ونهب البيوت في شوارع كركوك[57].

الحقيقة لم يقف عبدالكريم قاسم مكتوف اليدين و بدأ بأتخاذ اجرأت قوية ضد الشيوعيين . زج بالكثيرين منهم في السجن و بدأت الملاحقات ضدهم .تمت السيطرة على نشاطات الحزب ووضعت الرقابة المباشرة على جريدة "اتحاد الشعب" و اودع الضباط الذين كانوا يشكون في انتمائهم للحزب الشيوعي في السجن.

في هذه الظروف غير المواتية لهم تحول الشيوعيون الى النشاط السري ، وبالرغم من وجود قانون للأحزاب لسنة 1960 إلا انها اي الحكومة اعتبرت الحزب الشيوعي خارجا عن القانون و استمرت الأجراءات ضدهم الى سقوط النظام.

هذه المرة لوحده وفي حالة ضعف كان على الحزب لشيوعي مواجه البعثيين الذين وصلوا للحكم سنة 1963 . البعثيين كالشيوعيين اختاروا العمل السري واتحدوا مع حزب الأستقلال و حركة القوميين العرب في الجبهة القومية العربية و حققوا هدفهم بأسقاطهم لحكومة عبد الكريم قاسم.

النظام البعثي الأول

في 8 شباط عام 1963 استطاع البعث وبمساعدة عبدالسلام عارف و بعض من الضباط الناصريين ان ينهي فترة حكم عبدالكريم قاسم. وكان اول مافعله عارف هو الأنتقام من الشيوعيين . بعد ان اعدم قاسم ، وبمساعدة البعثيين في 9 من شباط نزل افراد الحرس القومي الى شوارع بغداد لكي يبدأوا بالقضاء على اعدائهم التأريخيين، ليقتلوا الألاف خلال ثلاثة ايام فقط بموجب قائمة معدة سلفا [58]. وقاموا بتفتيش كل بيت للعثورعلى الشيوعيين و معاقبتهم . وحولوا الكثير من ساحات الرياضة وقاعات السينما وبيوت المواطنين الى مقرات وسجون للحزب [59] .في مساء الثامن من شباط طلب بيان لمجلس قيادة الثورة من البعثيين و مؤيديهم ان يبيدوا "اعداء الشعب"اذ يقول البيان: نظرا للمحاولات اليائسة للعملاء الشيوعيين شركاء قاسم عدوالكريم* في الجريمة لزرع الفوضى وتجاهلهم للأوامر والتعليمات الرسمية، فقد كلف قادة الوحدات العسكرية والشرطة والحرس القومي بالقضاء على كل من يعكر صفو السلام .اننا ندعو ابناء الشعب المخلصين الى التعاون مع السلطات بالاعلام عن هؤلاء المجرمين وابادتهم[60].

في العشرة ايام الأولى التي تلت الأنقلاب شنق الكثيرون من اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وفي مقدمتهم سلام عادل ، سكرتير الحزب . في 11 من اذار اعدم 25 عضوا ، في 25 مايس اعدم 11 و في 23 اعدم 28 بتهمة مشاركتهم في احداث كركوك و في بداية تموز اعدموا 11 اخرون بتهمة مشاركتهم في احداث الموصل 21 اخرون في نهاية تموز بتهمة مشاركتهم في مؤامرة ضد الحكومة[61]. في تلك الفترة القصيرة من حكم البعث اعدم 49 شخصا كانوا من الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي و زج بسبعة الاف منهم في السجن . هنالك بعض الوثائق تؤكد بأن عدد ضحايا تلك الفترة من حكم البعث وصلت الى عشرة الاف شخص[62]. من المؤكد ان مسؤلية الدفاع عن "الثورة" ضد "اعداء الشعب" انيطت بالحرس القومي الذي تأسس سنة 1959 وكان يتكون من المؤيدين والاصدقاء المقربين لحزب البعث . وبعبارة ادق كان الحرس القومي يتألف من السراق و ابناء الشوارع و الخارجين عن القانون[63]. قبل الأنقلاب اعطي مسولية الأشراف على الحرس القومي لمنذر المنداوي التكريتي ، والذي كان ضابطا في القوة الجوية، حيث كان يستلم الأوامر مباشرة من سكرتير الحزب على صالح السعدي[64]. يصف حنا بطاطو اعمال العنف التي مارسها الحرس القومي في الفترة التي حكم فيها البعث كالأتي:

---

* "الكريم" اسم من اسماء الله الحسنى ، وهذا الأسم استخدم هنا بقصد الأشارة الى عبد الكريم قاسم الذين حُور اسمه بهذا الشكل امعانا في شتيمته.
عند مراجعتي للمصدر الذي اشار اليه المؤلف رأيت بأن الأستاذ حنا بطاطو قد وضع شرحا لما هو المقصود منه بكلمة الكريم التي تضمنته البيان لذا ارتأ يت ان انقل شرحه حرفيا الى هذه الترجمة . المترجم

" ان مكتب المعلومات التابع للحرس القومي اعدم لوحده 104شخصا كشف خلال فترة 1963 و 1964 عن 43 جثة تمت دفنها في سراديب قصر النهاية في محلة الجزيرة والحصوة والذي كان ايضا المكتب العام. عثر على مختلف الأدوات المستخدمة في التعذيب ، مثل الأسلاك الكهربائية ، وقضبان حديدية، كانوا يرغمون السجناء على الجلوس عليها و ماكنة كانت لاتزال اثار الأصابع المقطعة باقية عليها . و قطع من الملابس الملطخة بالدم كانت ملقاة على الأرض و بقع كثيرة من الدم على الجدران" [65].

ان المذبحة التي اقامها الحرس القومي في فترة التسعة اشهر من حكم البعث ، كانت استهانة بشرف البشرية وان اعضاء البعث و صلوا الى مرحلة من الأجرام "حيث دفنوا الاف الضحايا تحت اكوام من قناني البيرة و الويسكي مع كتابة تقول نشرب نخب انتصارنا على هولاء (الذيليين)"[66].كانت هذه الترجمة الفعلية لفلسفة البعثيين(والتي سنأتي الى تحليلها في الفصول اللاحقة) تلك النظرة التي يجعل من سكرتير الحزب ورئيس حكومة البعث على صالح السعدى ان يقول: "اذبحوهم من الوريد للوريد"[67]. يروي ضابط سوري قصة تبين مدى العنف الذي مورست ضد الشيوعيين والذي جاوز كل الحدود يقول بأن احد الضباط البعثيين قد تلقى امرا

بأعدام 12 شيوعيا فرفض وقال " لن اذهب لأعدام 12 وانما على 500 شيوعيا على الأقل"[68].

والجدير بالذكر ان الحرس القومي تحول في ابريل الى جهاز تحت اشراف مجلس قيادة الثورة، واصبح سلاحا مرعبا بيد الحزب. في شباط كان عدد اعضاءه لايتجاوز الخمسة الف ولكن بعد هذا التحول الى جهاز اصبح العدد احدى و عشرون الفا وفي اب وصل العدد الى اربعة وثلاثون الف عنصر[69]. في مواجهة رغبة منذر المنداوي التكريتي من ناحية ، وازدياد نفوذ و سلطات سكرتير الحزب في جهاز الشرطة و المخابرات من ناحية اخرى كان رد فعل عبد السلام والناصريين متأخرا جدا. فبالرغم من كون الناصرين اقلية في حكومة البعث، فقد كان لهم انصار كثيرون داخل المؤسسة العسكرية. وفي الحقيقة لولا عبدالسلام عارف و الناصريين و ضباط الجيش لما كان بأستطاعة البعث ان يهزم عبدالكريم قاسم. اذ لم يكن للبعثيين تمثيل قوي في الجيش ولم تكن مستوى تمثيلهم في الحكومة والحرس القومي كافيا للأحتفاظهم بالسلطة .بالأضافة الى ذلك فأن سكرتير الحزب و البعثيين و من شدة ولعهم بالسلطة كانوا يدافعون عن مطالب عبدالسلام عارف في ايجاد جبهة تستطيع لم شمل كافة القوي القومية و فيما يتعلق بالشكاوي التي كانت ترفع ضد ممارسات الحرس القومي . بأختصار ان هذه العداوة بين عارف و الناصريين ممثلين من قبل الجيش من جهة والبعثيين من جهة اخرى لم تنتهي إلا بسقوط البعثيين . في العام 1963 وعن طريق انقلاب اخر الت السلطة مرة اخرى الى الناصريين و لأكثر من اربعة سنوات حكم الأخوين عارف العراق بالقوة المفرطة الى ان عاد البعثيين بأنقلاب سنة 1968 الى الحكم.

النظام البعثي الثاني

عودة البعث للحكم في تموز 1968، سمحت بالأستمرار في ممارسة العنف و استعمال القبضة الحديدية ضد اي شخص تسول له نفسه ان يقف ضد السلطة. ان تلك الكبوة التي اصيب بها بعد ان حكم ولمدة تسعة اشهر ، علمت البعث كيفية فرض السلطة المطلقة وذلك عن طريق.

1- الأحتفاظ بالسلطة وان لايتقاسمها مع اية قوة سياسة اخرى : حيث ان تحالفه مع العناصر الناصرية و القومية سنة 1963 اتت بعواقب وخيمة عليه.

2- استخدام المناورات السياسية بعقلانية للتغلب على منافسيه.

3- العمل على كسب الجيش و العمل على خلق اكبر عدد من المؤيدين داخل هذه المؤسسة قياسا الى ما كان عليه في الماضي.

4- القيام بحملة ضخمة ضد الأمبريالية والصهيونية والرجعية عند تصفية المناوئين وتصوير تلك العملية بأنها انما كانت من اجل مصلحة "ثورة الشعب".

5- التظاهر بالديمقراطية و ايهام الشعب الكوردي بأنه يريد حلا للمسألة الكوردية و ان يدعوا لبناء جبهة وطنية تقدمية ، ولكن تحت سيطرته.

6- بناء تنظيم قوي يمكنه من التأثير على شرائح واسعة من الجتمع العراقي.

علينا ان ننوه الى أن انقلاب 1968 وبالرغم من ان البعثيين قد لعبوا فيه دورا مؤثرا الا انهم لم يكونوا الجهة الوحيدة التي قامت به . فإلى جانب البعثيين كان هنالك الكثير من الشخصيات المستقلة و ضباط الجيش الذين شاركوا بصورة فعالة في هذا الأنقلاب . اذ ان مجلس قيادة الثورة التي تشكلت في 17 تموز1968 والتي اخذت على عاتقها ادارة دفة الحكم في العراق كان يتكون حينئذ من سبعة شخصيات اربعة منهم لم يكونوا بعثيين . ماعدا احمد حسن البكر والذي انضم للبعث قبل انقلاب 1963 بسنتين و تركه لاحقا لفترة لينضم اليه مجددا وصالح مهدي عماش و حردان التكريتي ، اما عبدالرزاق النايف وابراهيم عبدالرحمن داود وسعدون غيدان و حماد شهاب فلم يكونوا بعثيين. وعند تشكيل الوزارة الأولى كان عدد البعثيين فيها من مجمل 26 شخصية سياسة عشرة وزراء و البقية كانت كالأتي ثمانية ضباط غير بعثيين و خمسة قوميين مستقلين و ثلاثة اكراد اي ان مجموع غير البعثيين كانوا 16 [70]. ان اول مناورة سياسية قام بها البعث هو اقصاء شخصيتين اساسيتين لعبتا دورا كبيرا في اسقاط حكم عبد الرحمن عارف و هما عبدالرزاق النايف عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء و ابراهيم عبدالرحمن داود عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع . حيث ان الأول القى القبض عليه من قبل مجموعة من الضباط يقودهم صدام حسين واجبر على مغادرة العراق ليتم تصفيته في لندن عام 1978 بعد ان نجا من محاولة سابقة لأغتياله عام 1973 . والثاني ارسل في زيارة للأردن وطلب منه ان لا يعود الى العراق [71]. بعد اقل من اسبوعين اقيل مجمل الوزراء غيرالبعثيين و تم تعين الشخصيات البعثية و المؤيدة لهم في اماكنهم. في 30 تموز سيطر البعث سيطرة كاملة على المرافق الأساسية في الدولة العراقية : احمد حسن البكر رئيسا للجمهورية وفي نفس الوقت رئيسا للوزراء ، حردان

عبدالغفار وزيرا للدفاع وقائدا للقوة الجوية ، وصالح مهدي عماش وزيرا للداخلية و عبدالكريم الشيخلي وزريرا للخارجية.
والخطوة الثانية للعبث كانت هي احلال الضباط والبعثيين والمؤيدين في الأماكن الحساسة في الهرم العسكري وتم اعادة اكثرمن 117 ضابطا بعثيا كانوا سبق وان استقالوا من الجيش او تمت احالتهم على التقاعد الى صفوف الجيش و تم نقل الفي عسكري بعثي الى الأماكن المهمة في القيادة العسكرية والمدنية والحرس القومي[72]. وخلال اشهر قليلة فقط استطاع البعث ان يسيطر على الجيش والشرطة و المخابرات .
وفي الخطوة الثالثة قام البعث ببعثرة القوى التي كانت ربما تشكل خطرا عليه ، اي تصفية كل الذين كانوا (ضد ثورة البعث). في اكتوبر عام 1968 ، القي القبض على 17 يهوديا بتهمة تورطهم في اعمال تجسسية لصالح اسرائيل. واستمرت الأعتقالات طيلة شهر نوفمبر[73]. في ديسمبر من نفس العام شكلت محكمة خاصة لمحاكمة "اعداء الشعب" واعدمت ثلاثة وخمسون شخصا[74].
في الشهر الأول من عام 1969 اعدم اربعة عشرة شخصا بتهمة التجسس لصالح اسرائيل وكان نصفهم من اليهود حيث بثت مقابلات كانت قد اجريت لهم على شاشات التلفزة و بعدها علقوا في ساحة الحرية و دعوا المواطنين لكي يذهبوا لرؤيتهم وهم معلقين على اعواد المشانق[75].
بعد كل حملة من حملات اعتقالات او الأعدامات كانت الماكنة الأعلامية للبعث تبدأ بالعمل من اجل ادانة المؤمرات التي تحاك من قبل الخونة والجواسيس عملاء و الصهيونية والأمبريالية والرجعية ضد "ثورة الشعب". مثلما في العام 1963 عندما وجهت نداء الى الشعب لسحق عظام الأعداء و قتل الخونة ومسحهم من الوجود [76]. تكرر هذا الخطاب في التجربة الثانية للبعث حيث كانوا يمارسون نفس الأساليب ويستعملون نفس التعابير ، ففي حملة اعدامات الشهر الأول كان صلاح عمر العلي وزير الأعمار و عضو مجلس قيادة الثورة هكذا يخاطب الجماهير:
"يا ايها الشعب العراقي العظيم ، لن يقبل العراق من اليوم فصاعدا بالخونة و الجواسيس بين صفوفه انتم يا عملاء اسرائيل وايتها الأمبريالية الأمريكية،وايتها الصهيونية اسمعوني جيدا! نحث نكشف دسائسكم! نحن نعاقب عملائكم ، و نعلق جواسيسكم ولو كانوا بالألاف!(.....) ايها الشعب العراقي العظيم هذا مجرد بداية! سنملى كل الساحات الكبيرة في العراق بجثث الخونة و الجواسيس! انتظروا فقط "[77].
وعندما كان راديو بغداد يرد على الأنتقادات العالمية كان يقول نحن اعدمنا الجواسيس ، لكن اليهود صلبوا المسيح[78].
في شهر تموز من عام 1969 هكذا كان يخطب رئيس الجمهورية احمد حسن البكر "من المهم ان تسحق الطبقة الثورية شبكة العملاء لأن لهؤلاء علاقات متينة مع المستغِلين(.....). وان هذه الأعدامات لها منفعة استراتيجية لأنها تساهم في تحرير الشعوب (.....) وان في كل في خطة يتم وضعها من اجل الأنتصار يجب

ان نضع نصب اعيننا انهاء السيئين من الذين يمدون العدو بالمعلومات ويساهمون عن طريق الدعايات المغرضة في اضعاف معنويات الشعب"[79].
في نفس العام القى القبض على الشيوعيين من القيادة المركزية وعذبوا حتى الموت[80]. وعرض بسكرتير الحزب عزيز الحاج الذي لم يتحمل شدة التعذيب على شاشات التلفزيون لكي يعترف بجرائمة تجاه "ثورة الشعب" ويدين امام الجمهور حزبه و يمدح البعث لكونها الحزب التقدمي والحقيقي الوحيد في البلاد([81]) . في الشهر الخامس حوكم على مجموعة اخرى بتهمة التعاون مع وكالة المخابرات المركزية واتهم عبدالرحمن عارف و مجموعة من الوزراء السابقين بالعمالة لأمريكا[82]. في الشهر الأول من عام 1970 بدأ الأذاعة العراقية بمعاودة ترديد انكشاف خطة ايرانية للأضرار "بالثورة" والقي القبض على الكثرين واعدم منهم اربعة واربعين شخصا[83].
ان تلك الأحداث و بدون شك احداثا اخرى والتي بدأت منذ رجوع البعث للحكم كان مثالا لسحق اية معارضة سياسية لحكمهم، ويبين لنا هذا الى اي مدى كان البعث مقتنعا بتصرفاته . ان التقرير الثامن لمؤتمر الحزب يظر بجلاء بأن البعث مؤمن بأنه يحمل "رسالة خالدة" و يمتلك الحقيقة المطلقة، لذا كان على الشعب العراقي ان يكون معه . في كل جملة ، و كل صفحة ، وكل فصل يبين هذه القناعة و يقول و بقناعة تامة بأن الواجب الأني للحزب الثوري هو تثبيت و تقوية السلطة من اجل حماية العراق من الخطط و والمحاولات الهدامة وان هذا الطريق ملئ بالعقبات [84]. يؤكد وبصورة مباشرة و ملفتة للنظر بأن الظروف النفسية للبلاد و نتائج تجربة(8 شباط 1963) علمه بأن اجتثاث الرجعيين و المشبوهين و العناصر الفاسدة و الخائنة في الجيش و المخابرات و الأمن و الأماكن الحساسة في الدولة لم يكن امرا هينا[85]. ويقر بأنه ومن اجل ان القضاء على معارضيه ، كان لزاما عليه ان يظهر قدرا من اللين والمرونة لأن هذا الموقف يعطي المجال للأخرين لتصحيح مواقفهم ويجعل منهم مواطنين يتصرفون بمسؤولية[86]. من الجدير بالذكر ان هذه المرونة التي كان يتكلم عنها البعث كان مرتبطا بالظروف غير المستقرة التي كان يمر بها الحزب حينذاك. في سنة 1968 كان التأييد الشعبي لحزب البعث ضعيفا للغاية. بموجب احاديث البعثيين حينذاك لم يتجاوز عدد الأعضاء النشطين عن خمسة الاف عضو[87].
بسبب بعض "الظروف الخاصة" و مشكلة قلة الكوادر البعثية لملء الأماكن الحساسة في جهاز الدولة و المنظمات الجماهيرية ، لجأ البعث الى خطة عمل يتم بموجبها تعين اعضاءه في المرافق المهة للدولة بالتدريج [88]. بالأضافة الى ذالك يتطرق التقرير للمعارضات الدولية ضد اعمال القتل والتنكيل بصورة علنية وتوجيههم انتقادات شديدة اللهجة الى الثورة و الوطن، وان البعث لم يتردد في تنظيف العراق من الأعداء والوقوف بوجه شبكات التجسس في الجيش و المخابرات والأمن و المراكز الحساسة في الدولة والمجتمع العراقي[89].

من هذا الحديث المختصر عن عدة اشهر من الحكم الثاني للبعث ، يراد فقط ان تبيان حقيقة هي أن تلك القسوة التي مورست على المستويات النفسية والأخلاقية و المادية (الشرعية) و الحملة الدعائية التي تبعتها ، كانت لها اهدافا مزدوجة:
1- العمل على التفاف الجماهير حول البعث و تثبيت السلطة.
2- تذكير الشعب بأن ممارسة اي عمل ضد السلطة لايمر من دون عقاب صارم.
كانت هذه سياسة البعث منذ استيلائه على السلطة والى يوم سقوطه.
ان هدفنا في هذا السرد ليس تعداد الذين اودعوا السجن والمغيبين والأعمال الأرهابية والتعذيب والأعدامات . نظرا لضخامة هذه الأعمال والتي هي بحاجة الى بحث مستقل. لذا هدفنا هو القاء الضوء على الخصائص الأيدولوجية للبعث التى نتحدث عنها في الفصول اللاحقة. ان تبرير اعمال القتل والتنكيل بحجة الأعداء و الخونة و الجواسيس هو انعكاس لأيدولوجية العفلق وهي مشتركة في كل الأيدولوجيات الشمولية.

الجبهة الوطنية والقومية التقدمية

في تموزعام 1973 تشكلت الجبهة الوطنية القومية التقدمية . بالتأكيد لم يكن هدف البعث اقتسام السلطة مع اية جهة سياسية اخرى، انما كان هدفهم يتلخص في نقطتين: احتواء و ارضاخ كل الأتجاهات التي بقت على الساحة السياسية العراقية للمطالب القومية لحزب البعث واعطاء صورة ايجابية عن النظام ، على المستوى المحلى و العربي والرأي العام العالمي. في الأسطر السابقة لاحظنا بأن في الأشهر القليلة من بداية حكم البعث لم يستثني احدا من العقاب . فلقد تم تصفية كل الجواسيس والخونة ، وعملاء الأمبريالية وذلك على حد تعبير البعث. بهذه الصورة لم تبقى اية جهة من المعارضة العراقية سوى الحزب الشيوعي غريمه الأيدولوجي والتأريخي والحزب الديمقراطي الكردستاني. بدون شك عندما خطا البعث خطوته بأتجاه حل المسألة الكوردية عن طريق بيان 11 اذار 1970 لم يكن موقفه هذا نابع من دوافع ايدولوجية لأن الأيدولوجية القومية الشمولية لاتستطيع ان تنظر الى قضية شعب اخر ضمن اطار الحقوق المشروعة . ان حكومة البعث بتوقيعها لأتفاقية اذار وتشكيلها للجبهة الوطنية حاولت الأستفادة من الوقت لتثبيت اركان حكمها فقط كون اعداء الأمس لايمكنهم ان يتحولوا بين عشية وضحاها الى الأصدقاء الخلص . نستطيع القول بأنه اذا كانت روح الأنتقام هي التي دفعت بالبعث سنة 1963 الى سحق عظام الشيوعين و الأخذ بالحسبان موقف السوفيات و البلدان الأشتراكية، واما هذه المرة ولأسباب تكتيكية وكي يبقوا في الحكم ، اضطروا الى اتباع ستراتيجية تضمن لهم المساعدات السياسية و العسكرية لكبح جماح الخصوم بصورة افضل . كان الأتفاق مع الحزب الشيوعي ضروريا في الوقت الذي كانت العلاقات تتحسن مع السوفيت. الأنفتاح على الكتلة الشرقية وبالأخص الأتحاد السوفيتي اضطره على ان يأخذ موقفا تصالحيا مع الشيوعيين العراقيين .

والشيوعيين ايضا عقدوا الأمل على هذا الأنفتاح و اصبحوا ينظرون الى ما اصابهم على يد البعثيين عام 1963 من مخلفات الماضي . وبدأوا بأقناع انفسهم بأن البعث يمثل "البورجوازية القومية" . فبالأضافة الى حبه للسلطة كان البعث حزبا بورجوازيا قوميا والذي حسب وجهة نظر الشيوعيين كانوا فئة تقدمية مناضلة و اعتبروهم من مناهضي الأمبريالية الأمريكية . ان حلم التعاون المثمر ، كان يداعب مخيلة الشيوعيين بالأخص عندما كان البعث يجهز خططا لتأميم النفط و حل المسألة الكوردية . واكثر من ذلك ، عندما منح البعث وحتى قبل قيام الجبهة الوطنية الشيوعيين اجازة اصدار مجلة الثقافة الجديدة وعين عزيز شريف وزيرا للعدل . لكن حجم دهاء البعث كان اكبر من ان يستوعبوه الشيوعيين ، و جنبا الى جنب مع هذه الأجرأت بدأ البعث بحملة اغتيالات وخطف وسجن واسعة لأعضاء و مؤيدي الحزب الشيوعي . في حزيران 1969 اغتيل ستار خضير عضو اللجنة المركزية للحزب ،وفي سبتمبر اختطف عبدالأمير سيد وكان كادرا مهما للحزب ، في اذار سنة 1970 اغتيل محمد احمد الخدري عضو اللجنة المركزية في بغداد واودع الكثيرين منهم في غياهب السجون وعذبوا حتى الموت[90]

مارس البعث نفس السياسة مع الكورد . بعد ان وقع اتفاقية اذارللحكم الذاتي سنة 1970 ، عين خمسة وزراء من الكورد في الحكومة العراقية و منح حق نشر الصحف و المجلات باللغة الكوردية و اجاز استعمال اللغة الكوردية في المدارس الأبتدائية و المتوسطة في كوردستان. وبموازاة كل هذا من جهة بدأ في سبتمبر 1971 ترحيل اربعين الف كوردي الى ايران وفي نفس الشهر حاول اغتيال السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكورستاني (ملا مصطفى البرزاني) مع اصراره يوما بعد يوم على تعريب كوردستان وبالأخص كركوك و خانقين و سنجار و شيخان و التكثيف من اعمال القتل و الخطف و حبس العديد من الشخصيات الكوردية[91].

في هذه الظروف كان البعث يكشف عن نواياه في تشكيل جبهة تضم كافة "القوى السياسية الوطنية والتقدمية". ففي حين رفض الحزب الديمقراطي الكوردستاني المشاركة فيها. قبل الحزب الشيوعي بشروط الأنضمام لهذه الجبهة. حيث ان البارتي كان قد وضع شروط عدة في مقابل انضمامه لها وقد رفضها البعث. قسم من هذه الشروط كان عبارة عن المشاركة المباشرة للأحزاب السياسية في ادارة الدولة ، لكي لاتكون حكرا على بغداد، وان ينظم على وجه السرعة عملية انتخابات الخ[92]

وعبر عن استيائه تجاه حملة تعريب كوردستان ولهذا السبب لم ينضم الى الجبهة ومن الجدير بالذكر في هذه الأونة وبعد انهيار اتفاقية اذار و الثورة الكوردية ولد في نفس العام تنظيم سياسي اخر بأسم الأتحاد الوطني الكوردستاني برئاسة السيد جلال طالباني الذي استطاع ان يستمر بثورة الشعب الكوردي ليسد الطريق من امام سياسات البعث وليرفع من معنويات شعب كوردستان . ولم يتوقف البعث عن تعريب كوردستان وقام بتشكيل احزاب كوردية كارتونية ليضمهم مع الحزب الشيوعي الى الجبهة التقدمية. ووضع البعث عدة شروط للأنضمام الى الجبهة كانت

كالأتي: ان يعترف الحزب الشيوعي بصورة واضحة وصريحة بأن حزب البعث "حزب ثوري ووحدوي واشتراكي و ديمقراطي" وكان لزاما عليه ان يصدر اعلانا عن تقدمية ثورة 17 تموز. كان عليه ان يعترف بالدور القيادي للبعث في الحكومة و المنظمات الجماهيرية والجبهة. وعلى الصعيد الرسمي كان عليه ان يتعهد بعدم ممارسة اي نشاط حزبي داخل المؤسسة العسكرية. كان للبعث الحق فقط ان يكون له تنظيماته داخل الجيش و في صفوف الطلبة . كان عليه التعهد ببذل كل الجهود الممكنة من اجل اقناع الأحزاب الشيوعية الأخرى لكي يقيموا تحالفا مع البعث في الدول العربية الأخرى. كان لزاما عليه ان يرفض الدولة الصهيونية بشكل مطلق والقبول بفكرة تحرير كامل التراب الفلسطيني. وان يقبل بالوحدة العربية "كهدف اني و اساسي" وان يقبل بالتحولات الأشتراكية في البلد [93].رفض الحزب الشيوعي بعضا من هذه الشروط منها "التحول الأشتراكي" لأنه ومن وجهة نظر الحزب الشيوعي فأن مفهوم التحول الأشتراكي لم يكن على المستوى النظري السليم "علميا"، لأن العراق كان لايزال في مرحلة "الثورة الوطنية الديمقراطية" . لم يعترض الحزب الشيوعي في مسألتي النضال ضد الصهيونية و الأمبريالية و الوحدة العربية[94]. ولكن بعدة عدة لقاءات و محادثات ، قبل بهذه الشروط ايضا و اصبح عضوا في الجبهة الوطنية القومية التقدمية. في 4 نيسان1972 وقع البعث اتفاقية الصداقة والتعاون مع الأتحاد السوفيتي[95].

في تموز 1973 وقع احمد حسن البكر والسكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي "ورقة العمل الوطني". بهذا الشكل تكونت الجبهة الوطنية والقومية التقدمية من حزبي البعث و الشيوعي ، وبدات بالعمل وكانت ترأسها لجنة بأسم "اللجنة العليا". هذه اللجنة كانت تتكون من 16 مقعدا ثمانية للبعث و ثلاثة للشيوعيين و ثلاثة للحزب الديمقراطي الكوردستاني(اذا ما وافق بالأنضمام اليهم في الجبهة) و اثنان للشخصيات المستقلة[96]. وبدون شك كانت هذه اللجنة تأخذ الأوامر مباشرة من مجلس قيادة الثورة ، لذا اصبحت الجبهة الوطنية والقومية التقدمية اداة بيد البعث ، وعلاوة على ذلك عندما رفض الحزب الديمقراطي الأنضمام للجبهه اصبح للبعث الأكثرية في اللجنة العليا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ماذا كان ينتظرالحزب الشيوعي من حزب كانت اهدافه واضحة؟ ليس فقط اخضاع كل الأحزاب المعارضة الى جناحه القومي لابل وان يقوم و بموجب خطة معدة سلفا بأمتصاص طاقات الأحزاب السياسية و بالتالي اقصائهم من على المسرح السياسي . لاشك انه بالأمكان ان يصنع السلام بين عدوين ولكن فقط عن طريق توفر النية لهذا السلام وليس عن طريق مجرد التوقيع على ورقة.

ان الخيال الخصب للشيوعيين الموالين للسوفيت يوحي لهم بأن التحالف مع البورجوازية الصغيرة والمتمثلة في حزب البعث ضروري لتمهيد الطريق للنضال ضد الأمبريالية، والتي هي اعلى مراحل الرأسمالية. حيث تستطيع الشغيلة من العمال والفلاحين ان يكسبوا البورجوازية الوطنية الى جانبهم وبالنتيجة يؤدي بالعراق الى بناء الأشتراكية العلمية. ولكنهم لم يدركوا بأن بقبولهم للطرح القاضي

بأن حركة الثورة العربية يجب ان يقودها البعث الذي يمثل اكثرية الجماهير العراقية والعربية[97]. انما كانوا يحفرون قبورهم بأيديهم. كان البعث قد وضع خطته منذ البداية حيث كان يعرف ومنذ اللحظة الأولى لأستيلائه على الحكم بأنه عند تسلمه القيادة " يجب ان يشكل جبهة تقدمية حقيقية ليس فقط كواجهة دون تأثير ودون مستقبل في مجال القومية والعروبة" [98]. قبل استحواذه على الحياة السياسية في العراق لم يكن بأستطاعة البعث ان يضمن احترامه لمواقفه الأيدولوجية و السياسية "وان يكسب ثقة الشعب على الصعيدين الأخلاقي و المادي"[99]. لهذا السبب كان نظرة البعث الى علاقاته مع الشيوعين نظرة عملية بحتة و لم تكن نابعة من ضرورة ايدولوجية ، حيث ستساعده هذه العلاقة على فرض سلطاته على الشعب العراقي في المستقبل بصورة افضل. ان التقرير السياسي للمؤتمر الثامن لحزب البعث واضح بما فيه الكفاية بشأن هذه النقاط. في مقابل السماح للحزب الشيوعي بممارسة نشاطاته السياسية و اصداره لعدد من الصحف و المجلات و تعيين عدد من الوزراء الشيوعين في الحكومة ، استطاع البعث ان يطلق يديه في العمل من اجل تنفيذ "برنامجه التقدمي" وتبعيث مجمل الأدارات و مؤسسات الدولة من جهة و اعداد خطة لسحق اية معارضة لحكمة من جانب اخر.

بتشكيل الجبهة الوطنية التقدمية و مساندتها من قبل الشيوعين مهد الطريق امام البعث لشن الحرب من جديد على الكورد. وان انتصاره على الثورة الكوردية عام 1975 الذي جاء نتيجة لأتفاقية الجزائر. مهد له الطريق ايضا لكي يستمر في برامجه العنصرية و تعريب كوردستان و ترحيل الاف من العوائل الكوردية الى جنوب العراق و تدمير الألاف من القرى الكوردية و استقدامه للمصريين والعرب لكي يحلوا محل الكورد المرحلين..الخ[100].

بعد سنه ، بدأ البعث بالتحرك على الشيوعيين . صدام حسين الذي كان نائبا لمجلس قيادة الثورة كان ينتقد الشيوعين لعدم احترامهم "لورقة العمل الوطني" في اجتماع للجبهة الوطنية كان يقول بأن "الأستقلالية الأيدولوجية" يجب ان لا تؤدي بالبعض ان يبتعدوا عن ثورة البعث . لأن الثورة هي خيمة جميع الأحزاب السياسية والتي تناضل سوية ضد الأمبريالية. لهذا ان الثورة هي حقيقتنا الكبرى التي لا ترفض" الأستقلالية الأيدولوجية[101].

في الحقيقة كان صدام حسين يريد ان يقول للشيوعيين بأن البعث هو المالك "للثورة" اي انقلاب تموز 1968 ، وان في مصلحتهم ان يعملوا وفق شروط البعث. ويقول في مناسبة اخرى في 1976/2/10 بأن على الأحزاب السياسية ان يشعروا بأنهم بعثيين وإن لم ينتموا للبعث . كان صدام حسين يؤكد على هذه النقطة: في الوقت الذي يتحدث البعثيين عن خصوصية حزب البعث العربي الأشتراكي ، ليس هدفهم التقليل من الدور المهم للأشخاص المستقلين في المجتمع ولا لدور الأحزاب السياسية، لأن البعثيين لايرون في البعث هو حزبهم فقط وانما حزب الجميع ، وحتى الذين ينتمون الى احزاب سياسية اخرى[102].

وفي مناسبة اخرى في 1976/2/25 يقول" اننا نؤمن بأن العراقيين يجب ان لا يروا بأن هنالك تناقضا بين انتماءهم لأحزاب سياسية اخرى و بين ان يجعلوا من البعث

العربي الأشتراكي حزبهم، لأن حزب البعث العربي الأشتراكي هوالذي يقود الثورة والمجتمع وقد اثبت جدارته في هذا المجال"[103].
كان صدام حسين يوجه نصائحه الى الحزب الشيوعي، يطلب منهم الأحتذاء بالثورة الكوبية ، لأن الحزب الشيوعي في كوبا قد اعلن تأييده لثورة كاسترو الى ان اصبح رئيسا للحزب في كوبا[104].لو نظرنا الى هذا المثال يتبين لنا انه ليس واضحا بما فيه الكفاية حسب المنطق . لكن صدام حسين كان يريد ان يقول ان البعثيين هم الأصحاب الحقيقين للثورة لذا يجب على الأخرين ان يرضخوا لهم :" نحن لقد وصلتنا معلومات عن بعض الأخوة و بالأخص الشيوعيين انهم والى اليوم يقعون في حرج عندما يسألون هل انتم مع الحكومة ام لا؟ هل انتم مع الثورة ام لا؟ هل ان الوقوف مع الثورة العظيمة و الحكومة يسبب الأحراج؟ تلك الثورة التي هي مبعث فخر لكل المواطنين الشرفاء . ولا احد يستطيع ان يثير الشبهات حول اعمالها.
بين عامي 1975-1976 عبر الشيوعيين من خلال صحفهم و ندواتهم الجماهيرية عن استيائهم من الأعمال التي كان يقوم بها البعث في مؤسسات الدولة ومن سياسة الترحيل التي كان يمارسها تجاه الكورد. كانوا يطالبون بالحريات السياسية و حرية الأنتخاب وفق مضمون وروح "ورقة العمل الوطني". وبالرغم من ان تلك الأنتقادات كانت توجه الى الحكومة بأعتدال ، لكن من وجهه نظر البعث كانت "هجوما غير مقبولا" على طريقة حكمهم للبلد[106]. وفي هذا الصدد كان صدام يقول لنأخذ الأشياء بطريقة عكسية. لو كنا نحن البعث قد بدأنا بالهجوم على الشيوعيين عن طريق المقالات و الأجهزة الأعلامية ماذا كان يحدث؟ هل كانوا سيقبلون علينا ؟ لو تصرفتم هكذا تكونوا انتم المتضررين. عندما نصرح هكذا ليس معناه اننا نتباهى ، بل لأجل ان نقول بأن علاقاتنا نحن مع الجماهير يتوقف على التعاون الأيجابي والثقة المتبادلة. لهذا السبب فأن الجماهير سيصغي الينا (....) عندما نتحدث بأيجابية عن دوركم و دور القوى الوطنية الأخرى ، وهذا يعتبر من مصلحتكم[107].
يجب الأشارة الى ان ومنذ البداية كان البعث مطمئنا الى حقيقة أنه عندما وافق الشيوعيون على الدور القيادي لحزب البعث في ادارة الدولة. ولم يكن لهم اي خيار اخر غير الأنصياع الى اوامر البعث والذي سمى "بالتعاون المتبادل" والذي كان يفهم منه بأن كل الأحزاب السياسية في الجبهة تناضل معا في "خندق واحد" ، وليس في (خندقين منفصلين) ضد اعداء الثورة . بالنسبة الى صدام لم تكن الأمور على مايرام ، لأن كل واحد كان يحاول ان يقدم نفسه بموقف مختلف عن الأخرين[108].
بدون شك، ان خطاب صدام حسين كان بداية النهاية لتحالف لم يثبت اقدامه بعد . ومثل ماكان متوقعا بدأ اعلام البعث بأتهام الحزب الشيوعي ، بأنهم لا يريدون الأنسجام مع روح "ورقة العمل الوطني" التي وقعها هذا الحزب. ولم يحترموا مبادئ "الثورة" مع انهم قد منحوا المجال الكافي للمارسة نشاطاتهم في اجهزة الدولة والمجتمع العراقي.

وان هذه الحملة الأعلامية ، تبعتها حملات سجون واعدامات، ففي بداية 1976 اودع عددا من الشيوعيين السجن وعذبوا و اطلق سراحهم فيما بعد. في عام 1972 تم وضع حد لنشاطات الشيوعين في عدة تنظيمات مثل اتحاد الشعب الديمقراطي ورابطة المرأة العراقية . لغاية سنة 1978 كان الشيوعيون يقتلون هنا وهناك وفي مايس 1978 بدا اعلام البعث ببث التحذيرات الى الجهات السياسية الأخرى مفادها ان الثوة تقوم بمعاقبة كل الذين يحاولون ممارسة العمل السياسي داخل الجيش ، و كانوا يتحدثون عن محاولة الحزب الشيوعي للقيام بأنقلاب على النظام . وبعد ذلك بدا البعث بأتهام الحزب الشيوعي و بصورة علنية بأنه ليس حزب حقيقي. بل انه حزب ذيلي ويعمل من اجل مصالح السوفيت. و كانت نتيجة هذه الأتهامات هي اعدام 21 شيوعيا بتهمة مشاركتهم في انشاء خلايا شيوعية داخل الجيش . في تموز 1978، اعلن مجلس قيادة الثورة حظر النشاطات السياسية على جميع الأحزاب ماعدا البعث ومن يخالف هذا القرار يحال على المحاكم والعقوبة تكون الأعدام. بدون شك ان هذا القرار تسبب في اعتقال واعدام المئات . وان هذه الحملة لم تشمل الشيوعيين فقط بل طالت شخصيات كوردية عديدة ايضا.
بهذه الصورة فإن الحزب الشيوعي والذي اعتبر ولغاية 1979 عاملا سياسيا فعالا في الجبهة الوطنية التقدمية قد بدأ دوره بالأضمحلال، ليختارطريق العمل السري من جديد وليحتمي بجبال كوردستان بعد ان وصل الى طريق مسدود مع البعث الذي نظر له عفلق وطبقها الثنائي بكر و صدام وليبدا صدام بأستكمال المشوار الذي انتهى الى فترة تعتبر من اشد الفترات رعبا في تأريخ العراق لابل في التأريخ الحديث للبشرية.

من الحكم الثنائي الى الحكم الفردي

ان سحق المعارضة الشيوعية و تكثيف حملات ابادة الكورد دشن عهدا جديدا من حكم البعث والذي يعرف بحكم صدام حسين. في خضم ابادة الشيوعيين و الشعب الكوردي ، وبنبرة كلها احترام وتقدير اعلن صدام حسين انه يمد يده الى الأمة العربية وتحدث عن اعتلائه سدة الحكم خلفا لرئيس الجمهورية احمد حسن البكر . واعلن في خطابه بأن في لا في التأريخ القديم للعراق ولا الحديث ، لم يحدث وان حكمت سلطتين بلدا واحدا من دون ان يحدث شيئا يعكر صفوة العلاقات بينهما او ان يقتل احدهما الأخر[109].
ان اسباب غياب احمد حسن البكر على الساحة السياسية العراقية ليست واضحة. ولكن لا يخفى على احد بأن الأقاويل عن عجز الرئيس عن ممارسة مهام عمله كانت قد بدأت تسمع منذ زمن طويل منها انه لا يستطيع ان يمارس "المهام المقدسة" الملقاة على عاتقه بسبب كبر سنه. هكذا يتحدث الكاتب البعثي و كاتب سيرة صدام عن احمد حسن البكر ، "ان هذا الضابط التأريخي وبعد تركه السلطة

انصرف الى مل الفراغ في حياته بأعمال لم تكن لها ارتباط بهموم السلطة . في الصباح الباكر يذهب الى حديقته ليسقى الورود ويقلم الأغصان . وعندما يحس بأنه بحاجة الى الراحة يترك العمل ليرتاح او يلعب مع اطفاله الصغار"[110].

ايا كانت الظروف التي ادت الى ازاحة احمد حسن البكر فالمهم بالنسبة الى هذه الدراسة هو العلم ان هذين الثنائيين قد عملا ولمدة احدى عشر عاما بأنسجام دون كلل من اجل تحويل العراق الى دولة شمولية و اخضاع المواطنين الى رغبات الحزب وحشرهم في نظام الحزب الواحد . في سنة 1979 اقتسمت السلطة الفعلية بين هذين الشخصيتين البعثيتين وهما احمد حسن البكر الذي كان رئيسا للدولة و صدام حسين الذي كان بمثابتة يده اليمنى. اذا احدهما ، وبسبب موقعه الرسمي و تقديرا "لوطنيته" قد اصبح يدير جهاز الدولة ، اما الثاني بسسب دهائه اصبح المخطط لهذا الجهاز، لو كان الأول الناطق بأسم السلطة ، فأن الثاني ذراع السلطة .

ويجب الأشارة الى تلك الحقيقة التي غفل عنها الكثيرين الا وهي ان صدام حسين لم يتسلم الكثيرون من السلطات بصورة رسمية وانما السلطات كانت متراكمة في يد البكر . حيث لم تمنح من قبل اية شخصية سياسية تلك الكم من السلطات . من المؤكد ان تحليل الدستور العراقي يساعدنا في فهم هذه الحقيقة . ولكن قبل هذا يجب ان نشير الى ان الأعلان الرسمي عن الدستور العراقي كان في1968/9/21، اي بعد اقل من شهرين من انقلاب البعث ضد عبدالرحمن عارف.

ان هذا الدستور وبالرغم من تعديله لمرات عديدة مع كل حالة جيدة تطرأ يستوجب ومعها تعديل الدستور، لجعله منسجما مع سياسات الحزب . فمنذ سنة 1968 الى سنة 1983 اي خلال 15 سنة تم تعديل الدستور ستة مرات . وبالرغم من كل هذه التعديلات فلقد ظلت المواد والمبادئ الأساسية كما هي اي ان التغيير لم تشمل جوهر الدستور، وبالأخص ما يتعلق بتنظيم السلطات، وبدون شك ان الدستور العراقي والى سقوط صدام بقى "مؤقتا"، حيث ان هذه الحالة كانت انعكاسا لفلسفة البعث التي تؤمن "بالثورة المستمرة" لهذا السبب كان هذا الدستور والذي شرع من قبل مجلس قيادة الثورة تعدل بأستمرار و لم يتحول الى دستور دائم[111].

بموجب الدستورالعراقي،كان مجلس قيادة الثورة يشكل اعلى سلطة في العراق[112]. وبأمكانه ان يصدر القوانين والقرارات التي لها قوة القانون[113]. بالأضافة الى ذلك منح الصلاحيات التالية: اقرار شؤون وزارة الدفاع والأمن العام . اعلان التعبئة العامة جزئيا او كليا واعلان الحرب . والمصادقة على مشروع الميزانية العامة للدولة .والمصادقة على المعاهدات والأتفاقات الدولية و اصدار ووضع القواعد المتعلقة بمحاكمة اعضاءه من حيث تشكيل المحكمة والأجراءات الواجب اتباعها[114]. وكان رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة والقائد العام للقوات المسلحة ويتولى السلطة التنفيذية مباشرة او بواسطة مجلس الوزراء [115]. بالأضافة الى ذلك كان له صلاحية تعيين نواب الرئيس والحكام و القادة العسكريين وعزلهم[116]. مثلما نلاحظ ان الرئيس العراقي احمد حسن البكر قد جمع بين كل هذه السلطات في يده وذلك عن طريق الية مجلس قيادة الثورة الذي كان (الجهاز التشريعي و التنفيذي في العراق).

عندما يرث صدام حسين ممارسة كل هذه السلطات من البكر، هذا الأمر يجب ان لا يبرر لوحده فقط السلطات المطلقة للرئيس بل علينا ان نبحث عن عامل اخر. وهو السيطرة الفردية على مجمل الأجهزة الأمنية المدنية و العسكرية والبوليس السياسي، كانت عاملا اخر ساهم في تبلور السلطة المطلقة فتحليل موجز لحياة صدام حسين يساعدنا في فهم هذا الموضوع.

ان مرد نجاح صدام حسين في حزب البعث ، في الحقيقة، يعود الى تلك السنوات التي تلت انضمامه الى حزب البعث سنة 1957 [117] . كان صدام حسين في عامه الثامن عشر عندما قام الحزب بتربيته سياسيا وهو نفسه كان متلهفا للأيدولوجية البعث ايضا. واول نشاط سياسي قام به صدام هو تشجيعه لأصدقائه الطلبة للقيام بالسرقات والأعتداء على الأخرين . عندما بلغ التاسعة عشر قتل شيوعيا اسمه سعدون الناصري فأودع السجن بسبب هذه الجريمة لمدة ستة اشهر فقط واطلق سراحه بعد انقضاء المدة[118]. في سنة 1959 شارك في محاولة أغتيال عبدالكريم قاسم [119]. وبعد فشل المحاولة هرب الى سوريا فأستقبل من قبل ميشيل عفلق بحرارة و وتم ترقيته بناء على توصية من منه الى درجة حزبية اعلى . مكث في سوريا اربعة اشهر وارسل فيما بعد الى مصر ليكمل دراسته في القانون في جامعة القاهرة . عندما استولى البعث على الحكم سنة 1963، رجع صدام الى بغداد و اصبح مسؤلا عن شؤون الفلاحين . لكن التأريخ الحقيقي لصدام حسين كشخصية مهمة في حزب البعث بدأ بسقوط الحكم البعثي الأول.

في الأشهر الأخيرة لسنة 1963وبداية 1964 ، تبعثر تنظيم البعث الى حد ما وذلك بسبب المطاردات التي تعرض لها . ان القيادة القومية التي استقرت حينذاك في دمشق والتي كانت تدار من قبل ميشيل عفلق، الذي اخذ على عاتقه اعادة تنظيم الحزب . وبعد عدة اتصالات مع الشخصيات البعثية ، تمكن من اعادة تنظيم فرع العراق وذلك عن طريق امين سره. في سنة 1964 اختير احمد حسن البكر مسؤلا عن قيادة قطرالعراق واختير صدام حسين وبمباركة من ميشيل عفلق عضوا في قيادة قطرالعراق و مسؤولا عن التنظيم العسكري[120].

بين سنتي 1964 و 1966 استطاع صدام ان يعيد تنظيم الخلايا التي ستتحول فيما بعد الى اجهزة الأمن والمخابرات لنظام البعث والتي سميت بـ"جهاز الحنين".

وعلى اساس تقسيم الحزب الى عدة خلايا منفصلة عن بعضها البعض بدأ صدام حسين بجمع هؤلاء البعثيين الذين كانوا يعملون بهمة ونشاط والذين تحولوا فيما بعد الى خبراء في الأجهزة السرية[121].

بهذه الصورة ، وبعد ان استلامهم للسلطة في عام 1968 ، اصبح الجهاز الأمني للحزب من اكثر الأسلحة ضمانا للسيطرة على حزب البعث. في نوفمبر 1969 ، عندما اصبح صدام حسين نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة و نائبا للأمين العام للحزب.استطاع و بطريقة ماكيافيلية ان ينجح في تحويل الفرع السري للحزب الى اداة ليستطيع بواستطها السيطرة على الشخصيات البعثية ، لذا فإن الفرع السري للبعث اصبح قوة حقيقية في الحزب وبعبارة اخرى اصبح حزبا داخل حزب. من الجدير بالذكر، انه عن طريق هذا "الحزب الصغير" ، استطاع صدام حسين تصفية

كل معارضيه . بحيث أنه عندما اصبح رئيسا للجمهورية استفاد كثيرا من حزبه الصغير هذا لسحق البعثيين القدامى و ابعادهم و الأتيان بالأخريين ممن كانوا اقل مرتبة منهم وكانوا من اقاربه واصدقائه القدامى[122]. لربما لو القينا نظرة على الأحداث الي تلت ازاحة احمد حسن البكر لأستفدنا منها كثيرا في فهم هذا الموضوع.

في الحادي عشر من تموز، في اجتماع خاص لمجلس قيادة الثورة تم تنحية احمد حسن البكر و تنصيب صدام حسين مكانه. بدون شك ان هذه العملية لم تكن بموافقة جميع اعضاء المجلس . البعض عارضوا تنحية احمد حسن البكر. لربما كان بسبب حبهم و تقديرهم للرئيس لكبر سنه او بعض الأحقاد او نتيجة لحساسيتهم تجاه صدام ، وبدون شك ، في العقلية التي تسيطرعليها العشائرية و الشمولية في نفس الوقت ، ان مسألة الأغلبية اوالأغلبية المطلقة والتي لا تسمح لفرد واحد بالسلطة المطلقة ، لاتتناسب والعقلية القبلية والتي وحسب وجهة نظرها عليها اى الأغلبية المطلقة ان تنتخب الرئيس دون تحفظ . وبعكسه ستعمل ماكنه السلطة المطلقة على صنع الأعداء في كل مكان. فالذي حدث في اجتماع 22 تموز 1979 ، يؤكد قولنا هذا.

في هذا اليوم اجتمع الكوادر المتقدمة في الحزب للتباحث حول امور دولة البعث. بدا طه ياسين رمضان(صديق صدام و قائد ميلشيا "الجيش الشعبي") الأجتماع بخطاب ارتجالي ، وبصورة غير متوقعة تحدث ياسين عن "انقلاب" ضد "الحزب والثورة" و وجود بعض الخونة في القاعة . وبدون شك ان هؤلاء الخونة جمعوا ولم يبلغوا عن موضوع الأجتماع. من الذي وراء هذا الأنقلاب هذه المرة ؟ سورية . من المعروف ان سورية ومنذ 1975 كانت تحاول تصفية احمد حسن البكر و صدام حسين لكي تمهد الطريق امام الوحدة بين العراق و سورية تحت قيادة حافظ الأسد. على اساس هذا الأتهام و بالأستناد الى شهادة بعض البعثيين، بدا صدام حسين في هذا الأجتماع وبصوت ملؤه الألم بتلاوة اسماء هؤلاء "الخونة" بعد ان انهى خطابه، اخرج 66 شخصية من القاعة اما الذين بقوا فبدأوا بالهتاف بحياة القائد الجديد وترديد نشيد الأنتصار على اعداء الشعب. في 28 تموز شكلت محكمة خاصة وتم تجريم 55 شخصية ، اعدم منهم 22 خمسة منهم من كانوا اعضاء في مجلس قيادة الثورة : محي عبدالحسين مشهدي، محمد عايش حمد ، عدنان حسين الحمداني ، محمد محجوب مهدي و غانم عبد الجليل. و اودع 33 منهم في السجن واطلق سراح 13 . وفي نفس الوقت قامت حكومة البعث بأذكاء الحماس الشعبي ليدفع بمأت الألاف الى الشوارع لأظهار دعمهم ومساندتهم لأعدام هؤلاء وليؤكدوا بان الغرض هو تحقيق العدالة[123]. واعتبر راديو بغداد اعدام هؤلاء رمزا لأنتصارة "الحزب والثورة" و الرئيس البطل صدام حسين[124].

في الثامن من اب، اعتبر صدام حسين الكشف عن هذه المحاولة الأنقلابية من مكتسبات" ثورة البعث" وان محاكمة هؤلاء "الخونة" تمت من قبل محكمة كانت نصف اعضائها من اعضاء مجلس قيادة الثورة واعتبره تصرفا ديمقراطيا عظيما وكان يقول : لأول مرة في تأريخ الحركات الثورية او في تأريخ البشرية يحدث ان يشترك اكثر من نصف اعضاء القيادة العامة في محاكمة(.....) من اجل ان ضمان

العدالة و أعلاء صوت الحقيقة"[125].لم يكن قد مرت اشهر قليلة من استلام صدام زمام الحكم عندم الزم جهاز المخابرات بتصفية كل البعثيين العملاء "للأمبريالية و الصهيونية"[126]. القى القبض على منيف الرزاز الذي كان نائبا للأمين العام للحزب ، في ابريل 1980 اغتيل عبدالكريم الشيخلي في بغداد الذي كان من الأصدقاء القدامى والذي ابعد من الحزب عام1971 ،في 1974 اغتيل سعد عبدالباقي الحديثي الذي ظل احد اعضاء القيادة القومية ومجلس قيادة الثورة الى يوم اغتياله . ان قائمة القتل و التنكيل والحبس واغتيال الأعضاء والشخصيات البعثية و اقربائهم طويلة ولانريد ان نذكر كل هؤلاء و ظروف تصفيتهم . إلا انه ومع كل حملات التصفية التي مورست ضد"اعداء الثورة" خطا صدام خطوة سياسية كانت تنم عن "مكر و دهاء" هذا الشخص .

ماذا كانت هذه الخطوة السياسية؟ "تشكيل المجلس الوطني".

ان المجلس الوطني والذي تطرق اليه الدستور المؤقت الصادر في 16 تموز 1970 [127] . تشكل في اذار 1980 بموجب القانون رقم 55 [128]. ماذا كان الهدف الحقيقي لهذا المجلس ياترى، والذي كان ظاهريا تشريع القوانين ؟

كان على المجلس الوطني مثلما كان حال الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ان يضفي مظهرا ديمقراطيا على سلطة البعث والذي كان صدام يعتلي عرشها، حيث كان ذلك ضروريا امام الرأي العام اكان ذلك داخل العراق ام في خارجه . في 20 حزيران 1980 ، انتخب 250 شخصا من مجموع 840 مرشحا[129]. ماهي الشروط المطلوبة توافرها في المرشحين؟

ان لا يقل عمرالمرشح عن 25 سنة وان يكون عراقيا و من ابوين عراقيين. والأكثر من ذلك ان لايكون متزوجا من اجنبية وان يكون مؤمنا بمبادئ ثورة تموز[130]. وشكلت لجان لغرض تأمين هذه الشروط و ظهر صدام في يوم الأنتخابات على شاشة التلفزيون لكي يقول"يجب علينا ان نضمن بأن يسلك ثلاثة عشرمليون ونصف نفس الطريق. ان الذي يسلك الطريق الخطأ يواجه بالسيف[131].

في ظل هذه الأجواء المرعبة هل كان بأستطاعة الناخبين ان يصوتوا لغير البعثيين؟ وعلاوة على ذلك فأن الشروط المطلوبة توافرها في المرشحين لم تترك اية فرصة لغير البعثيين في ان يرشحوا انفسهم . في اجواء كهذه هل كان بأمكان غير البعثيين ان ينتخبوا؟

في اليوم التالي للعملية الأنتخابية ، اعلن حكومة البعث نتائج لتصويت : من مجموع 250 عضوا فاز فقط 17 من المستقلين[132].ومن ضمن النواب البعثيين كان اربعة منهم اعضاء في مجلس قيادة الثورة، واربعة وزراء، بهذه الصورة كانت هذه "الأنتخابات" من وجهة نظر الحكم البعثي في الحقيقة مساندة شعبية للرئيس صدام حسين"[133].وبمناسبة انتصار الحزب اقيمت احتفالات كبيرة ودعا الرئيس العراقي الصحفيين العرب والأجانب لكي ينقلوا "هذه التجربة و المعاني الديمقراطية لها للعالم "[134]. هكذا يصف صحفي في جريدة نيورك تايمز الأحتفالات التي جرت بمناسبة الأنتخابات:

"هنا في النجف ، التي تقع على ضفاف الفرات، والتي تعتبر مقدسة لدى الشيعة استقبل المحافظ (مزبان خضر)الضيوف في مكتبه الذي كان فيه ستة تلفونات وستة صور لصدام حسين". وفي معرض" امتنانه لقائد الثورة والحزب" بمناسبة هذا الحدث التأريخي كان يقول "نعبر عن مساندتنا لصدام حسين الذي هو امل الأمة والوطن العربي"[135].

يجب الأشارة الى ان عراق البعث والى حزيران 1980، كان يدار من قبل نظام سياسي هيئته التشريعية عبارة عن مجلس قيادة الثورة . بعد مجئ صدام حسين انتقل مهمة التشريع ظاهريا الى المجلس الوطني. ولكن كيف نستطيع التكلم عن استقلالية جهاز تشريعي يتكون جل اعضاءه من البعثيين تقريبا ويتلقون الأوامر من مجلس قيادة الثورة و خاضع تماما لأرادة الرئيس؟

ان المهم في هذا هو ان بالأضافة الى (المظاهر الديمقراطية التي كان الرئيس يريد ان يضفيها على حكمه) ففي الواقع العملى كلن يريد ان يلعب على حبلين: فبأضافته لبعض البرلمانيين الكورد "المستقلين" الى المجلس الوطني كان يريد امتصاص النقمة الواسعة على الماكنة البعثية ، لكن وفي الوقت ذاته كان يريد التغطية على حملات القتل والتنكيل عن طريق ابداء المرونة واللين تجاه العراقيين لكي ينتخبوا ممثليهم . هذه اللعبة كانت عبارة عن سياسة "العصا والجزرة" "الأسد والثعلب" والذي يتحدث عنها ماكيافيلي :" لأن الأسد لايستطيع المحافظة على نفسه من المصيدة والثعلب من الذئب. لذا عليه ان يكون كالثعلب لكي يتعرف على المصيدة وكالأسد لكي يخيف الذئب"[136].بالأضافة الى ما ذكرناه لحد الأن، يجب ان نقول ان ما جعل من صدام الحاكم المطلق للعراق، هو قدرته على المراوغة والأحتيال اي احساسه بالخطر قبل وقوعه فيه و طبيعته العملية و براعته في فن ترهيب المقابل . لكن وفي نفس الوقت كان يعرف كيف يجعل من نفسه محبوبا و ان يكسب الأصدقاء و ان يجمع القسوة مع الحب في بوتقة واحدة. فهو امام الجماهير كان يتظاهر كأب حنون، ولكن مع اصدقائه و الذين كانوا يلتفون حوله كان ابا لا يعرف الرحمة ، وكان علاقاته مع حاشيته وجهاز المخابرات جيدة . وكان يستغل علاقات الصداقة مع الذين كانوا يطيعونه على طول الخط لضرب من كان يشك في ولائهم له او انهم من الأعداء. في الأجتماع الخاص لمجلس قيادة الثورة في 11 تموز 1979 والذي قرر فيه ان يصبح رئيسا للعراق، كان صدام حسين قد تناهى الى سمعه بأن محي عبدالحسين مشهدي تفوه بكلام ينتقد فيه ازاحة لأحمد حسن البكر اذ قال للبكر: ان تنحيك عن السلطة شئ غير مقبول" لو كنت مريضا لماذا لاتخلد للراحة بعض الوقت ؟[137]. ولاحظ ايضا "امارات عدم الرضى على تصرفات محمد العايش" وكان "واضحا" بأنه ينظر اليه بحقد ، وشكه من هذا الموقف حدا به وقبل الأجتماع بيوم الى ان يكلف طارق عزيز ليقضي امسية مع العايش ليتعرف على نواياه عن قرب . ولكن صديق صدام حسن المخلص خرج من عند العايش خالى الوفاض . ولأن رسالة طارق عزيز لم تقنع صدام حسين ارسل هذه المرة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت ابراهيم و اخوه الشقيق برزان التكريتي[138]. كانت هذه احدى الوسائل المتبعة لديه لتصفية الذين يشك في ولائهم المطلق له.

كانت هنالك طرق اخرى ومنها المواجهة المباشرة. في بداية عام 1979 ، ارسل صدام حسين في طلب وزيرين شيوعيين الى مكتبه ليتحدث اليهم في مسألة ترقيتهم في جهاز الدولة. بعد جلوسهم اخرج الرئيس مسدسه و قتلهم [139]. وفي اجتماع لمجلس الوزراء سنة 1982 ، يقترح وزير الصحة رياض ابراهيم حسين بأن يتنحى صدام بصورة مؤقته عن الحكم لأحمد حسن البكر "والذي كان لايزل على قيد الحياة" كي يمهد الطريق امام وقف الحرب و بدء المباحثات مع ايران. ماذا كان اجابة صدام؟"لنذهب الى الغرفة المجاوة لكي نكمل الحديث حول اقتراحك هذا " لقد وافق الوزير بدون شك على الطلب وبعد لحظات يسمع صوت طلقة . ويرجع صدام حسين لوحدة الى قاعة الأجتماع وكأن لم يحدث شيئا[140]. هل تكلم الأخرون او فعلوا شيئا ؟ لقد اختاروا الصمت بدون شك مخافة تورط انفسهم مع المغدور واتهامهم بالخيانة وبالتالي سوقهم من قبل جهاز المخابرات التي قد طوقت القاعة الى حيث النهاية غير السعيدة ؟

هذه الطريقة، طريقة المواجهة المباشرة و القتل، يكوّن الطبيعة النفسية لصدام. محاولته لقتل عبد الكريم قاسم و قتله لسعدون الناصري عندما كان في مقتبل العمر و اقتراحه بقتل على صالح السعدي" بطلقة ثمنها خمسون فلسا"[141]، تؤكد هذه الطبيعة. طبيعة اهل البادية ذوالعصبية القبلية المليئة بالحقد وروح الأنتقام عندما تفشل لغة الحب في الوصول الى النتائج المرجوة. بالأضافة الى هذا كان صدام يعتبر "رمزا" للحزب والثورة. في سنة 1981 يقول طه ياسين رمضان: ان صدام حسين هو على الدوام الأمين العام للحزب و نحترمه لأنه يعبر عن ايدولوجية الحزب و مطالب الشعب[142]. ان التقرير السياسي للمؤتمر القطري التاسع لسنة 1982 يقول " يعتبر صدام حسين رمزا للحرية والأستقلال و الفخر و الصدق وهو الأمل لتحقيق مستقبل افضل للعراق والأمة العربية هذه الحقيقة (.....) تدفعنا نحن ان نمشي وراء تلك الراية التي يرفعها بمقدرة عالية و بنكران للذات [143].

هوامش الفصل الأول

1- انظر:

Magid Khaddury, political Trends in the Arab World ? The Role of Ideas in Politics, Baltimore:john Hopkins Univesrsity Press 1970,P.153.

أو

Middel East Forum, Forun interview ?Michel Afaq, Tom III, February,1958,P.9

2- shafik A.R. assamarraie, Le Parti Bath Arabe- socialiste et son role dans la politque arabe depuis sa creation a nos jours, these de dectorat d' etat, Univeraite de droit et des sciences economiques, Nice,nov. 1976, P.23.

3-olivier Carre, Le nationalisme arabe, Fayard, 1993 ,Paris, P.43.

4- middle-East Form,ibid,P.9.

5- Norma Salem Babikian, "Michel Aflaq,A Biography outline,in,Arab syudies Quartery, Institute of Arab Studies and A.A.U.S. Vol. II,P.162.

6- Hanna Batatu, The Old social classes and Revolutionary Mouvment of Iraq.A Study of Iraq's Old Landed and commercial classes and of its Communists ,Bathists and Free Offices, 1978? Princeton University Prees,P.725.

7-Patric seale, The struggle for Syria , A study of Post – War Arab Politicals 1954-1958, 1965, Oxford Univesity Press,London,New York, Toronto,P.148.

8- Norma – Salem Babikian,Ibid,P.164.

وانظر ايضا

Magid khaddury, Arab Contemporary, The role of Personalities in Politics,1973, Baltimore: johans hopkins University,P. 213;

Kamel S.Abdul Jaber, The Arab BathSocialist Party, Hstory, Idelogy and Organization, 1966, Syracse Univesity Press, P.10-119.

Walfik Raouf , Nauveauregard sur le nationalism arabe,Bath et Nasserisme, 1984 , L'Harmattan, Paris,P.92.

9- sammir al-Khalil, Iraq, La machine infernale, Politiqu de I'Iraq moderne, 1991 Edition.Jean-Claude Lattes, P.241.
10- C . R . M . A . C , Parti Bath, Cahir 5 ,p.2.
حول حزب الشعب العربي انظر:
Labib Yamak, The Syrien Social National Party,1966 , Canbridge,Mass, Harvard UN.Press;Ed.SAAB,La Syrie Ou La revolution dans la rancoer , 1968 , Julliard P.47.

11- شبلي العيسمي، حزب البعث العربي الأشتراكي،مرحلة الأربعينيات التأسيسية1940 - 1949 ،دار الطليعة بيروت، الطبعة اثالثة،ص 21 .
12- Norma-Salem Babikan, of.cit ,P. 169
13-Patrek Seale, the Struggle for Syria ,of .cit . P.15
14- Roger faligot et Remi kauffer , Le Croissant et La Croix gamme, Les Secrets de I' alliance enter I' islam et le nazisme de Hittler a nos Jours, Edotion Michel A lbin,1990, Paris, Paris, P.83.
15- للمزيد من المعلومات انظر نفس المصدر ص 81- 84
16- Patrick Seale , of . Cit,p.8
17- Samir al-khalil, of.Cit.,p.243
18- شبلي العيسمي، حزب البعث العربي الأشتراكي نفس المصدر، ص 33-34.
19- سامي الجندي، البعث، بيروت ، دارالتهار للنشر،1969 ص19
20- Wafik Raouf , of. Cit., p.96.
21- يطلق على العلويين النصيرين ايضا. في السنوات التي تلت سقوط الدولة العثمانية ، بدأ محمد غالب الطويل والذي كان يسكن أدنة وكان قائدا للشرطة "بكتابة تأريخ العلويين والذي نشر عام 1924 بأسم (تأريخ العلويين). في هذا الكتاب ولآول مرة بدل اسم النوصيريين الى العلويين. فمنذ ذلك التأريخ اطلق على النصيريين اسم العلويين. ان كتاب محمد غالب الطويل كان يريد بهذا ابعاد النصيريين عن السمعة السلبية لأنهم عرفوا بأنهم حادوا عن الدين اواللادينين . وكان ايضا يريد بهذا ان يربط العلويين بالشيعة الأثنا عشر. لهذا السبب وفي عام 1924 عين في المدن الجنوبية حكام من الشيعة الأثناعشر. للمزيد انظر:
Encyclopedie de I'Islam, Editions Leiden,E.j. Brill,p.149.
22- نفس المصدر ص148-150 ، انظر:

23- Hanna Batatu, of. Cit.723
24-نفس المصدر،ص 723.
25- نفس المصدر.ص723. انظر ايضا

Hisham B.Sharabi, Governments and Politicus of Middele – East in the twetieth Century, 1982 ?New York,pp.125-126.

26- نفس المصدر.ص 423.

27- Samir al-Khalil, Iraq, of .Cit.,p.244

28- Olivier Carre, of. Cit.Ip.42.

29- حول فكر الأرسوزي، انظر الكتب التالية:

زكي الأرسوزي ، العبقرية العربية في لسانها، مطبعة الحياة ، دمشق(الطبعة الثانية).

Samir al –khalil , op.cit., p.244-245. Olivier Carre ,Le Nationalisme Arabe , op.cit.,pp ,71-90.

30- جلال السيد، حزب العث العربي ، بيروت، دار النهار للنشر، 1973،ص19.

31- نفس المصدر. ص 27

32- حسن السعيد، نواطير الغرب ، صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي 1948-1968 ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، ص 53-54.

33- انظر:

Bichara Khader, Ie Parti Bath, C. R . M . A .C., Institut des Pays en developpement, Universite Catholique de Levain, Cahier v,p,p 1-7

34- انظرحسن السعيد، نفس المصدر.ص 62-63 .

35- Fouad Mater , Saddam Husayn ou le devener irakien, la Sycomore, Paris, 1980, pp. 17-18.

36- نفس المصدر ص154 .

37- انظر:

Maron Farok –sluglett and Peter- Sluglett, Iraq since 1958, From Revolution to Dictatorship, 1987 , p. 157.

37- وانظر ايضا:

John Bullock and Harvey Morris, Saddam’s War : The origins of the Kuweit Conflict and the international Response, Faber and faber, London, 1991,p.71.

للمزيد من المعلومات حول دوره في حزب البعث و ظروف مقتله ، انظر:

John F.Devlin,The Bath Party, A History From its Origin to1966 Hoover Instution Press Stanford, 1976, pp. 149 – 191 and n .13.207.

38- Amazia Baram? The Rulin POlitcal Elite in Bathi Iraq, 1968-1986: The Changing Features of a Collective Profile,in, International Gurnal of Middle East studies, vol,24,Fasc.4, 1989,pp 447-492 .

39- انظر كتاب ابن خلدون انه مهم جدا لفهم الية سياسة البعث : ابن خلدون ، المقدمة،دار احياء التراث العربي، بيروت (بدون تأريخ).
40- للمزيد من المعلومات حول العلاقات القرابة والمناطقية لحزب البعث العراقي انظر: طالب الحسن، حكومة القرية، فصول من سلطة النازحين من ريف تكريت،الجزء الأول، دار اور للطباعة والنشر ، بيروت2002 . انظر ايضا جعفر الحسيني، على حافة الهاوية العراق 1968-2002 ، دار الحكمة لندن 2003 ، ص9-120.
41- عند بطاطو كان اعضاء التنظيم الحزبي نوعين الناشطين و المرشحين وكان المرشحون يحصلون على العضوية الناشطة بالتزكية بعد ستة اشهر من قبولهم كمرشحين:
Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movement of Iraq, A study of its Communists, Bathists, and Free Officers? Princeton U niversity Press? Princenton 1976,pp. 742-745/
42- Ibid,p816.
43- Marion Farouk- Sliglett,p.69.
44- للمزيد من المعلومات انظر
Ala Tahir, Iraq aux origines du regime militaire, Editions L' Harmattan, Paris, 1989, pp. 40-45,pp. 152-163.
45- لمعرفة اسماء الوزراء انظر:
Ala Tahir, Ibid.pp. 132-133.
46- Ibid. pp 21- 77.
47- ليث الزبيدي،ثورة 14تموز1958 في العراق، وزارة الأعلام، بغداد، 1979 Ibid,p.182
48- حسن السعيد ، نواطير الغرب، مؤسسة الوحدات للدراسة، بيروت 1992،ص 104-105.
49- نفس المصدر،ص105
50- نفس المصدر ص105
51- Ala Tahir, Ibid ,p.188.
52- Marion Farok-sluglett, Ibid.Ibid,p.65
53- للمزيد من المعلومات انظر: ليث حسن الزبيدي، ثورة 14 تموز 1958 في العراق، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1981 ،ص 361-375 , وانظر كذلك، خليل ابراهيم حسين، ثورة الشواف في الموصل 1959 .
54- للمزيد حول طبيعة واهداف و ظروف هذه الأحداث انظر:
Hanna Batatu, op. cit ;pp.866-889
Marion Farouk –sliglett, op .Cit ;pp 66-70 .
Ala Tahir, op cit;pp.198-204.

55- Marion Farouk-sluglett,Ibid, p.65.
56- Ala Tahir, op .cit;p.214
57- شرع قانون اجازة الأحزاب السياسية في الشهر سنة 1960، لكنه كان ناقصا ولم يتمكن الأحزاب العراقية من الدخول المعترك السياسي الرسمي بواسطته سوى(الحزب الوطني الديمقراطي و الحزب الجمهوري) . انظر:
Marion Farouk-slugett, op.cit ; p.233-240.
58- بعض الكتاب يتسائلون كيف تسنى للبعث ان يحصل على تلك القائمة الطويلة بأسماء الشيوعيين . نستطيع الأجابة و بكل يقين بأن هذه القائمة اعدت من قبل المخابرات الأمريكية وسلمت للبعثيين وذلك للوقوف بوجه تنامي قوة و نفوذ الشيوعيين في العراق. انظر:
Marion Farouk-slugett, op.cit ;p.86.
ليس واضحا بما فيه الكفاية الطريقة التي نقل بواسطتها المخابرات الأمريكية(سي اي ايه) اسماء الشيوعيين لحزب البعث. في مقابلة له مع محمد حسنين هيكل يقول ملك الأردن "اسمحوا لي ان اقول لكم بأني متيقن من ان الذي جرى في 8 شباط 1963 كان مدعوما من ال(سي اي ايه). وان بعضا ممن يحكمون بغداد لايعرفون هذه الحقيقة. جرت مباحثات كثيرة بين البعث و المخابرات الأمريكية في الكويت (.....) اتعلم بأن كانت هنالك اذاعة سرية كانت تنقل اسماء و عناوين الشيوعيين الى المسؤلين العراقيين؟"
Hana Batatu , op. cit ; pp. 985-986
بالأضافة الى ذلك ، في لقاء له مع مجلة مصرية سنة 1967 ، يقول على صالح السعدي:" نحن جئنا بقطار امريكي" انظر:
Mahdi F ; Les Iimites du development : remarques sur I’ etat et la societe irakienne, in , L’Iraq, le Petrole et la gurre, peuples Mediterraneens, n,40, jili- sep, 1987,p.119
لكن حسن السعيد يقول ان صالح السعدي قال "نحن جئنا بقطار انكلو ـ امريكي" انظر:حسن السعيد ، نواطير الغرب .ه .س.ص 125 . وللمزيد انظر مجمل الكتاب نفس المصدر و كذلك انظر:
Edith and E,F. Penrose, Iraq International Relations and National Development, London, 1978.
59- Samir al-Khalil, Iraq , La machine infernale, Editions Jeans claude Latte’s 1991,p.60.
60 Hanna Batatu, Ibid ;p.982.
ان مضمون هذا البيان اخرجه حنا بطاطو من "الوقائع العراقية عدد771 في 1963/2/18 . لكن مجيد خدوري يكتب بصورة مختلفة عن مضمون هذا البيان : انظرمجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، انتشارا الشريف الرضي، امير رقم،ص264-265 .

61-John F .Devlin, The Bath Party, A History from its Origins to1966 ,Hoover Institution Press, Stanford, California, 1976,p. 255 &nd n.2P.276

62- انظرحسن السعيد،ه. س . ص139

63-Ibid ,p.990.

64- درس على صالح السعدي التجارة في بغداد ومنذ 1960 اختير امينا عاما لحزب البعث في العراق وفي شباط 1963 اصبح رئيسا للحكومة البعثية. وبعد سقوط البعث وفي نوفمبر حاول ابعاد "الجناح اليساري" من الحزب (احمد حسن البكر و البعثيين الأخرين الذين استولوا على الحكم بعد 1968) ولكن ابعد هو وحل محله احمد حسن البكر.

65- Hanna Batatu, Ibid ;p.990

66- حسن السعيد، نواطير الغرب ه . س.ص139

67- حسن السعيد نفس المصدر اعلاه ص 139

68- محمد سعيد النجدي ، حصيلة الأنقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية دار امية ،1966 ص44

69- Hanna Batatu , Ibid ;p.1012.

في الحقيقة لايوجد اتفاق حول عدد الحرس القومي : مثلا، عندما يشير كاتب الى جريدة البعث يقول في شهر اذار وصل عددهم الى سبعين الف ولكن على صالح السعدي يقول ان عددهم كان عشرين الف . انظر:

John Devlin,op.cit ;p.264.

كذلك انظر

Uriel Dann, Iraq under Kassem, Praeger, New York, 1969,p.367

70- للمزيد من المعلومات عن قوائم الأسماء انظر:

Phebe Marr, The Modern History of Iraq, Westview Press,London,1985,pp.331-332.

كذلك انظر،حسن السعيد، نواطيرالغرب،نفس المصدر.ص429-431.

71- ان التقرير السياسي لمؤتمر البعث يتطرق بصورة مفصلة الى تلك الأحداث التي تلت انقلاب 17 من تموز حيث تم عزل عبدالرزاق النايف و عبدالرحمن الداود، انظر:

The 1968 Revolution in Iraq, experience and prospects, the political rapport of the eith congress of the Arab bath socialist party, January 1974, ithacha press, London, 1979, pp.20-29.

72-Marion Farouk – sluglett, ibid. P. 115. pheb marr, ibid., p. 83. 74- marion farouk – sluglett, ibid. p. 121

73-Samir al- kalil, Iraq,la machine infernale,op.cit.,p.83.

74-Marrion Farouk-sliglett,Ibid.p.121.

75- ibid, p.121 samir al – khalil, op. cit., p. 86s

76- حسن السعيد نفس المصدر السابق ص 165 .
77- Marx Sawdayee,AII Waiting to be Hunged :Iraq Post Six Days,Diary, Tel Aviv ,Leranda Press, 1974,p,90.
78- Samir al-khalil,op.cit,p.87.
79-Ibid. p,88.
80- حول الحزب السيوعي (القيادة المركزية) وعزيز الحاج انظر:
Abbas Kelidar, Aziz al-Hajm: A Communist Radical, in, The Integrationof modern Iraq, Croo Helm LTD, London,1979,pp.183-192.
81- Hanna Batatu .of.cit., pp 1069-1071.
82- Marion Farok-Slugett., of .cit pp.121-122.
83- Samir al-khalil,Ibid.,p.88.
84-The 1968 Revolution in Iraq,of.cit.,p.39.
85-Ibid.,p.40
86- Ibid.,p.40
87- Phebe Marr, The Modern History of Iraq, of. Cit., P.213
88- The revolution in Iraq, Ibid., p.41.
89- Ibid., pp.45-48.
90- للمزيد انظر
Hanna Batatu, op.cit.,pp.1101-1105
91-Chris Kuschera,Le mouvement national Kurde, Flammarion,Paris1979,pp.279-299.
92-Ibid,p.287.
93-Hanna batatu,op.cit.,p.1103.
94-Ibid.,pp.1103-1104.
95- للمزيد من المعلومات حول محتوى هذه الأتفاقية انظر:
Ibid.,pp.1107-1108
96-Richard F.Nyrop ,Iraq,ACountry Study,the American University, Washtngton,DC ,1979,pp.199.
97- Ibid.,pp.198-199.
98-The 1968 Revolution in iraq,op,cit.,p.67.
99-Ibid.,p.68.
100- هنالك الكثير من الكتب و البحوث و المنشورات حول سياسة البعث ضد الكورد وبالأخص التالية:
Mirella Galletti,Svilippi del problema Kurdo1076-1978,in,Oriente moderno,n58,1978,pp.463-474.

Mirella Galletti ,L'ultima rivolta kurda in iraq, Oriente Moderno,n.55,1975,pp.462-472.
Edmond Gareeb, The kurdish Question in Iraq, Syracuse University Press,1981.
Ismat cherif vanly,Le Kurdistan d' Iraq ,in,les Kurds rt le kurdistan Couvrange Collectif dirige par Gerard Chaliand, paris,1978,pp.285-305.
Chis kutsudhera,le Mouvment national Kurde, op.cit.,301-333.
Hans Rimscha et Ralf Schneider,Les Deportations dans le Kurdistan irakien et les refugies Kurdes eu Iraq, in, Les Kurds Par-dela-I'exode, I'Harmattan, Paris,1992,pp.24-40.
101- صدام حسين خندق واحد ام خندقان، كتاب: الثورة والنظرية الجدية،دار الحرية للطباعة،بغداد،1981،ص 220.
102- نفس المصدر.ص1087.
103- خطاب لصدام حسين في:
P.Mansfield, Iraq ; the Contemporary state,London,croom Helm,1982,p.68.
104- الثورة والنظر الجديدة،نفس المصدر ص222.
105- نفس المصدر.ص 224.
106- Marion Farouk-sluglett,op.cit.p.183.
107- صدام حسين خندق واحد ام خندقان،نفس المصدر.ص225 .
108- نفس المصدر.ص233
109- Fouad Matar, Saddam Hasayn ou le devenir,Le Sycomore,Paris ;1980,p.225.
110- Ibid.,p.37
111- ان مصدر بحثنا يرجع الى الدستور العراقي سنة 1970 والذي صدر بقرار مجلس قيادة الثورة :"الدستور المؤقت و تعديلها ، الجمهورية العراقية، وزارة الأعلام،مديرية الأعلام العامة، الطبعة الثانية".اتظر المادة37 من الدستور العراقي نفس المصدر.ص16.
112- نفس المصدرالمادة40 ص 14.
113- انظر المواد 2،3،4،5،6 نفس المصدر ص18- 19.
114- المادة 57 ،ص24.
115- المادة57 ص25.
116- احد الكتاب يرجع دخوله الى صفوف البعث الى سنة 1957 ، ولكن هنالك الكثير من المصادر يرجعونه الى سنة 1955 . ان هذا التناقض مرده حسب هذا الكاتب ان صدام حسين اراد ان يكبر نفسه سنتين اي ان يجعل تولده في سنة 1937 بدلا من 1939 ولكي لا يكون هنالك تناقض بين تأريخ تسجيله في حزب البعث و

تأريخ ميلاده، حيث قام بتغير كافة سجلات النفوس. ان هذا الكاتب الذي يؤكد هذا التاريخ مستعينا بالأدلة و الوثائق، يوجه انتقاده الى حنا بطاطو والكتاب الأخرين ويقول في هذا الصدد ان صدام حسين قد كبر عمره سنتين ليكون في نفس عمر زوجته ساجدة التى كانت تكبره سنتين ، وهذا ما خلق بعض المشاكل النفسية لصدام في بيئته العشائرية.

انظر: طالب الحسن، حكومة القرية، فصول من سلطة النازحين من ريف تكريت،دار ادر للنشر بيروت 2002،ص349-358.

117- لمزيد من المعلومات انظر جعفر الحسيني، على حافة الهاوية، العراق 1968-2002 دار الحكمة،لندن،2003،ص104.حول طفولة صدام و سرقاته من الأخرين وعنفه ، انظر نفس المصدر السابق :طالب الحسن ، ص337- 525

انظر:

EfraimKarsh and Inari Rautsi, Saddam Husayn,A Political,Biography,Bpcc Wheaton, London,1991

118- لكزيد من المعلومات حول المحاولة - انظرطالب الحسن نفس المصدرص351-355 . وايضا

Marion Farouk-sluglett,op.cit,pp72-74.

ان كاتب سيرة صدام يمتدحه و يتحدث مطولا عن المحاولة وعن اصابته بجرح :

Fouad Matter,op.cit,pp.27-37

ان هذا الحديث يتناقض مع رواية طالب الحسن ، نفس المصدر السابق ص 351-355.

119- Efraim Kars hand Inai Rausti,op.cit.,pp.24-25.

120- Sami al-khalil,op.cit.,p.61.

121 Christine Moss-Helms, Iraq ,Estren Flankof the Arab Word, Washington,D.C., 1984,p.94

للمزيد انظر:

122- Efraim Kars hand Jnari Rautsi, op.Cit.pp.113-116

123- Ibid,p.116.

124- Ibid,P .117

125-Ibid,p.117

126- للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع هنالك كتب عدة مثلا:

عثمان الراوندوزي المحامي، استجواب صدام حسين رجل المتناقضات، الدار الأندلسية ص 2002.

طالب الحسن ن فصول من سلطة النازحين من ريف تكريت نفس المصدر

حسن السعيد نواطير الغرب نفس المصدر

حسن العلوي العراق دولة المنظمة السرية، لندن 1990

انظر: جعفر الحسني . على حافة الهاوية، العراق 1968- 2002 دار الحكمة لندن2003 .
وايضا:
Efraim Karsh ,op .cit,
127- انظر الدستور الؤقت وتعديلاته ص20- 24.
128- The National Asembly, Legislation, Supervision,Ministry of Information and Culture, Dep of Information, al-Hurriya Press, Baghdad, 1989,p,12.
129- Ibid.,p.12.
130-EfraimKarsch,op.cit,p.120.
131- Ibid.,p.120.
132- Ibid.,p.120.
133- TheNational Assembly,Ibid,p.19.
134- Ibid.,p.20.
135-New York Times, June21,1980
136- Nicolo Machiavelli,II Principe,Milano,1960,X,VIII-3,P.72
137-Efraim Karsh, op. cit.,p.113
138- انظرخطاب صدام بهذه المناسبة
Ibid.,p.114.
139- Ibid.,p.96.
140-Ibid.,p.66.
141- طالب الحسن حكومة القرية نفس المصدر ص202.
يروي الكاتب بأن في سنة 1963 نشب صراع بين طالب شبيب وزير خارجية العراق حينذاك وعلى صالح السعدي حول توسيع قاعدة الحزب والحرس القومي حيث اقترح ميشيل عفلق عقد مؤتمر قطري لأيجاد حل لهذا الصراع، ابتدع صدام حسين طريقة اخرى لمنع على صالح السعدي من الفوز في هذا الصراع الا وهي قتله برصاصه ثمنها خمسون فلسا و والقاء التهمة على اثنين من الشيوعين و اعدامهما لقتلهما السعدي. انظر نفس المصدر ص2001- 2003
142- Christine Morss-Helms,op.cit.,95
143- التقرير السياسي للمؤتمر القطري التاسع:
Marion Farouk-slugett,op.cit,p.262.

الفصل الثاني
الية عمل نظام البعث في العراق

تنظيم البعث و البوليس السياسي

بعد ان استولى البعث العراقي على السلطة في تموز 1968 ، قام وعلى الفور و من منطلق شمولي بوضع برنامج لتبعيث المجتمع العراقي. إن هذه العملية كانت قد تم لها الأعداد سلفا وإن التقرير السياسي للمؤتمر الثامن لحزب البعث واضح بمافيه الكفاية حول هذا الموضوع[1].

الخطوة الأولى كانت هي تنظيم الحزب من الداخل بصورة جيدة عن طريق الماكنة الأعلامية واطلاق حملة لتنظيم المواطنين في الحزب. بعد عدة سنوات و بالتحديد بعد 1975 ، استطاع البعث ان يتحول الى جهاز تنظيمي متكامل وان يطور تكوينه الداخلي بصورة ملفتة للنظر. كان التنظيم يتكون من خلايا منفصلة ذات تشكيل هرمي . وكانت مرتبطة مع بعضها عن طريق تسلسل هرمي وفي نفس الوقت كانت مرتبطة بعناصر من المخابرات والتي بدورها كانت مرتبطة بصورة مباشرة بحاشية صدام. مع مرور الوقت ، اصبح تنظيم البعث الة مرعبة مهمتها مراقبة سائر العراقيين ولم يستثني منها اعضاء البعث ايضا. من اجل ان نفهم جيدا عمل هذه الألة الرهيبة ، يجب علينا وقبل كل شئ ان نبدأ بتحليل البناء التنظيمي للحزب .

منذ بداية تأسيسه سنة 1947 و بعد ان استولى على السلطة، اتخذ البعث من التكوين الخلوي اساسا للتنظيم السياسي ، ان هذا النمط من التنظيم بنى خلال السنوات 1940 و 1950 من قبل ميشيل عفلق الذي كان مؤسسا للبعث . كانت ستراتيجية البعث هي العمل في كافة البلاد العربية وتفجير الثورات فيها. بهذا المعنى نستطيع القول بأنه وبموجب النظرة البريتورية[2] وبأساليب غير ديمقراطية ، حاول البعث بصورة علنية كانت ام سرية ان يبني شبكة له في البلدان العربية التي كان يعمل فيها. والجدير بالذكر تم تأسيس فرع الأردن سنة 1948 وفرع تونس 1950 وفرع العراق 1952 فرعين في ليبيا ولبنان 1954. واستطاع ايضا ان يكوّن له تنظيمات في السعودية واليمن وقطر وعمان والكويت [3].

ان الوحدة الأساسية للحزب كانت تسمى "الخلية" ، الحلقة او وحدة الأنصار. كانت الخلية اصغر وحدة في الحزب وتتكون من ثلاثة الى سبعة اعضاء . والفرقة كانت تتكون من اثنتان الى سبع خلايا، و"الشعبة" كانت تتكون من فرقتين على اقل تقدير. في سنة 1980 كانت هنالك احدى وعشرين شعبة موزعة على محافظات العراق كافة واما العاصمة بغداد فكانت مقسمة على ثلاث شعب[4]. والقيادة القطرية كانت تتكون من مجموع الشعب. و تنتخب من المستويات الهرمية للحزب قيادة كانت تسمى "القيادة القطرية". على المستوى النظري كان يجب ان تكون لكل دولة عربية قيادة قطرية ولكن في الواقع لم يستطع البعث الوصول الى هذا الطموح سوى في العراق وسورية ولربما في الأردن ولبنان ايضا. وكانت هنالك قيادة اخرى بأسم القيادة القومية هي ارفع منزلة وشأناً من القيادة القطرية حيث تخضع لها الأخيرة

وتعتبر اعلى سلطة في الحزب واعضاءها كانوا من العراق و البلدان العربية ،القيادة القومية في الثمانينات كمثال:
ميشيل عفلق، مؤسس الحزب و امين عامه (سوري)، صدام حسين نائب الأمين العام (عراقي)، شبلي العيسمي(سوري)،عبدالمجيد الرافعي(لبناني)،علي غنام(سعودي)، قاسم سلام (يمني)، بدرالدين مدثر(سوداني) ، عزت ابراهيم (عراقي) طه ياسين رمضان (عراقي) ، طارق عزيز (عراقي)[5].
على المستوى النظري كانت "القيادة القومية" اعلى سلطة تنفيذية، وكانت ايضا مسؤولة عن وضع الأطار النظري لعقيدة البعث و الأدارة السياسية والتنسيق بين القيادات القطرية و المشاركة في المؤتمرات العالمية...الخ، ولكن بعد ان انقسم البعث الى جناحين في 1966 بين العراق وسورية ، تلاشت هذه الأهمية شيئا فشيئا.
من المعروف أن القيادتين القطرية والقومية كانتا تعملان تحت مظلة مجلس قيادة الثورة التي كانت عبارة عن اعلى سلطة تنفيذية وتشريعية وقضائية والمقرر الوحيد لسياسيات العراق . في الحقيقة بعد ان تولى صدام زمام الحكم ، تحول هذا الجهاز الى اداة بيده و ايدى اقربائه و اصدقاءه المقربين الذين كانوا قد كلفوا بأعمال مخابراتية وتجسسية.

تنظيم حزب البعث في سنة 1984

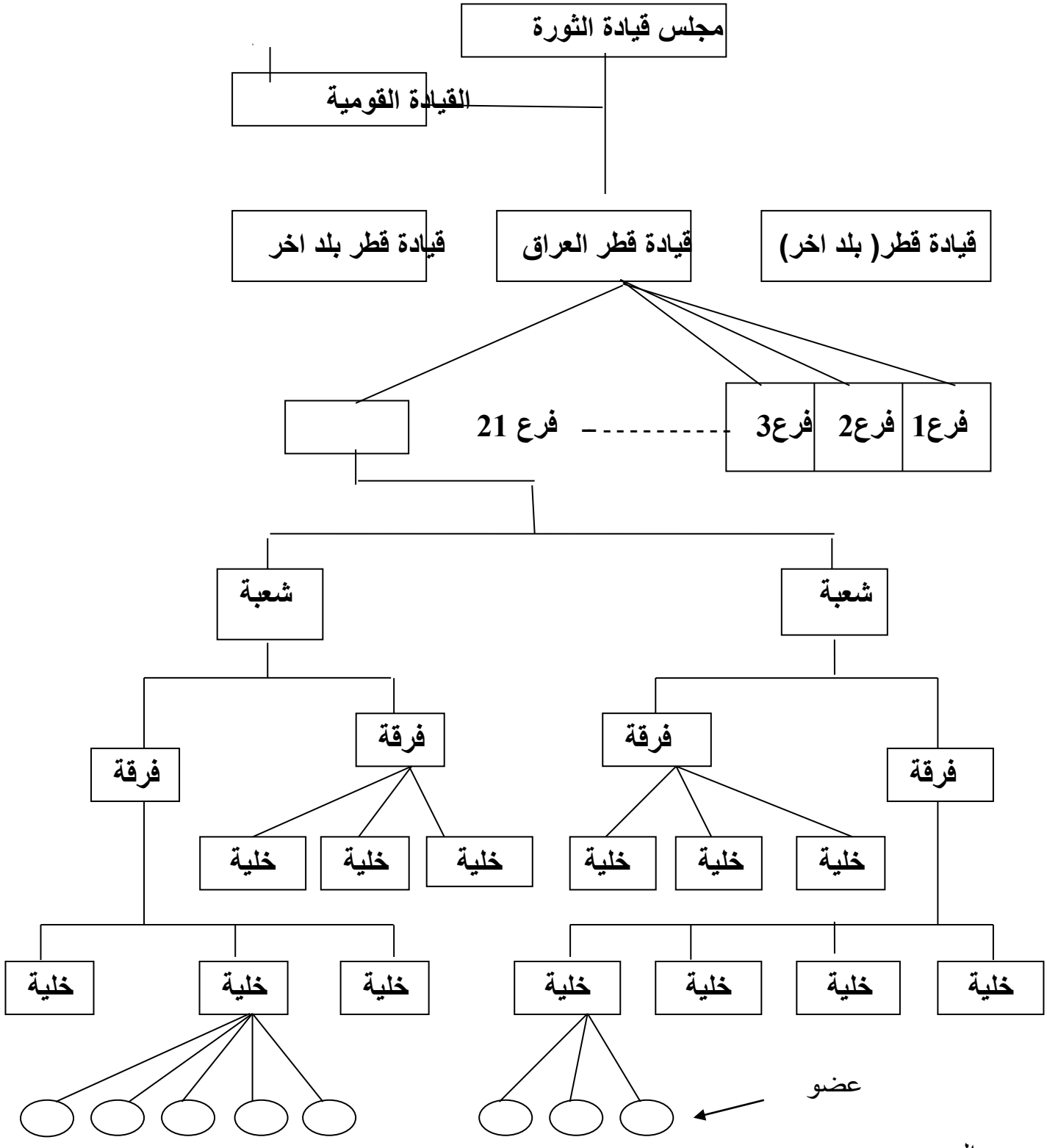

المصدر

Christine Moss Helms,Iraq Eastern Flank of the Arab World, Washington ,DC,1984,P.84

في سنة 1964 مر تنظيم حزب البعث بأزمات عدة ، لجأ خلاله الى اختيار شكل معين من التنظيم والذي كان يسمى "التنظيم او الجهاز الخيطي" هذا الشكل من

التنظيم اتبع في سوريا بعد 1976 و بلدان عربية اخرى و بموجب هذا الشكل من التنظيم " الخيطي" لم يكن بأستطاعة العضو سوى التعرف على شخصين في التنظيم : ما فوق و ماتحت.
في نهاية 1962 كانت هنالك عدة لجان في الحزب يطلق عليها "لجان الأنذار" يتكون من اشخاص كانت لهم دور كبير في الحزب. بعد سقوط نظام البعث في نوفمبر 1963 الى سبتمبر 1964، مر البعث بتجربة قاسية وكان يعيش حالة عصيبة . فقام مجموعة صغيرة من البعثيين بأنشاء تنظيم سري يعمل بموازاة التنظيم المعروف ولم يكن هذا التنظيم السري معروفا حتى لدى البعثيين انفسهم. صدام حسين كان احد اعضاء هذا التنظيم [6].

التنظيم الخيطي لحزب البعث العراقي

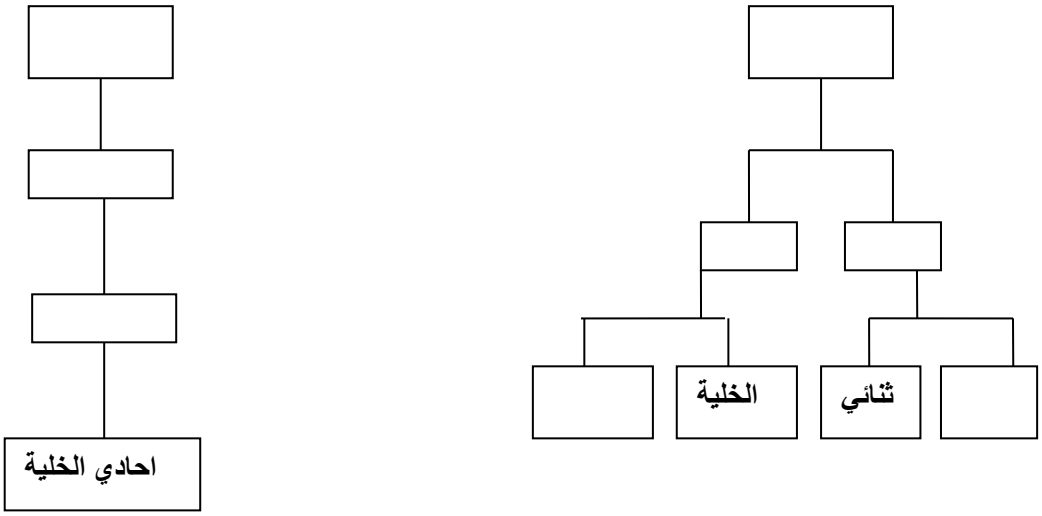

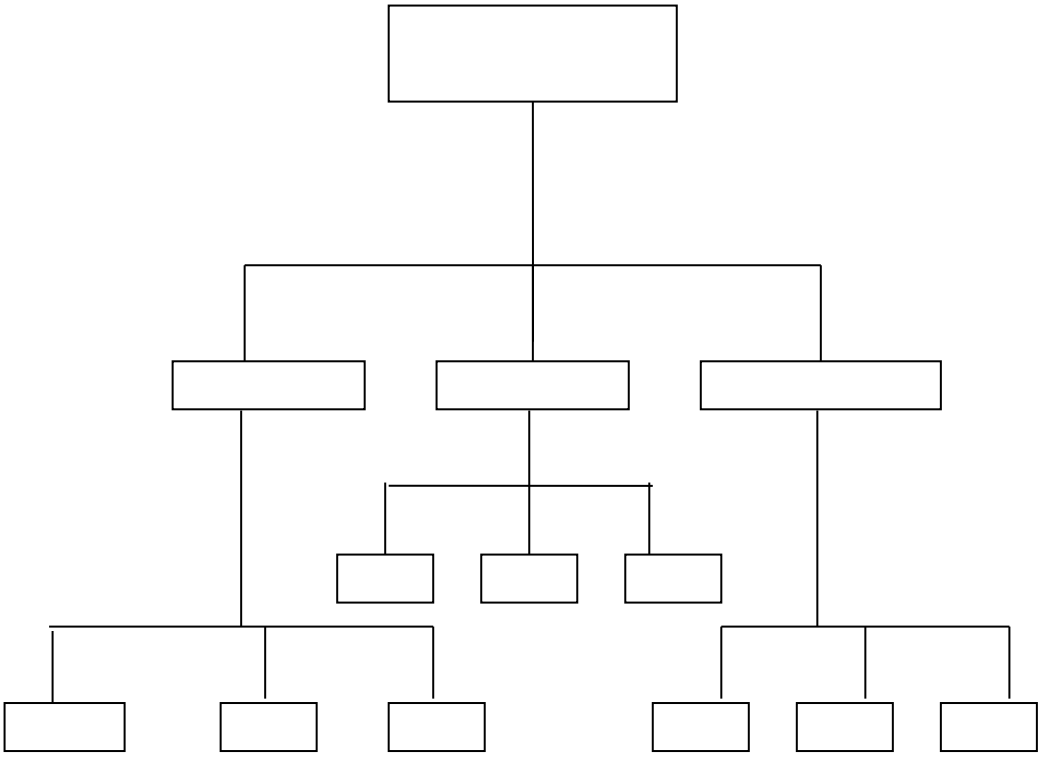

ثلاثي الخلايا

المصدر:

,,Iraq Eastern Flank of the Arab World, op. cit,P.86 Christine Moss Helms

كان على المنتمي الى صفوف تنظيمات البعث أضافة الى شرط العمر وهو سبعة عشر عاما ان يبقى سنتين بصفة "مؤيد" يرقى بعدها الى "نصير" . حيث كان على الأخير ايضا ان ينتظر لمدة سنتين اواكثر لكي يتم تربيته تربية بعثية فيرقى الى "مرشح" لمدة سنتين و بعدها يتحول الى "متدرب" لمدة سنة اذ كان يحصل على جرعات مكثفة من مبادئ وعقيدة البعث ليصبح فيما بعد عضوا ليكون مسؤلاً عن الأنصار في بادئ الأمر ، وعضو فرقة فيما بعد ، الى ان يتحول الى مسؤل عن الأعضاء ، فعضو الشعبة ، ويكون مسؤلاً عن اعضاء "الفرقة" ، وفي حال اصبح عضو فرع سيكون بالتالي مشرفا على اعضاء "الشعبة" ..... الخ، في الحقيقة جعل تنظيم البعث بصورة حيث كان هنالك دائما رئيسا فوق رئيس[7] مهمته مراقبة مادونه و تقديم التقارير عن كل حالة تستوجب ذلك.

يجب القول بأنه كان للبعث تواجدا عريضا في كل العراق فخلاياه و فروعه كانت منتشرة في كل المناطق والوحدات الأدارية : في القرى و المدن والقصبات و المعامل و الدوائر و المدارس و الجامعات و النقابات و المستشفيات...الخ[8].

وان طريقة التنظيم كانت تسهل سرعة وصول المعلومة من الأدنى للأعلى. فمثلا كان على اعضاء الخلايا الأولية و المتوسطة ان يرفعوا التقارير وبصورة منتظمة عن الناس واماكن عملهم . ان العامل الوحيد في تحديد مدى احقية العضو في سرعة الترقية الحزبية هو التفاني والعمل بنشاط في مجال كتابة التقارير و ايصال المعلومات . لم يكن للأعضاء في التنظيم الحزبي اي حق للمناقشة او نقد الية العمل في الحزب لم تكن هنالك قرارت داخلية بل كان عليهم تطبيق اوامر المسؤولين استنادا الى مبدا من الأعلى الى الأدنى . بهذه الصورة وبسبب هرمية العلاقات بين التنظيمات البعثية و انقطاع الخلايا عن بعضهما البعض ، كان بأستطاعة البعث ليس فقط ان يسيطر على كيفية قبول الأعضاء وانما ارغامهم على الطاعة بشكل يكون معه من المستحيل حدوث انقسام في الحزب.

بموجب سجلات الشرطة العراقية لم يكن للبعث سنة 1955 سوى 289 عضو. بعد انقلاب عبدالكريم قاسم في 14 تموز 1958 على الحكم الملكي، استطاع البعث ان يكسب 300 عضو عامل[9] و 200 مؤيد و1200 شخص منظم و10000 مواطن الى تنظيمه[10].في سنة 1976 استطاع ان يكسب 500000 مواطن الى صفوفه 10000 منهم اعضاء عاملين اكثريتهم من الذين شاركوا في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم في سنة 1959 و انقلاب 1963 و 1968[11]. هؤلاء كانوا يعتبرون من ارستقراطيي الحزب ، و اصبحوا العمود الفقري للمؤسسات الحكومية والأمن و المناصب الحساسة في الحزب. في 1980 تم توسيع قاعدة مؤيدي الحزب وفي هذا العام كان صدام وبصوت عال ملؤه الثقة يقول:" بأن اكثر من مليون مواطن منظم يمارسون الديمقراطية بصورة واسعة داخل الحزب ويناقشون بعمق قضايا الشعب"[12]. ان هذا العدد زاد بصورة ملفتة للنظر حيث وصل عام 1984 الى مليون ونصف مؤيد اي 10،7% من مجموع الاربعة عشر مليونا الذين كانوا يشكلون نفوس العراق و 25000 عضو ناشط[13]. ان اهمية هذه الأعداد تظهر عندما تحول البعث الى اخطبوط ومد باطرافه الى كل الأتجاهات. في مؤسسات

الدولة، في تنظيمات الشباب، في المدارس الأبتدائية والمتوسطة والثانوية، وفي الجامعات، و مؤسسات القطاع العام والخاص و الأتحادات التجارية، وفي النقابات و الأتحادات الرياضية والفنية و المهنية... الخ . نستطيع القول بأن الهدف من جعل المجتمع "شموليا " هو ان تسيير المجتمع العراقي بموجب ذلك المنطق البعثي الذي يريد للعراقي ان ينسجم مع العقلية الثورية ليس عن طريق انتمائه للحزب فقط وانما بتفكيره وفي الواقع الفعلي ايضا. في سنة 1976 ، يؤكد صدام هذا المنطق مجددا بقوله:" نحن نأمل ان نجعل من كل المواطنين اعضاء في حزب البعث ، بعثيا مؤمنا (.....)، وان نعمل على انضمام كل الأمة في الوطن العربي الى البعث"[14].
مما لاشك فيه ، كانت طموحات البعث ان يجعل من العراقيين كتلة ايدولوجية ملتفة حول القيادة الأرستقراطية للحزب. الهدف كان تحويل العرب والكورد والتركمان والكلدو اشور والعمال والفلاحين و البورجوازية و الطلبة و الجنود الى جثة هامدة ودون حركة. اراد صدام حسين بذلك التعبير المجازي ان يعبر عن تلك الطموحات " السفينة التي تضم كل العراقيين انشأالله لن ندع احدا ان يكون خارج هذه السفينة لأنها من السعة حيث تستطيع ان تحمل كل العراقيين"[15].
من اجل ان يضع البعث كل العراقيين في سفينته الكبيرة، كان الحزب يطلب من الأعضاء ان لا يتصرفوا كبيروقراطيين وان لا يستمتعوا بمباهج السلطة ، لابل يجب ان يعملوا بنفس ثوري من اجل كسب المزيد من العراقيين. اذ تمكن الرفاق في سنة 1963 ان يثبتوا اقدامهم في دوائر الدولة كموظفين للنظام السابق دون ان يبذلوا جهدا في كسب اصدقائهم الوطنيين لفائدة الحزب والثورة"[16]، ولكن مع الثورة الجديدة طلب منهم ، ان يتحملوا المسؤولية . لذا كان لقياس التصرف الثوري الجيد على الأقل معياران : من جهة ان يكسب اعضاء جدد للحزب ومن جهة اخرى ان يجمع معلومات سرية عن المواطنين.
هكذا تحول التنظيم البعثي الى منظمة بوليسية، تتكون من نوعين من الأعضاء : المجموعة المغلقة او ارستقراطية الحزب والتي انتشر بصورة دقيقة في المخابرات والأمن ، و الجماهير المؤيدة التي هم اعضاء الخلايا التحتية وكانت مهمتهم مراقبة و جمع المعلومات عن نشاطات الجيران ساكني المحلة و الأصدقاء و مكان العمل ورفعها الى الأجهزة المسؤولة وتشجيع الناس على التظاهرات وعلى الأنضمام للمسيرات التي كانت تقام ضد الأمبريالية في الوقت الذي كان النظام فيه يقوم بتشغيل ماكنة القتل لحصد رؤوس اعداءه.
مع كل الفروقات، لكن لانستطيع ان ننكر بأن الشكل التنظيمي للبعث بالصورة التي تطرقنا اليه له الكثير من الخصائص المشتركة مع النظم الشمولية ، لو اردنا ان نحلل الشكل التنظيمي للفاشية والنازية كمثال . سنرى الكثير من اوجه التشابه بينهما. ان التنظيم النازي والفاشية كانا مرتبطين بالمركزية الشديدة و يستندان على نظام من العلاقات العمودية ولا رابط بين العناصر المكونة للقاعدة فيه، "تم تأسيس هذا النظام بطريقة تسد الطريق امام اية محاولة للأنشطار و التشرذم " [17].صحيح ان هذا الشكل من التنظيم مرتبط بتلك الأحزاب التي يعملون في ظروف الكفاح المسلح والحرب. لكن من العروف بأن البعث و النازية ابقوا على هذا النمط من

التنظيم وهم في سدة الحكم يحتكرون مجمل مؤسسات الدولة حيث لم تكن هنالك اية مخاوف من المعارضة .الحقيقة ان هذه الأحزاب هم بطبيعتهم شموليون يؤمنون بأبقاء المجتمع في حالة عداء وعدم الأستقرار سواء اكانوا في ظروف الحرب او الكفاح المسلح او السلم.
خشية سقوطهم واحتمال وجود ادنى تهديد يعرض وجودهم الى الخطر، لذا يبقون شكل التنظيم ضمن اطار يضمن "انضباطا شديدا" و يمهد الطريق امام تنصيب مسؤول فوقي "يضمن السلطات المطلقة من الأعلى الى الأسفل و اطاعة الأسفل للأعلى"[18].وكانت النازية ايضا عبارة عن الخلايا الصغيرة لكي تنسجم مع ظروف الحروب العلنية و النضال السري"[19].وان قاعدة هرم الحزب كانت عبارة عن خلايا. ان الخلايا الصغيرة كانت تراقب مجموعة من البيوت يرأسهم بلوكلايتر. والذين كانوا على راس بلوكلايتر كانوا يسمون زيلينيتر هؤلاء كانوا يراقبون من اربعة الى ثمانية بيوت . مثلا شارع كبير مقسم على عدة خلايا يشرف عليهم زيلينتر والذين كانوا يشرفون على زيلينتر كانوا يسمون اورتسكروبينلايتر الذين كانوا يشرفون على عدة خلايا في المدينة او قرية او عدة قرى . كانت مهمة بلوكلايتر وزيلينتر واورنسكروبينلايترهي توصيل اوامر الحزب الى الخلايا ومراقبة تنفيذ الأوامر واحاطة السلطات بالمعلومات حول تحركات المواطنين و رفاق الحزب . ان اورتسكروبينلايتر كان يعمل تحت امرة مشرفين و اخرون يسمون كرايزلايتر وبدورهم كانو يعتمدون على كاولايتر . والأخيرة كانت تعمل تحت امرة استقراطية الحزب النازي الذين كانوا مسؤولين عن ادارة الحزب و الدولة وكانوا يمثلون الفوهر[20].
ان تكوين الحزب الوطني الأشتراكي كان ، مثل تكوين حزب البعث ، سهل السيطرة على نظام عمل اعضاء الحزب و قلل من تدوير المعلومات وضَمن الأطاعة المطلقة للخلايا التحتية. ان العلاقة العمودية التي كانت تفرض الألتزام الشديد على الأعضاء . وكانت تسهل ايضا تحقيق رغبات الفوهر كرئيس للدولة والحزب.
ان الحزب النازي الذي كان يريد ان ينزل الى "اعماق المجتمع" و الجماهير[21] حاول بكل ما اوتى له من الأمكانات ان يرغم مواطنيه على العمل داخل التنظيم ووسع مساحة المؤيدين وفي نفس الوقت (كالبعثيين) وضع حدودا لعدد ارستقراطيٌ الحزب [22]. يجب القول بأن لا النازية ولا الفاشية لم يتمكنا من توسيع قاعدتيهما الحزبية كما فعل البعث. مثلا الفاشية الأيطالية في عام 1939 استطاع فقط ان تصل الى 5% من مجمل مواطني ايطاليا[23]. والنازية ايضا لم تستطع الوصول في عام 1944 سوى الى 12% من المواطنين النشطاء[24]. وعلما بأن كلا من الفاشية والنازية وصلتا الى الحكم عن طريق الألية الديمقراطية.
مهما يكن ، فأن هتلر كان يقول ان الحزب يجب ان يبقى حزب النخبة والأنضمام اليه يكون فقط للذين يريدون خدمة الدولة النازية[25]. ان تفريقه هذا بين النخبة السياسية وبين المؤيدين ، يعتبر من سمات النظم الشمولية والتي تنبع ايدولوجياتها من نظرة نخبوية . يعرض "هانة اريندت" بصورة موسعة هذا التفريق بين اقلية

الحزب و اكثرية تلتف حوله، لأن النظم الشمولية تريد ان تبسط سيطرتها تماما على كل مرافق الحياة. وتعرف بأن امكانية جعل المجتمع شموليا لايتم "عن طريق الدولة ولا عبر الوسائل القمعية المعروفة وانما يتحقق من خلال نشاط مستمر"[26]. وان هذه الأستمرارية في الحركة تتم من خلال نشاط المؤيدين . عندما تحصل النظم الشمولية على هذا "الجدار الوقائي" ، لاتتورع ابدا عن اعلان الحرب ضد تلك العناصر التي لا تريد ان تدور في فلكها ، اي لاتقبل منطق التحريض المستمر. وعن طريق هذا التصنيف (الفصل بين جموع الأعضاء والمؤيدين و الحركيين و المجتمع الذي هو خارج هذه الفئات)، تقوم هذه النظم وبحرية تامة بمد اصابع الأتهام لخصومها. ان الهرم الداخلي للنظم الشمولية يطبق المبدا المتعلق بهذا التصنيف.

يوجد فرق بين المؤيدين والأعضاء العاديين الذين يلتفون حول النخبة الأرستقراطية للحزب ويعملون داخل العالم السري و الوظائف الرفيعة المتعلقة بالقرارالسياسي. في الحقيقة ان هذه الأرستقراطية العالية التي تسيطر على هذه النشاطات تضع حدودا لنشاط اعضائه وتدفعهم الى الوقوف بوجه اي نشاط محايد حيث انه وحسب هذه النظم فإن تللك الأنشطة تعتبر من الأعمال العدائية الموجهة ضد الحالة الثورية . ان السيطرة المطلقة للبوليس السري تشمل الدولة والحزب معا، وتختبئ في كل الأمكنة والزوايا. وان استمرارية هذه النظم الشمولية تستند على قوة البوليس السري . في الحقيقة ان البوليس السياسي يقوم بتنظيم المواطنين في الحزب وتحفيزهم للعمل ومحاربه "اعداء الشعب" واماطة اللثام عن الدسائس والمؤامرات والكشف عن اعداء الشعب المخفيين هنا و هنالك ، ويبحث عن العناصر التي قد يشكلون خطرا على الثورة وهو الذي يقوم بتقويم اي فكر يحيد عن "الخط الرسمي للدولة"[27]. ان الشرطة السرية للنازية ، غستابو او كيهايم ستات بوليسي كانت تقوم بنفس ما يقوم به البوليس السري العراقي اي كانت مهمته " القضاء على اعداء النازية"[28]. في سنة 1933 اسس جورنج الغستابو والذي كان تحت السيطرة الكاملة ل ‘هملر’، حيث ان اعضاءه في اكثريتهم كانوا من وحدات س.س وكان اعضاءه قد انتشروا في الحزب قبل تسلم الأشتراكية القومية زمام السلطة [29]. بالتعاون مع الغستابو و تنظيمات اخرى مثل "س.د" و س.س الخ [30] . كانوا مسؤولين عن غرس الأيدولوجية النازية في اعماق كافة فئات الشعب و قيادة المظاهرات في المانيا والعالم[31]. ومنذ سنة 1936 خرجت وحدات البوليس السياسي بقيادة ال س.س من سيطرة الدولة و اصبحت كيانات مستقلة وقواعد ليست لها اية شرعية[32]. كان عمل الغستابو والوحدات س.س و س د بالأضافة الى العدو النوعي (اليهود) مطاردة العدو و العملاء الذين كانوا يظهرون هنا وهناك. كانت الأرستقراطية النازية (والمرتبطة بشكل ايماني بهتلر) تريد ان تدمر العدو في الداخل وفي خارج الحزب ، لاشك ان تكوين البوليس السياسي كان معقدا ، و لكن طريقة عمله في القتل وتوجيه الأتهامات والسيطرة السياسية لم تكن تفرق كثيرا عن طريقة البوليس السري للبعث الذي لم يكن نظاما يدافع عن امن الدولة ، بل اداة هجومية مسؤولة عن نشر الأيدولوجيا الرسمية بين سكان العراق وتنفيذ اوامر

ورغبات صدام حسين و ضبط المواطنين والبحث عن اعداء "الثورة" . من الجدير بالذكر انه خلال 1970 و 1980 كان البوليس السياسي البعثي يتكون من ثلاثة اقسام "الأمن" والذي كانت مهمته الأمن الداخلي ، "الأستخبارات" كانت مهمته ايصال المعلومات العسكرية و "المخابرات" كانت مهمته القيام بأعمال الأمنية الحزبية . كان البوليس السياسي البعثي ماكنة مرعبة ومعقدة في نفس الوقت وكان تحت السيطرة المباشرة لصدام حسين و اقربائه ، وبالتعاون فيما بين اقسامه ، كان يقوم بعدة اعمال رئيسية: مراقبة شبكات الحزب داخل المجتمع ، ومراقبة المواطنين العراقيين في الخارج وتصفية المعارضين في الخارج ، والقيام بالتجسس داخل الجيش و المؤسسات الأخرى.
فالمخابرات كان القسم الأكثر رعبا من بين الأقسام الأخرى للأجهزة الأمنية . هذا الجهاز كان منبثقا بصورة مباشرة من "جهاز الحنين" كان مهمته "مراقبة الأقسام الأخرى للبوليس السياسي و السيطرة على نشاطات جهاز الدولة والجيش و الأعمال الحكومية و المؤسسات الجماهيرية".
كان هذا الجهاز منذ عام 1970 والى عام1983 ، يدار من قبل الأخ الشقيق لصدام حسين، برزان ابراهيم التكريتي ومن عام 1983 الى عام 1989 راسه فاضل البراك و منذ عام 1989 كان يدار من قبل اخوه الشقيق سبعاوي [33].
منذ عام 1985 كان الأمن العراقي يتألف من اربعين الف عنصر[34]. وكانوا يدربون تدريب عدائي درءا لأي خطر يتمثل في لتصدي للقانون البعثي. في كل المرافق الأدارية للدولة ، وفي كل وحدات الجيش، و المدارس و الجامعات والقرى و المحلات و حتى الجوامع كانت لها مفوضين سياسين مرتبطين بشبكات البوليس السياسي[35].وهم على ارتباط مباشر بصدام حسين وكان هو بدوره منظمة سرية متكاملة .

الجيش العراقي

الجدير بالذكر ان تدخل الجيش العراقي في الشؤون السياسية ومنذ استقلال العراق سنة 1932 ، لعب دورا مهما في عدم وجود حياة سياسية مستقرة . حيث اصبح الجيش عماد القوة السياسية"[37]. وسببا في الأنقلابات العسكرية . وبهذه المناسبة فأنه مابين عامي 1936-1941 قام ضباط الجيش بسبع محاولات انقلابية ضد الدولة ولو ان الجيش قد تمكن بعد 1941 من فرض الفيتو على السياسية الداخلية
لكن لم تبقى نخبة هذا الجيش مكتوفة الأيدي بل ومن اجل السيطرة على الحياة في العراق في عام 1958 اطاحت بالنظام الملكي والى عام 1968 استطاعت هذه النخبة ان تفرض هيمنتها على الجيش و على الجهاز البيروقراطي للدولة برمته. وان انقلاب البعث في 1968 ، كان ايضا من عمل ضباط الجيش ، ولكن بخلاف الأنقلابات السابقة قامت بتغير ملامح الدولة والجيش . وبعكس النخب العسكرية السابقة التي لم تكن لها ايدولوجيات خاصة، كانت النخبة البعثية تمثل حزبا سياسيا هدفه وضع الجيش تحت امرة الحزب . ان هذه النخبة كانت مسلحة بأيدولوجيا

متجانسة تحت تأثير الجناح المدني للحزب الذي كان يريد ان يضع يده في ايدي اولئك الذين بأمكانهم توجيه قوة الجيش بأتجاه الأهداف القومية للبعث، كان هذا الحزب قد وضع في البداية خطة لهذه الأستراتيجية.
معروف بأنه ومنذ 1963 ، اعتبر البعث ان توحيد تنظيميه الثوري المدني و العسكري معا السبيل الوحيد للتفاعل الأيدولوجي بين الطرفين [39]. ومن اجل تحقيق هذا الهدف قام النظام البعثي ومنذ استيلائه على السلطة "بأدلجة الجيش" و" عدم عسكرة السلطة السياسية وذلك عن طريق تبعيثها". نستطيع ان نذكر بهذه المناسبة بأنه عندما قام البعث بالأنقلاب ، كان مجلس قيادة الثورة يتكون من خمسة اعضاء، كانوا كلهم ضباطا في الجيش. ولكن بعد مروراقل من عشر سنوات تحول هذا المجلس الى جهاز اكثريتهم من المدنيين. في عام 1978 كان احمد حسن البكر، عدنان خيرالله طلفاح، سعدون غيدان الشخصيات العسكرية الوحيدة في مجلس قيادة الثورة[40]. وفي الوقت نفسه كان البعث يعمل من اجل زرع المبادئ القومية والأشتراكية بين الجنود من اجل تثبيت القيم الأيدولوجية والعسكرية كي تساعده في اداء عمله بصورة كاملة و ان يسلحه ضد الأنحراف و يدمجه مع حركة الشعب بقيادة الحزب. استطاع البعث ان يؤكد حضوره وبقوة في القوات المسلحة[41]. ان التقرير السياسي للمؤتمر الثامن لحزب البعث العربي الأشتراكي في عام 1974 يظهر بجلاء بأن الحزب "استطاع و خلال خمسة سنوات ان يقوي ويوسع قاعدته" عن طريق قيادته للجيش و بمساعدة الضباط و الجنود الوطنيين" استطاع ان يصبح عين الثورة الساهرة على الوطن وانتصارات الشعب[42]. بالأضافة الى تبعيثه، حاول النظام العراقي ان يزيد من عدده. بين عامي 1968 - 1978 ، اي خلال عشرة سنوات توسع القوات المسلحة بشكل غير مسبوق. ازداد تعداد الجيش العراقي من عام 1968 و لغاية 1973 من 80000 الى 100000 وفي سنة 1978 وصل العدد الى 230000 اى ثلاثة اضعاف العدد في عام 1968 [43].
الجدير بالذكر ان هذا التوسع الكبير سبق الحرب مع ايران. ففي بداية الحرب وصل العدد الى 242000 و وصل اثناء الحرب الى 607000 . وفي سنة 1990 وصل العدد الى مليون [45]. ان هذا العدد لم يتضمن الأحتياط و الشرطة و ميليشيا البعث. حيث ان الخدمة الألزامية ساعدت في هذه الزيادة المفرطة. في سنة 1978 كان عدد الذين يتراوح اعمارهم بين(18 و 49) سنة جاهزين لأداء الخدمة في الجيش و في كل سنة كان يصل عدد الذين بلغوا سنا يؤهلهم للخدمة العسكرية 120000 [46]. بعد سنتين من اداء الخدمة المقررة للمكلفين كان المواطن العراقي مجبرا على ان الأستمرار في الخدمة لمدد طويلة حتى وصلت الى 18 سنة في خدمة الأحتياط. في سنة 1978 كانت قوة الأحتياط قد وصلت الى 250000 وبالرغم من انه حتى قبل 1980 لم تحترم المدة المقررة للخدمة وكان الجندي يبقى خمسة سنوات في الخدمة بأنتظار التسريح منها [47]. ولكن بعد هذا التأريخ تحول الخدمة العسكرية الى مالانهاية، لأن الوضع في الجيش تحول الى (حالة الطوارئ)، وفي الأوقات الحرجة وصل تعداد الجيش العراقي الى مليونين اى 75% من مجموع العراقيين الذين كانوا بين سني 18 و 32 .

بالأضافة الى القوات النظامية ، كان للبعث مؤسسة عسكرية اخري وهي "الحرس الجمهوري" والتي كانت افرادها تنتقى بشكل دقيق وبرواتب اعلى من رواتب الجنود العاديين و تدريب وتسليح افضلين ، وكانت مهمة الحرس الجمهوري حماية صدام حسين و الحفاظ على امن بغداد . وان غالبية اعضاء هذه المؤسسة كانوا من رجال المخابرات و الأمن و اقرباء صدام وكانوا سندا لبقاء سلطة صدام.

مليشيا البعث: الجيش الشعبي

الجيش الشعبي كان عبارة عن تنظيم شبه عسكري (حيث ان تشكيله كان على اساس من الضبط والتكوين العسكريين). وكان وسيلة بيد الحزب لبسط سيطرته على الشعب العراقي . في سنة 1970 حول الى مؤسسة هدفها توفير الظهير السياسي للنظام و تقديم العون للجيش للتحرك بوجه اية محاولة للوقوف بوجه المنهج البعثي , ان التقرير السياسي لحزب البعث سنة 1974 يذكر وبشكل واضح مهمات الجيش الشعبي ويقول" ان برنامج التحولات الثورية في المرحلة القادمة بحاجة الى جهد كبير من اجل نشر القيم الوطنية والقومية و قيم الشجاعة والتضحية والأحساس بالمسؤولية واحترام العمل الجماعي". ويؤكد ايضا على توسيع التدريب كي يشمل عددا اكبر من المواطنين وبالأخص الشباب والمجموعات المنظمة".
استعمال السلاح كان يجب ان يشمل المكونات الأساسية للمجتمع الجديد". واكثر من ذلك فأن تدريب اعداد كبيرة من المواطنين ، كان يؤمن جيشا احتياطيا يستطيع ان يشارك بصورة فعالة في صيانة الثورة والبلد وان ينفذ المهام القومية[48]. منذ النصف الأول من السبعينات، كان التسجيل في الجيش الشعبي للمؤيدين الذين اجتازوا الثامنة عشر من العمر.كان يرأس هذه المليشيات (طه ياسين رمضان) والذي كان في نفس الوقت عضو مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية. ان قيادات هذه المليشيات كانوا يختارون من بين الحرس القومي وعناصر المخابرات: الذين شاركوا في انقلابي 1963 و 1968 . ولكن ومنذ 1975 بدأ البعث بتسجيل المواطنين غير المنتمين للحزب في هذه المليشيات. بهذا الشكل في النصف الثاني من السبعينات ، كان الجيش الشعبي يشمل مجمل فئات الشعب (العمال، المدرسين،الموظفين...الخ). وكانوا يتدربون لمدة شهرين في السنة على السلاح ويعطون دروسا في الفكر البعثي على يد ضباط الجيش و القيادات البعثية في (مدرسة تدريب الشعب). في سنة 1970 كان الجيش الشعبي يتألف من عدة الاف من الرجال والنساء ، ولكن في سنة 1978 شهد توسعا كبيرا اذ وصل تعداده الى (100000)[49]. بين 1980 و 1981 وصل عدد اعضاءه الى (250000) وفي سنة 1982 وصل العدد الى (450000). وكان بجانب هذا العدد (260000) من الشرطة (بدون شك يشمل هذا العدد الشرطة السرية و شرطة الحدود والقوة السيارة) ، نستطيع القول بأن عدد الجيش الشعبي كان اكثر من الجيش التقليدي حيث كان انذاك 242000 . وكان حرس الحدود و القوة السيارة كان ضمن تعداد قوة اخرى في الأمن الداخلي . كان عدد الهؤلاء يتشكل من 50000 رجل يتواجدون

بصورة رئيسية في كوردستان على الحدود الأيرانية والتركية والسورية. وكانت القوة السيارة عبارة عن قوة متحركة تساعد الجيش في محاربته البيشمركة عند الضرورة[50]. بهذه الصورة نرى سعة انتشار سيطرة البعث وقدرته التي كانت اكبر من قدرات الجيش من جانب. ومن جانب اخر المحاولات المنتظمة لتكوين جيش كبير، الكيفية التي حاول بها البعث عسكرة و تسييس الشعب العراقي. فمنذ البداية ، عندما جعل من المليشيا تنظيما مؤسساتيا، كان قصد البعث من هذا زرع وتقوية الوحدات العسكرية في سائر القرى و القصبات و المدن : كثير من المراقبين يذهبون الى ان البعث قد استطاع ان يحقق هذا الهدف في سنة 1987[51].

واضح ان هدف البعث كان هو جعل تلك المليشيات قوة رديفة للفروع السرية و العادية للبوليس، و ان يجعل من هذه المليشيا اداة دفاعية فعالة للوقوف بوجه اي تهديد ضد السلطة . يجب القول بأن الجيش الشعبي ومنذ انشائه قد ادمج مع القوة النظامية . منذ عام 1975 اشتركت وحدات الجيش الشعبي في المعارك ضدالأكراد وفي لبنان[52]. و لعبت كذلك دورا مؤثرا في الحرب ضد ايران و حرب الخليج. والجدير بالذكر ان هذه الأطر الشبه عسكرية تعتبر من المكونات الأساسية للحركة الشمولية. وظيفتها القيام بصد اية محاولة للمعارضة ان وجدت داخل البلد و في الوقت ذاته القيام بالعمليات العسكرية مع الجيش النظامي خارج الوطن. فمثلا ان تنظيمات الأشتراكية القومية شبه العسكرية (وحدات الموت)...الخ والمتطوعين في المليشيا الفاشية الأيطالية كان له نفس الدور . مهما يكن الأختلاف على مستوى القيمة العسكرية بين التكوينات المنظمة لهذه الأحزاب والنظم . الا انها تشترك في الأهداف و الوظائف. مثلا ان وحدات اس اية التي انشئت قبل تولى السلطة . كانت عبارة عن الة عسكرية نازية مهمتها التحريض و خلق الفوضى السياسية والأجتماعية. وبعد وصول النازية الى الحكم اصبحت من مكملات وحدات اس اس من حيث انها كانت "صورة طبق الأصل من الجيش " او الجيش الثاني لألمانيا[53]. الم يكن هؤلاء كالجيش شبه العسكري البعثي مصدر رعب و اضطهاد عسكري وسياسي؟ بدون شك انها كانت الضمانة للسلطة النازية و المكملة للجيش النظامي قبل وبعدالحرب العالمية الثانية. وفي ايطاليا ايضا ساعد متطوعي ميليشيا الأمن القومي (والتي كانت عبارة عن شكل مؤسسي "خلايا الحركة والعمل") عام 1932 في الأستيلاء على السلطة وكانوا يعملون بصورة شرعية كانت مهمتهم كمهمة اي جيش كبير من اجل الدفاع عن الفاشية وحكومتها والأمة الأيطالية[54].

فعندما كانت الفاشية الأيطالية تسلم عهدة المليشيا الى رجالها المخلصين، فإنما كانت تكلفهم بمهمة الحفاظ على الثورة بالتعاون مع البوليس العادي او بدونهم لسد اية ثغرة امام اية محاولة لزعزعة الأمن العام و رفع اية عراقيل قد توضع امام الحكومة الفاشية[55].وان الفاشية الأيطالية التي كانت تعتبر هذه المليشيا بمثابة الجسم العسكري للدولة[56]، كانت تنتظر من اعضائها الدفاع عن الدولة والأمة في داخل وخارج البلاد ، مثلا في اثيوبيا و اسبانيا.

بعض المؤسسات شبة العسكرية الأخرى

في السنوات الأخيرة قام البعث بتأسيس عدة مؤسسات شبه نظامية اخرى : "فدائيي صدام" ، "سيف القائد"، "اشبال صدام"، هذه الأخير كانت تتكون من غير البالغين الذين تتراوح اعمارهم من 12 الى 17 سنة وكانوا يؤدون التدريب على الأسلحة الخفيفة في الصيف لمدة شهر. بالأضافة الى تلك التنظيمات اسس البعث ومنذ شباط 2001 تنظيما اخر بأسم "جيش القدس" الذي كان الأنتماء اليه طوعيا كالجيش الشعبي . كان المقاتلين يتدربون ولمدة شهرين على الكلاشينكوف و القنبلة اليدوية والمدفعية الخفيفة . عدا القيام بالدفاع عن الوطن كان لهم مهمة اخرى وهي : القيام مع المخابرات بالتوجه الى دور الكورد والتركمان و الأثوريين لغرض تغير هويتهم القومية .على ضوء قرار " تصحيح القومية" لمجلس قيادة الثورة العدد 199 في 2001/9/6. حيث قاموا بتسجيل هؤلاء المواطنين كعرب وكبعثيين وذلك تحت ضغط التهديد النفسي.

عسكرة الشباب و تربية الأطفال

منذ تأسيسه ، عنى البعث كثيرا بالشباب و تربيتهم و دورهم في حزب البعث، وجعلهم حيط اهتمامه . من المعروف مدى اهتمام مشيل عفلق مؤسس حزب البعث بالشباب ومحاولته تسليمهم زمام المسؤلية التأريخية لتأمين مستقبل الأمة العربية. ومن المعروف ايضا بأنه اقترح ولمرات عديدة بأن يجعلوا من الجيل الجديد (جنودا محاربون) و "افرادا محاربين" و "افرادا مناضلين" مفعمين بالروح الصادقة ، الأصيلة ، القوية). بدون شك حسب وجه نظر عفلق ان مهمة البعث كانت عبارة عن ازاحة الستار عن امكانات و ذكاء الشباب لكي يتم توصيل معاني (الرسالة الخالدة) للبعث اليهم ولكي يجعل منهم ادواة فعالة في حركة البعث في الوطن العربي[58]. حسب منظور مشيل عفلق ان الشباب يكونون الشرط الأساسي لتحقيق "فكر" الأمة العربية بمعناه الهيغلي. ولأجل تحقيق هذا الفكر فأن الأمة كانت بحاجة الى نوع خاص من الشباب لأن هذا النوع بأستطاعته ان يخرج من الواقع الفاسد وان يستعمل طاقاته ضده. ان الجيل الجديد لم يكن بأستطاعته ان يصل الى اهدافه و ان يجد نفسه مالم يفرز نفسه عن الجيل القديم وان هذا الفرز لم يكن ليتحقق دون يتجسيد هذا الفكر في روح الشباب.

عندما وصل البعث الى الحكم في العراق، عمل على خلق جيل جديد لتحقيق الفكر العربي القومي والذي كان ميشيل عفلق قد تصوره قبل ربع قرن. بهذه الصورة كان عليهم بذل كل المحاولات المنهجية لتربية الشباب وكان على الشباب الأنسجام مع الروح الثورية للبعث . ولأجل تحقيق هذ الغرض ، فأن النظام البعثي ومنذ بداية استيلائه على السلطة ، بدأ بتسجيل الشباب في فروعه المختلفة "الأتحاد العام لشباب العراق) . و ان هذه الفروع الخاصة للشباب كانت عبارة عن"الطلائع" كان يشمل الأطفال في المرحلة الأبتدائية، "الطليعة" كانت تشمل ذكورا واناثا من سن 15 الى20 .

ان هذه التنظيمات تأسست بعد 1969 ، و تمت الحاقها بصورة رسمية بالدولة و تحت سيطرة مجلس قيادة الثورة ."الطليعة" التنظيم الأهم للشباب العراقي ، كان يتكون من تسلسل هرمي شبيه بتكوين حزب البعث وكان له مؤتمر قطري و قومي ، وكان اعضائها يتلقون مبادئ العقيدة و مضمون ايدولوجية البعث و يدربون على عمليات الدفاع المدني ، بالأضافة الى ارتداء الزي الموحد الخاص بهم بهم و تأدية قسم الولاء للحزب والثورة و كان يطلب منهم كتابة التقارير و جمع المعلومات المتعلقة بمواقف واراء الناس المحيطين.

في سنة 1987 ،كات حوالى 55 او 60% من سكان العراق تحت سن العشرين[60]. ان اخذنا هذه النسب بنظر الأعتبار يمكن ان نتصور الى اي مدى استطاع البعث تحريك هذا السلاح الأيدولوجي . ان تحليل قصير للتقرير السياسي لحزب البعث العربي الأشتراكي لسنة 1974 يوضح لنا هذا .ان التقرير السياسي للبعث يكشف عن امله الكبير بتحضير المجتمع العراقي (عن طريق حركة الشباب) "للتحول الثوري". ويؤكد بأن "الشباب هم معين دائم للقوة الجديدة للحزب" ويجب ان يؤدي الحزب دورا فعالا بين اوساط الشباب بصورة يستطيع ومن خلاله ان يكون ملهما لهم و ان يقودهم. ان ضرورة هذا الدور يزداد"عندما تكون اكثرية الشباب ولحد الأن تحت تأثير العادات السائدة و نمط من تفكير بحيث يجعلهم يقفون بالضد من روح القومية والأشتراكية و متطلبات التحول الثوري"[61]. ان التقرير السياسي للبعث يظهر ايضا بأن وبالرغم من ازدياد عدد الشباب في التنظيمات الخاصة و مشاركتهم في الأعمال الثورية، ولكنهم ليسوا في مستوى طموح الحزب[62].عندما اراد البعث ان يعبر عن رغبته بشأن تحفيز الشباب للأنخراط في التنظيمات الخاصة لخمس السنوات القادمة اي من 1974 الى 1979 ، اكد البعث ان ماتم انجازه بهذا الشأن يعتبر مجرد بداية. نحن تحدثنا حول طموح الحزب ومتطلبات المرحلة القادمة . ويجب على الحزب ان يعمل و بصورة انية من اجل تطوير فعاليات الشباب التنظيمية ويجب ان يشمل هذا معظمهم ذكورا واناثا وان يشاركوا بصورة فعالة في زرع مبادئ القومية و الأشتراكية ويجب ان يكون لهم نظرة خاصة وان تتم تربيتهم بشكل يجعلهم قادرين على المشاركة في بناء الثورة و الدفاع عن الوطن وتنفيذ المهام القومية[63].

احدى المقولات الأيدلوجية والتي بموجبها كان يجب ان يحشر الشباب في بوتقة الأيدولوجيا البعثية كانت هي "نكسب الشباب لنؤمن المستقبل"[64]. عندما كان صدام حسين يلقى هذا الخطاب في 15/2/ 1976 ، كان يقول ان سبب تسجيل الشباب في هذه التنظيمات الخاصة هو ان فرص الحياة سيكون اكثر لديهم .

لذا فأنهم سيستطيعون ان يساهموا اكثر في بناء المستقبل . ان الوقت المخصص للعمل من اجل الشباب يساعد في تكوين المستقبل ضمن اطار التحول الثوري وان هذا الوقت يجب ان يكون اطول"[65]. ضمان المستقبل كان يعني وضع المسافة التي تفصل بين عمر الشباب و عمر الكبار في خدمة اهداف الثورة"[66]. لأنه وعندما يبلغ الشباب عمرا اكبر وكانوا قد تربوا على مبادئ الحزب والثورة سيكونون قد حصلوا على حصانة تامة ضد الأنحراف الأيدولوجي. والأكثر من ذلك

، يجب على الحزب ان يعرف بأن انسجام الشباب مع المبادئ والفكر الجديد اسهل بكثير من الكبار [67]. عندما يهتم الحزب بالشباب و يكسب ثقتهم، سيستطيع من خلال ذلك قطع تلك الأغصان التي تشكل القوة المضادة للثورة [68]. ويعمل على سد الطريق امام الأعداء في الحاق الأذى بمؤسسات الدولة و مسيرتها الثورية[69].

هكذا نجد انفسنا امام نفس المنطق والحركة الشمولية. لأن مقولة ضمان الشباب لكسب المستقبل و توجيه حركة الشباب نحو خدمة الحزب الواحد ، ليس مقتصرا فقط على ايدولوجيا البعث . انها مشروع سائر الأيدولوجيات والنظم الشمولية التي لها نفس التوجه. مثلا ان مشاريع الأشتراكية القومية والفاشية الأيطالية والمتعلق بتوجيه ايدولوجيا الشباب نحو طموح الدكتاتور تتشابه كثيرا والنموذج البعثي كتشابه قطرتي ماء. فعندما وضع قانون الشباب الألماني في 1931 كان هتلر يقول "ان مستقبل الأمة الألمانية متوقف على الشباب. عليه يجب ان يتم اعداد الشباب للعمل في المستقبل"[70].وكان الشعار الرئيسي لموسوليني عبارة عن دعوة الشباب ايضا[71].عندما كانت الأشتراكية القومية تريد ان تذهب بطاقات الدولة بأتجاه القوة المطلقة . من اجل تخليصهم من الأنحراف كان هتلر يدعو الشعب الألماني الى ايجاد طريقة للأبقاء على روح الشباب الألماني في الأجيال اللاحقة[72]. قبل كل شئ وجه هتلر خطابه نحو "الشباب المسلح" ، فمن وجه نظره في عصر الأحداث المهمة في التأريخ ، من المفروض ان يكون الشباب في يوم ما ممثلين " لمهندسي الدولة العنصرية الجديدة "[73].بهذه الصورة عندما وصلت الأشتراكية القومية للحكم ، دعا هتلر الى تفكيك كل التنظيمات القديمة للشباب و اعادة بناء تلك التنظيمات في اطار "شباب هتلر" . كان على كل عضو في هذا التنظيم ان يؤدي قسم الولاء للأشتراكية القومية . كانت تنظيمات الشباب للذكور تحتضن من هم بين 14 و 18 سنة و البنات بين 14 و 21 سنة[74]. تمت زيادة عدد شباب هتلر بصورة ملفتة للنظر : في سنة 1933 كان عددهم 108000 ليصل في عام 1934 الى ثلاثة ملاين و ستمئة الف و في عام 1937 قفز العدد الى اكثرمن سبعة ملايين[75].

ان حشر الشبيبة الألمانية في التنظيمات الأيدولوجية التي تمارس العنف ، كان يساعد على غرس القناعات الأشتراكية القومية وذلك بجعل الشعب الألماني يؤمنون بالنازية بدءا من الشباب . وان اي اعداد لمستقبل الأمة الألمانية كان يجب ان يتم عبر "التملك الكامل للشبيبة"[76]، على اساس الموقف الأتي:

" في هذا الوقت لايسمح للشباب ان يكبروا بعيدا عن المثالية الأشتراكية الوطنية

ان شباب المانيا الفتية يجب ان يتعلموا في سن مبكرة افكار الأشتراكية القومية [77].

وكان للفاشية الأيطالية نفس المنطق و الألية للعمل. فقد قامت الفاشية الأيطالية ايضا بعسكرة الشباب لضمان مستقبل الأمة الأيطالية. كان الهدف من بناء (اوبيرا بليلة) هو "اعادة تكوين" الشباب على اساس الأيدولوجية الفاشية . ان هذه الأوبيرا كانت مقسمة حسب الفئات العمرية الأطفال من 4 الى 8 سنوات كانوا منضمين الى تنظيم بليلة و بيكول ايتاليانى ، والأحداث من سن 14 الى 18 كانوا في تنظيم طليعة الفتيات الأيطاليات ومن 18 ال 21 كانوا ينظمون الى تنظيم الشبيبة الفاشية للبنات و البنين [78].

في سنة 1933 كانت البليلة تتكون من 360000 عضوا و قادة منهم 244000 بيكولا ايتالياني و 72000 شابة ايطالية و 92000 شابا ايطاليا . في سنة 1936 وصل عدد الشباب في التنظيمات الخاصة الى 5 ملايين ووصل في 1937 الى 6 ملايين والى 8 ملايين في الحرب العالمية الثانية[79]. كان على الشباب الطليان ان يقسموا يمين الولاء للثورة الفاشية و قضيتها. ان قانون رقم 1839 في سنة 1937 كان يرغم الشباب على القسم الأتي:

" اقسم بأن انفذ اوامر الدوشية (موسوليني) وان اخدم قضية الثورة الفاشية بكل ما اوتى لي من القوة وان وجب بدمي"[80].

نستطيع وبدون شك ، ان نورد المزيد من التشابه بين المشروع البعثي و الأشتراكية القومية والفاشية الأيطالية حول تسجيل الشباب وتسخيرهم لخدمة متطلبات التوتاليتاريين . ولكن المهم هو ان تعرف بأن الية عمل هذه الأحزاب الشمولية وبدون التفريق بين الأسس الأيدولوجية المحركة لها تميل دائما نحو خداع الشباب . مهما كانت الفروق البنيوية في انظمتهم ومهما كانت الفروق بين الثقافات و التقاليد والظروف التي اوصلتهم الى سدة الحكم ، لكن طبيعتهم واحدة حيث ثبتوا اقدامهم بتوظيفهم للأندفاع الذي يتمع به هؤلاء لمصلحة انظمتهم التي تأسست على التعصب وعدم قبول الأخر . ان هذه الحركات الشمولية تعلم بأن ميل الشباب لقبول الحقيقة الواحدة والتي هم اصحابها وعدم اعطاء الحق للأخر لكي يعبر عن نفسه ، يمكن بلورته (اي جمع عناصره في وحدة مستقرة) ابتدا من اللحظة التي يقومون فيها بزرع الحقيقة الحزبية الرسمية في اذهانهم بطريقة دوغمائية وذلك بجمعهم في بوتقة التنظيمات الأيدولوجية التي تدعو للعنف . وتعلم ايضا بأن اسهل الطرق لضمان اندفاعهم و ولائهم هي في تدريبهم على الحياة مع الحقيقة الكاذبة بصورة قاسية وثابتة و عنيفة. ولأجل تحقيق هذا الغرض فهم بحاجة الى ان يسدوا عليهم كافة المنافذ المعرفية والتي تعينهم على ايجاد الحقيقة . وتعلم ايضا بأنه منذ اللحظة التي يطلع فيه الشباب على عالم والتي هي عبارة عن انتولوجيا ديكوتومي(الحقيقة النقية لفكر الحزب ـ وخطل الفكر المقابل، محاسن هذه الحقيقة ـ اساءة التعامل مع هذه الحقيقة ... الخ) ، يتوجب على الشباب ان يكونوا مستعدين لهذا الهدف الذي من اجله تم تربيتهم كمتطرفين لايقبلون بالأخر و لايتحملون التصرفات المغايرة ، فيتحولون الى شروطا اولية للتفرغ الديني. الحب المطلق لما يسمى بالحقائق الى أفراد ينفتح قلوبهم للحقد الأعمى ضد الأخر. ويجدون ذاتهم في التضحية والأساءة الى سمعة اللاحزبيين(الأنانيين والمتقاعسين)، ويصبح الحزب القائد واقعا ملموسا عن طريق احتقارالأخر.

الى جانب تسجيل الشباب في الأحزاب الرسمية المتجانسة فإن دعاة الأشتراكية القومية الشمولية يوجهون جل طاقاتهم لتحويل المدارس والمؤسسات التربوية وجعلها مراكز دعائية بما يتناسب ومصلحة الروح القومية والعسكرية ورهاب الأجانب ، و يغيرون من طبيعة المدارس و ينحون بوظيفة تنمية القدرات الثقافية للطلبة و نقل العلوم منحى ايدولوجيا شموليا. بهذه الصورة ، ان طبيعة نظام مدارسهم لا تتكون من تربية المواطن بمعناه التكنيكي و العالمي وانما العمل على

ان تكون طريقة التفكير الشمولي مصنعيا. ان واجب الأستاذ وخبير التربية هو نقل الزخم الأيماني الى داخل الحزب والذي ينهل من الأفتخار بالأشتراكية القومية والروح القتالية والأخلاق العسكرية. وان مجمل حركات النظم الشمولية لها نفس النظرة . عندما تجعل من المدرسة طريقة خاصة من اجل تقوية روح الأطفال مع الشباب ، انها توجه نظام التربية بأتجاه الأهداف الأيدولوجية والسياسية للحزب ، مثلا عند هتلر و موسوليني ، كان من الضروري ان يصار الى تغيير النظام التربوي كي يحل الأيدولوجيا الفاشية او النازية محل النواقص المتراكمة والدلائل التي تشير الى الأحساس بالنقص و عفونة العصر الراهن. وكان هتلر يعُرف الأشتراكية القومية ضمن اطار الرسالة التربوية والتي كانت ضروية لجعل الأمة الألمانية كبيرة:" ان الأشتراكية القومية ليست نظرة عادية لمسألة الدولة (.....) انها كعقيدة عبارة عن قضية تربية كل الأمة"[81].

ومن اجل تنفيذ "المهمة التربوية" ، كان لزاما على الدولة النازية وقبل كل شئ ان تجعل من المدارس اعمدة قوية لنظامه واساس قوي لمستقبل نظامه . في مايس 1933 ، اي بعيد اشهر من استلامه للسلطة ، وبقرار قضائي ، بدا صانعوا الأشتراكية القومية بوضع خطط للنظام التربوي .تحت عنوان " اهداف نضال المدارس الألمانية" معد وفق الأسس التالية :(وكما يقول وزرير الداخلية د. ويلهيم فريك) تنظيم رجل السياسة بطريقة يتفرغ معه لعمله وفكره من اجل خدمة امته والتضحية من اجلها . لذا فمن واجب المدارس تنشئة نوع جديد من الرجال سالمين روحيا و بدنيا[82]. ان النظام التربوي وكما يعرفه غوبلز هو تماما كماكنة صنع العجين[83]، يمكنه تطويع الطفل وتوجيهه بعمق نحو التجربة النازية"[84]. وتحويلهم قبل سن الرشد الى اشتراكيين وطنيين : كان هتلر يقول " من اول كتاب رسوم للطفل الرضيع يجب ان يكون كل شئ في خدمة الدولة"[85]. من هنا وعلى اساس هذه الرؤية ، فإن واجب المعلم هو صنع مستقبل المواطن الأشتراكي الوطني . اذ انه وقبل كل شئ كان يجب عليه اظهار مهارته في مجال "التربية الوطنية" وذلك عن طريق تلقين الأطفال تأريخ الأمة الألمانية، و خلق شخصيتهم ووجودهم بطريقة تنمي فيهم الروح القتالية اي احداث اعصار الماني نحو النضال و المغامرة[86]. لم يكن هتلر يخفي حقده على التربية والثقافة المدنية لأن هذه التربية برأيه كانت ضد اهمية بناء الطفل والذي كان من المفترض ان يكون في اطار الروح القومية و العنصرية[87].

وكانت الفاشية الأيطالية تريد ايضا ان تكون الضامن الوحيد " لوحدة و توافق الأتجاهات المختلفة لكافة القيم " و ممثلا "لمجمل حياة الشعب" و كان يعتبر نفسه " معلما و متعهدا للحياة الروحية للأمة الأيطالية"[88].من اجل تقوية "شخصية الأيطاليين" [89].

قام بتحميل المدارس المسؤولية في اعداد و تربية الشباب في جو روحي واخلاقي"[90]. بهذه الصورة فأن الأيدولوجية الفاشية الأيطالية، ولكي تحقق نظرتها الشمولية قامت بتوسيع تأثيره في مجمل النظام التربوي ، ابتداً من الأبتدائية الى

الجامعة. ولهذا السبب في عام 1925 كان وزير التربية يدعو مراكز التعليم كافة ، وعلى كل المستويات لتطويع كل برامج التدريس، بهدف تربية الشباب الأيطالي على اسس الفاشية وضمان تعايشهم مع ذلك الظرف التأريخي الذي اوجدته الثورة[91]. بهذا الشكل ، عملت المراكز التعليمية من الأبتدائية وصولا الى الجامعة مؤسسات على الأنسجام مع مطالب و نداءات الدعاية الفاشية و جعلوا البرنامج التعليمي مسايرا للأيدولوجية الرسمية. تحت ضغط الحزب ، طلب من المعلمين تهيئة الجيل الجديد " لأنتفاضة الروح" ضد التقاليد البالية و تمتين اعمدة الأيمان المفعم بالشعور و العاطفة. حيث كانوا يعتمدون المبدأ التالي في تربية الأطفال :" المدرسة هي الحياة والحياة عبارة عن التطلع الى الأيمان والألتزام الفاشي": يجب ان تربى بأخلاص للفاشية"[92].

كان جورسيبي بوتاي يقول " الأتحاد العضوي" للشباب و الحزب مع "عصر مدرسة اكنوستيك"[93] يجب ان لايبقى ويجب ان تحل محلها المدرسة الفاشية واصول التدريس الفاشي والتعليم الفاشي[94].

هل هنالك اية فروقات تكوينية مع البعث العراقي؟ لا . ولكن لنلقي نظرة على الشمولية البعثية.

ابتدءاً في استلائهم على السلطة ، بدأ النظام البعثي بتوجيه خبراء التربية الى ملائمة البرامج التدريسية مع متطلبات التحول بقيادة الحزب"[95].

ان تكنيك تأهيل الطلاب اي تأهيل بعثيي المستقبل كان بحاجة الى "البرامج الجديدة" وعلى كل المستويات من الحضانة الى الجامعة والتي تنهل جميعها من مبادئ الحزب والثورة[96]. وللوصول الى هذا الهدف ، تم تشكيل عدة لجان لأعادة النظر و تغيير المناهج التربوية من اجل تدريب " الجيل الجديد لكي يقفوا ضد تلك الأيدولوجيات والثقافات التي لا تنسجم مع طموح الأمة العربية واهدافها في الوحدة و الحرية والأشتراكية"[97]. في سنة 1973 قال صدام بأن تلك اللجان التي انيطت بها مهمة اصلاح المناهج الدراسية " يجب ان لا تنسى فكرة الأشارة الى الأعداء التقليديين"للأمة العربية و عليهم ان يعملوا من اجل ان " يستمر الأطفال و الطلاب في عدائهم و كرههم للأمبريالية"[98].وفي مناسبة اخرى كان صدام يسدي نصائحه الى خبراء التربية و مدرائها وذلك كي يولوا الأهتمام بالطالب و يمنعوه من ان يحفظ دوغما الحزب "كالببغاء" لأن الأخلاص الداخلي الذي يريد حزب البعث ان يخلقه في اعماق الطالب يجب ان لا يعبر فقط عن نهج تعليمي ظاهري لبعض المصطلحات البعثية، بل عن طريق تدريب مخلص و صحي و ابداع برنامج الثورة"[99].

من اجل "اصلاح التكوين الأخلاقي والنفسي للفرد العراقي" ارادت التربية الوطنية ان تضمن تفاعلا تفصيليا و صميميا بين المواطن و التوجيهات العامة للحزب فقام بتنفيذ تلك القوانين والتوجيهات التي فرضها نظام حكم صدام حسن. ان شخصنة مطالب الحزب من قبل صدام حسن ، جعل من الأخلاص الداخلي للحزب والحقد ضد اعداء الشعب،الأساس للدراسة في العراق.

والقى مسؤولية انجاز هذه المهمة قبل الكل على معلمي الأبتدائية." ان مسؤولية معلم الأبتدائية تأتي قبل مسؤولية مدرس الثانوية و مدرس الثانوية قبل استاذ الجامعة "[100]. ماهو السبب ؟الجواب هو ان معلم الأبتدائية تقع على عاتقه مهمة تربية الطفل والذي يشبه قطعة من المرمر الخام بين ايدي نحات. لذا فالمعلم الأبتدائي له القدرة بأن يمنحه شكلا جميلا دون ان يتركه لرحمة الزمن او قسوة المناخ[101]. والأخرون مثلا استاتذة الجامعات ، فأنهم يشرفون على الطلاب الذين اكتمل تكوينهم الخلقي و النفسي اذ كان هذا التكوين منحرفا فمن الصعوبة بمكان ان يصل الأصلاح الى اعماقه[102]. لهذا السبب يجب ان يعلم خبراء التربية بأن مسؤولية المعلم الأبتدائي مهمة و دقيقة . لهذا السبب فأن تربية الطفل منذ الصغر بحاجة الى ريشة فنان مقتدر كي يزن روحه "بألوان مناسبة"[103].

من اجل المحافظة على الطفل من تلك الأفكار التي لم تعد تناسب اليوم ، يجب ان نقوي اسس ايدلوجيا البعث بين الجيل الجديد. ان مسؤولية الحزب "هي ان يجعل من الطفل مركز اشعاع في الأسرة التي تتكون من الأب و الأم و الأخت و الأخ ويعلمهم طريقة التعامل و الأحترام التي تستند على مفاهيم الثورة " ، لأن عندما يربى الطفل في المدرسة ، انه يتعلم هنالك كيف يصنع طريقة جديدة للحياة في اسرته على اساس حزب البعث العربي الأشتراكي و التحولات الثورية[104].وان يتم نقل قيم الثورة الى الأسرة لتحل محل الأعراف البالية فيها بحسب صدام حسين كان يجب ان يكون عن طريق الأطفال والشباب :"لكي لا نعطي المجال للوالدين ان يفرضوا التخلف على الأسرة، يجب ان نجعل من الطفل مصدر اشعاع ليطرد هذا التخلف، لأننا وإن كنا قد خسرنا بعض الأباء والأمهات لأسباب مختلفة ، فأننا لم نخسر الطفل بعد فعلينا ان نعمل من الطفل مصدرا اشعاع من اجل تغيره الىالأفضل وان نبعده من الأشياء السلبية"[105].

وجه صدام حسين هذا الخطاب في 1977 الى موظفي التربية الوطنية و عبر عن عدم رضاه عن المسؤولية التي اتخذوها على عاتقهم. كان صدام حسين يريد ان يقول بأن الذي تم انجازه لحد الأن دون مستوى المطلوب . كان يحثهم على ان يبذلوا المزيد وان يضحوا اكثر وان يفهموا بأن اكثرية الشعب لم يتخلص تماما من العادات الأجتماعية القديمة "[106]. ان السنوات التسع الت تلت الثورة كانت مجرد بداية و كان حزب البعث مدركا بأن منجزات الثورة لاتزال دون مستوى طموح البعث من اجل السير نحو خلق منهاج جديد و من اجل ان لا يعرقل هذه المسيرة ، كان يحث المعلمين على النسجام مع القوانين والأنظمة التالية:

1- محاصرة الكبار عن طريق الصغار.

2- تعليم الأطفال كيفية الوقوف في وجه الأباء والأمهات عندما يسمعونهم يتكلمون عن اسرار الحزب والدولة ويقولوا لهم بأن هذا ليس صحيحا.

3- تعليم الصغار نتقد ابائهم و امهاتهم بأحترام عندما يسمعونهم وهم يتحدثون عن التنظيمات السرية للحزب.

4- ان يوضع في كل زاوية ابنا للثورة (.....) كي يأحذ التعليمات من المراكز المسؤولة للثورة وان ينفذ فورا هذه التعليمات.

5- تعليمهم الأعتراض بأدب على افراد اسرهم عندما يرونهم يبذرون في صرفهم لأموال الدولة.
6- تعليمهم في هذه المرحلة عدم الثقة بالأجني ،لأن الأجنبي عينه على وطنهم و ان البعض منهم اداة لتخريب الثورة. لذا فأن التعامل مع الأجبي و التكلم معه دون مبررات مشروعة امر غير جائز.
7- زرع بذورااليقضة والحذر في الأطفال كي لا يعطوا اسرار الدولة والحزب الى الأجنبي وان يذكروا الصغير والكبير و بأحترام بأن لا يتحدثوا امام الأجنبي في اسرارالدولة دون تحفظ[107].
كان هذا هو واجب المدارس و مؤسسات التربية من منطلق فلسفة التربية البعثية، وكذلك دور الطلاب و المعلمين ز في سنوات السلم الداخلي ، وقبل الحرب مع ايران ، كان صدام حسين يدعوا الخبراء العرب في مجال التربية بأن يجتمعوا في بغداد من 7 الى 15 حزيران سنة1975 و يقول ان ربط الفلسفة بالعمل ، شرط اساسي " لعسكرة التربية"[108].
ان اغناء الطفل و الطالب بقيم وفلسفة البعث ، يمهد الطريق لفهم هدف "حمل السلاح" خدمة لفلسفة العروبة و البعث و يفهم من هذا بأن على كل المواطنين ان يذهبوا الى اقصى حدود العراق كي يدافعوا عن الأمة العربية[109]. بعد مرور سنتين على هذا الخطاب كشف البعث و صدام كلا من نظرتها حول "عسكرة التربية".
"(.....) عندما يستوجب على ان يقف الطالب حاملا سلاحه تحت الشمس دون ان يتحرك عندما يطلب منه ان يقف بوجه انزال امبريالي في هذه المنطقة المعقدة ، سينفذ هذا الطلب لأنه ومنذ الصغر تعلم العمل التنظيمي (....)، لأن الحياة العسكرية و الحزبية اصبحت جزءا من حياته و وايضا من التربية العامة عندما كان طالبا صغيرا في المدرسة"[110].
في السبعينات ، والى جانب تحويل المدارس الى ساحة للأيدولوجيا و وجعل مناهج التدريسية منسجمة مع التوجه القومي و العسكري ، شهد قطاع التعليم توسعا غير مسبوق . خلال سنوات 1968 و 1977 كان عدد الأطفال في مدارس الروضة قد قفز من 13462 الى 56347 و المعلمين من 762 الى 2603 . و عدد اطفال المدارس الأبتدائية من 1007050 الى 2048566 و ععد معلمي المدارس الأبتدائية من 47058 الى 78060 و عدد المدارس المتوسطة والأعدادية من 9428 الى 21256 و عدد المدارس المهنية من 9753 الى الى 35188 و عدد المعلمين من 2193 الى 233 وكان خلال سنوات 1975 الى 1977 عدد طلاب مدرسة اعداد المعلمين من 8 238 الى 17337 والمدرسين من 405 الى 666 .
في سنة 1977 كان عدد طلاب الجامعات العراقية 85399 وكان عدد اساتذة الجامعات 4497 [111].
لو القينا نظرة على عدد سكان العراق في سنة 1977،نرى بأنه كان12029000 [112]. فمن هذا العدد نستطيع ان نستنتج بأن نسبة 2،24% من العراقيين كانوا من الأطفال الذين تقل اعمارهم عن 22 سنة. في سنة 1984 كان عدد التلاميذ في المدارس الأبتدائية مليونين و طلاب مرحلتي المتوسطة والأعدادية مليونان

والجامعة مليون و طلاب مدارس اعداد المعلمين و المؤسسات التربوية الأخرى مليون[113]. اي اكثر من نسبة 40% من مجمل سكان العراق . نستطيع القول بأن في نهاية الثمانينات ، كان هناك جيلا كاملا ممن هم دون 26 سنة كانوا قد تربوا في ظل الشمولية البعثية . ان مدرسي كافة المستويات و الكوادر الحزبية و الموظفين و القطاع الصحي كانوا ضمن هذا الجيل ، حيث تربوا داخل تلك المدارس التي كانت مهمتها نزع شخصية الفرد العراقي و جعل طريقة تفكيره ميكانيكيا الى النخاع و تسيس نفسيته و احداث تغيير بحيث يقف لا شعوريا ضد اي شخص لا يوافق على النهج الشمولي . ان كل هؤلاء كبروا داخل نظام تربوي كان يريد ان يضع المواطن داخل بوتقة البعث وتطهيرهم على "المستوى الروحي" كي يجدوا الفضيلة البعثية. فكانوا يدربون على المبدأ القومي" السلفي" و رهاب الأجانب الذي يعاني منه المثقف العربي امثال ميشيل عفلق وزكي الأرسوزي و ساطع الحصري . الخ كلهم تعرضوا الى محاولة التشوية الأيدولوجي و السياسي وخاصة في حرب العراق مع ايران سنة 1980 فقد تم تدريب الأطفال والشباب العراقي على المحتوى الشوفيني و العنصري للكتب و الكراسات التي كانت تكتب لهم " صقر العرب" الطفل و الدبابة" "قائد النصر" . اغنية الأنتصار"، "اغاني المعركة" ، كانت هذه بعض من الحكايات و قصص الأطفال[114].

"هنالك ثلاثة اشياء كان على الله ان لا يخلقهم: الفرس و اليهود و الذبابة" "ان الفرس هم حيوانات في هيئة البشر واليهود هم خليط من الفضلات و بقايا الشعوب الأخرى و الذبابة مخلوقة عديمة الفائدة" ولا احد يعرف ماهو سبب قدومهم الى الدنيا"[115]. كان هذا مستوى تفكير خيرالله طلفاح ، خال وابو زوجة صدام حسن. كان المواطن العراقي يربى على هذه القواعد. ولم يكن النظام التعليمي منذ الأساس متكاملا . ولكن في زمن البعث جعل من هذا النظام أساساً لوضع اغلال العبودية في عقل وروح و نفسية الطفل و تقويض اركان الأسرة و تمزيق النسيج الأجتماعي بين اعضاء المجتمع العراقي . ففي مجتمع تقليدي كالمجتمع العراقي ، كانت العلاقات الأجتماعية و الصداقة وحب الجار والأهل ، تشكل عرفا مقدسة . فأحترام الطفل للأبوين والشاب للطاعن في السن والثقة بالجار و الصديق ، كانت قيماً التي لايمكن الأفراط بها ابداً. بأحلال ارادة الطفل مكان سلطة الأب و الأم و حب الحزب مكان الصداقة الحميمة وعدم الثقة والخوف مكان الثقة بالجار ، ان الشمولية البعثية جعل من المجتمع العراقي جاسوسا . دفعت بالطفل الى الوقوف بوجه والديه واخوته والأهل والجيران و والصديق بوجه الصديق والجار بوجه الجار... الخ و حسب صدام حسين والقومية العشائرية البعثية، لم يكن هذا يتناقض مع طبيعة المجتمع العراقي . وضع الطفل فوق مستوى سلطة الأب ورفعه الى مستوى المعلم في الأسرة و علمه كي يقف بوجه والديه "بأحترام" ويشتكي عليهم عندما يرى أنهم لا يتفقون مع افكار الحزب او كانوا ضد الحزب . ولم يكن هذا يتناقض مع احترام الأب و الأم و مبادئ وحدة العائلة "و يجب ان لايسكت عن الأختلاف في وجهات النظر بدعوي الحفاظ على وحدة العائلة ، بل يجب ان تنطلق على اساس الأنسجام مع الأتجاه المركزي للسياسة والعرف الثوري من اجل بناء المجتمع الجديد . وفي

كل مرة عندما يتناقض وحدة العائلة مع هذا الأتجاه يجب ان يحل هذا التناقض لمصلحة التوجه الجديد"[116].

ما ذا يكون الرد على نظام سياسي يكون فية وحدة العائلة متوقفة على المعايير و القوانيين البعثية ، والتي تحرم العائلة من حرية التصرف و الحياة اليومية وتبعدها عن الأستقلالية في حل المشاكل بين افرادها ويخالف تلك القاعدة الكونية التي تعتبر العائلة كيانا اجتماعيا مستقلا وبعيدا عن اي تدخل سياسي او ايدولوجي . عند الفاشية العشائرية البعثية العراقية ، لاتعتبر العائلة وحدة طبيعية مستندة الى مفهوم الحرية، بل كيان متوقف على تلك العلاقات السياسية التي التي توجه افراده نحو هدف تلائم تماما مع "الأعراف الثورية" . وتستوجب على تصرفات الأفراد ان تكون في خدمة ايدولوجية الحزب بحيث ان اي تنظيم للعلاقات العاطفية بين الأفراد يجب ان يخضع للتوجه الجديد لحزب البعث وقائده . ان يكون تنظيم العلاقات بين اعضاءه من حيث العاطفة والحنان على اساس "التوجه الجديد" لحزب البعث و قائده .

في الحقيقة لو القينا نظرة على محتوى ايدولوجية و تصرفات النظم الشمولية ، نلاحظ بأن الشخصية البعثية وفيما يتعلق بالسيطرة على العائلة عن طريق الحط من نفسية الشباب و الأطفال ومحو الثقة بين اعضاء العائلة ، متوازي مع مافعلتها النازية. لنقوم عن كثب بهذه القراءة.

عندما كان الحزب الوطني الأشتراكي (النازي) يشجع اعادة بناء المجتمع ، جعل من الأسرة الألمانية مسرحا يتقاتل فية الأطفال مع الأبوين والأخوة والأخوات. عندما كان يتم تسيس الأطفال في منظمات الشباب ، كانوا يحثونهم على السيطرة على قوة التفكيك الأخلاقي لمواقف الأب و الأم . كان هتلر يقول: " لامشكلة لدينا في ان ينخرط الشباب وبصورة مؤقتة في نزاع مع الأبوين ، شريطة ان يساعدونا وعن طريق موقفهم في بناء هيكل المجتمع الجديد لقرون قادمة"[117].

كان الهدف من "عملية التزامن الروحي"[118] هو التربية الأيدولوجية للجيل الجديد و تدريبه على "نمط واحد من التفكير" . مثلما كان يقول غوبلز في 1934 " نحن نستطيع القول بأن الذين تربوا في عالم مختلف من حيث التفكير عن عالمنا، بأمكاننا تدريبهم على نمط معين من التفكير . واننا املنا في الجيل القادم لأنه يمنح الشخصية لأمتنا"[119]. ان هذا الطموح عند النازية كان يتحقق عن طريق تحويل ثقة الطفل بأبويه الى ثقته بالحزب والثورة النازية . كانت على العلاقات العاطفية التي تربط الطفل بأبويه ان تفسح المجال لسلوكيات العهد النازي .لهذا السبب فأن تحويل الطفل الى عامل انضباط داخل اسرته كان الغرض منه خدمة مبادئ الحزب الوطني الأشتراكي . بدون شك فأن النتيجة لم تختلف مع ما قام به البعث في هذا المضمار: تقديم الشكوى ضد الأبوين و الأخوة والأخوات من اجل الحفاظ على النظام النازي. في نظام كهذا والذي كان يأمل بأذابة "الأنا الصغير" في" نحن الجميع" [120]. كان طبيعيا ان يعود (الشباب العظيم) الهتلري

مثل الشباب العربي الصدامي كي يشتكي و "بأحترام" على الذين تربوا في عالم اخر من الأفكار غير عالمه . برونو بيتيلهايم الذي كان هو الشاهد على قسوة النازية يشرح بصورة تفصيلة اسلوب النازية :
"كان الأطفال وخاصة في المدارس و تنظيمات الشباب الهتلري (...) كان يسيسون و يشجعون على التجسس والتبليغ عن ابويهم لدى السلطات" [121].كانت الحال في المانيا نفس ماكانت عليه في العراق لاحقا ، حيث كانت هنالك العديد من الأباء والأمهات يقبعون في السجون نتيجة تقديم شكاوى ضدهم من قبل اولادهم"
عدد من ارباب الأسر الذين تم التبليغ عنهم من قبل ابناءهم الذين كانوا شباب متحمسين لمسألة النازية لأعتقادهم بأنهم يعادون النازية وجدوا انفسهم في معسكرات الأعتقال، والجدير بالذكر اثناء تضارب الأراء بين الأولاد و من جهة والأباء و الأمهات من جهة اخرى لم يكن الأطفال يدركون ايهما يختارون الأخلاص للوالدين ام اداء واجبهم تجاه دولة علمهم ان يبلغوا عن الخونة"[123].
ونتيجة لهذه التصرفات كان الأبوين يلجأن الى "اخفاء افكارهم الحقيقية حتى في البيت"[124]. بدون شك ان عدم الثقة بالأولاد، كان ينعكس على العلاقة بين الأب والأم والأقارب والأصدقاء [125]. في بعض الأحيان كانت تنشأ علاقات عائلية عن طريق الأطفال التي كانت توالى النظام وسرعان ما كانت تنفرط عرى هذه العلاقات بسبب الأطفال ايضا وذلك نظرا لأختلاف الرؤى حول قيم النازية. يلاحظ بأن الأبوين كانوا يفقدون سلطتهم التقليدية على الأطفال لأن النظام النازي كان يعطيهم الحرية في السيطرة عليهم و تقديم الشكوى ضدهم في حالة عدم انسجامهم مع قوانين النظام[126].
ان هذا التصرف المشترك بين كل النظم الشمولية هو في الحقيقة تكملة للحسابات السيئة للحزب الوطني الأشتراكي: مثلا تغذية الشعور بالأختلاف الأخلاقي و النفسي بين جيلين بصورة منهجية ، وتشجيع النظرة الدونية الى البعض من اجل تبيان عظمة الرسالة الأيدولوجية[127]. ماذا كان بوسع الأبوين ان يفعلا ؟ بدون شك نتيجة لفقدهما السيطرة على اولادهم والحالة النفسية السيئة التى اصابتهما من جراء ذالك لم يكن في يدهم حيلة الا الأستسلام للواقع المرير. ان القناعات السياسية والأخلاقية الأيمان بالقيم العليا . لم تكن بأمكانها الوقوف بوجه طغيان النظام . ان معظم الذين كانوا ضد النازية اضطروا الى ترك النضال و تنازلوا للنظام. دون ان يسجلوا في الحزب و ان يؤمنوا بقيمه ، بدأوا بالأستفادة من النظام من اجل حياة هادئة مع افراد العائلة والجيران(.....) من اجل ان لا تهددهم الشرطة السرية ، عندما بدؤا بلأستفادة من المزايا التي كان النظام يوفرها لأعضاءه ، تحول الكثير منهم الى القبول بقيمه"[128].
الجدير بالذكر ان النازية وفي الثلاثينات من القرن الماضي انهي تجربته ولم يبقى لها وجود الأن. على الأقل ينتظر ان يندثر قيمه . ان المجتمع الشمولي الذي ارادت ان تبنيه انهار وكأنها قصر من الورق . وكذلك حزب البعث عندما انهار انهار معه قصره الكارتوني الذي اراد ان يبنيه . ان البعث ولمدة ربع قرن كان ماضيا في تحطيم الأطار الأخلاقي والنفسي للفرد العراقي بأضافة الى ما تطرقنا اليه . اننا

ومن خلال شهادة كاتب نستطيع ان نفهم بشكل احسن التصرفات الشمولية البعثية :" تحدثوا عن طفل في الحادية عشر من العمر تفوه بشئ في مدرسته . بعد الحديث تكلم معه فقد اثر ابويه لمدة شهرين (....). والديه لم يكونا بعثيين كانوا دائما يتظاهرون امام اطفالهم بأنهم من انصار النظام وكانوا يشجعونهم ان ينخرطوا في تنظيمات الشباب .ان الأنسجام بهذه الصورة مع القانون لا يلفت انتباه الأخرين و يضمن حياة مستقرة و هادئة للأطفال"[129]. يقول كاتب اخر في عام 1981 ، اي لم يكن النظام قد وصل بعد الى اقصى حالات البطش ، كان الكثيرين من العراقيين الذين كانوا تحت سن الأربعين ولا زالوا غير منتمين للحزب لكنم و لخوفهم كانوا يكررون بأنهم فخورون بأن ابنائهم و بناتهم اعضاء او مؤيدين للبعث[130].

لاشك اننا نجد هذا في المعايير الأيدولوجية للبعث ايضا والتي تفصل الأطفال عن البالغين . الأطفال ليس لهم وعى تجاه انفسهم . ان الأطفال هم حصة الحزب قبل ان يكونوا حصة والديهم وعليه ان يربيهم . كان صدام حسين يقول ان الأطفال و الشباب ليس لديهم انتماء اجتماعي او طبقي وليس لهم اتجاه سياسي معين . لهذا السبب فالحزب بالنسبة لهم هو الأب و الأم[131]. ماذا كانت تقول النازية؟ ان الشباب هم ملك للشعب بمعنى انهم ملك للحزب لأن الأبوين يقومون بتربيتهم فقط[132]. بحسب الأيدولوجية و النظام فأن الذين يريدون ان يضعوا العراقيل امام نمو الأطفال ، عليهم ان تحمل نتائجه. كانت هذه دروس القومية الشمولية في التأريخ المعاصر.

هوامش الفصل الثاني

1- انظر
The 1968 Revolution in Iraq :Experience and Prospects,The Political peport of the Eighth Congress of the Arab Bath Socialist Party , January, 1974,Itacha Press ,London,1979.

2- في القصص القديمة الحرس البريتوري هم الجنود الذين كانوا مهمتهم حماية الأمبراطور. في القرن الثالث استطاع هذا الحرس ان يقوم بأنقلاب ضد الأمبراطور واحلال شخص اخر محله.
القصد من النظرة البريتورية هو عمل انقلاب في الدولة . انظر:
Maurice Duverger, De la dictature, R .Julliard, Paris,1961,p.11.

3- shafik al-Samarraie, Le parti bath arabe socialist et son role politiqu depuis sa creation a nos jours (these de Doctorat), Faculte de –droit et des sciences economiques,Universite de Nice, 1976, pp.73-78.

4- christine moss Helms, Iraq Eastern Flank ok the Arab world , The Brookings Institution, Washington,D.c, 1984,p.85/

5- ibid.,pp.88.

6-ibid .,pp.86-87

7- حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية،1990 ص 18

8- kamel, S.Abu jaber, The Arab Bath socialist Party, History and Organization, Syracuse University Press 1966, p.141.
برأى حنا بطاطو كان لتنظيم البعث نوعان من الأعضاء "الفعال" و "المرشح".
كان للمرشح بعد ستة اشهر ان يصبح عضوا . انظر:
Hanna Batatu , The Old Social Classes and the Revolutionary Movement of iraq :op.cit ,pp.742-745.

10- ibid .p.816.

11- ibid.p1078.

12- samir al-khalil,op.cit.PP.71-72.

13- christine Moss Helms,op.cit.p.87.

14- الثورة و النظرة الجديدة ،دار الحرية للطباعة، بغداد1981ص140

15- صدام حسين في:
Efraim Karsh and Inari Rauts :
Saddam Husayn, A political Biography, Bpcc Wheaton, London ,1990,p.177.

16- the 1968 Revolution in Iraq, op .cit., p.111.

17- maurice Duverger, Les Partis Politiques, Libraire Armand Colin (2e edition),paris, 1976,p.44.
18- hannah Arend, Le systeme totalitaire, les Origines du otalitarisme, Ed, Du Senil,p.92.
19- maurice Duverger , Ibid.,p.45.
20- ان هذه المعلومات اخذت من:
Jean Sigman, Qu'est –ce qu'un nazi ?, Etude de la division de I'Education publique(sans date),pp.23-28,p.46.
21- hannah Arendt, op .cit .,p242.
22- I bid .,p.50,p.93.
23- J.Friedrrich and Zhigniew K.Brzeinski, Totalitarian Dictatorship and Autocracy, Friedich,A. Praeger Publishers?New York, Washington, London, 1965?p.57.
24- henri Bergelin, Qui etait nazi , in , les annes trente, De la.crise a la gerre,Ed.du Seueil, 1990,p.21
25- Ibid., p.21
26- Hanna 1rendt, op cit .,p.49.
27- Ibid., p63.
28- Jean Sigmann, op.cit .,p.34.
للمزيد من المعلومات حول الشرطة السرية للحزب الوطني الأشتراكي و رجال الغستابو انظر:
Louis Saurel, La Gestapo, Ed.Rouff ,Paris, 1967.
وايضا
Heinz Hohne, Lordre noir, histoire de la S.S., Casteman, 1968 ,p.19
29-Hannah Areudt, op .cit., p.269.
هنزهوهنه ، يقول بأن تأريخ وحدات اس اس بدأ منذ ربيع 1919 اي في خضم الظروف السيئة التي تمحضت عن الحرب العالمية الأولى و اختلطت بمبادئ تجربة الوطنية الأشتراكية . انظر:
Heinz Hohne, Ibid .p.19.
30- pierre Aycoberty ? La question nazie, les interpretation du national-socialisme, Ed.du seuil , p.274.
31- francois Bayle , philosophie et ethiqne du national – socialisme, Etuda anthropologiqu des dirigeants S.S.(These de doctorat), PUF, Paris, 1952,p .379.
32- Carl J.Friedrich, op .cit ., p.178.
انظر ايضا:

Pierre Angel, Hitler et les Alleemands , E ditions sociales, Paris, 1982,pp.337-340.

33- ان هذه المعلومات اخذت من:

Samir al-khalil, op cit., pp.40-45, Judith Miller and Laure Mylroie, saddam Husayn and the Crises in Gulf , Random House , Inc., New York, 1990 ? pp.48-49, Richard F.Nyrop, Iraq , A country study, Washington, D.C.? 1979 ,pp.249-250, Efraim Karsch, op. cit ?; pp.180- 181, Pierre Salinger et Eric Laurent, Guerre du Golf, le dossier secret, Olivier orban, 1991, P.25.

34- Paul Battata , Iran Irak , une guerre de 5000 ans, Edition,Anthroopos, Paris, 1987,p.73.

35- Ibid .,p.73

36- حسن العلوي العراق دولة المنظمة السرية، 1990 ،ص42 .

37- Morroe Berger, Les regimes du militares du Moyen oriet, in Orient,3e trimestre,M.15,p.23,1960.

38-Ibid ., 24.

39- انظر

تقرير المؤتمر السادس للحزب البعث العربي الأشتراكي في كتاب:

Kamel S.Aba Jaber , The Arab Bath Socialist Party ,History and Organization, Syracuse UniversityPress,1966,p .162.

40- Richard R.Nyrop, Iraq,A Country study, Washington, D.C., 1979.252

لعرفة المزيد حول دور صدام حسين في عسكرة حزب البعث ، انظر:

Amazia Baram, The Ruling Political Elite in Bathi Iraq, 1968-1986, The changing Features of a Collective Profile, in , International Journal of Middel_East studies, vol.2,Fosc.IV,1989 ,PP.447-493.

41- The 1968 Revolution in Iraq, Experience and Prospects, The Political Report of the Eighth Congress of the Arab Bath Socialist Party, 1974, Itacha Press,London,1979,pp.103-105.

42- Ibid.,p.105

43- Richard R.Nyrop, op.cit.,p.238.

44- Samir al-khalil, La machine infernale, politique de I Iraq moderne, Ed. Jean –claude Lattes, 1991, p.99.

45- Le monde, 3/8/1990,n.14157.

46- Richard R.Nyrop,Ibid.,p.242

47- Ibid p.239,pp.242-243.

48- The 1968 Revolution in Iraq, Experience and Prospects, op .cit.p.175

Anthony H. Cordesman, Iraq and the Conventional Military Balance,28 June 2002.

49- Rechard R.Nyrop ,Iraq, A Country study, op .cit.,284

انظر:

The Guardian, November, 2002.

50-Ibid.,249.

51- Ibid.,p.248.

52- I bid.,p.248.

للمزيد من المعلومات انظر

International Institute for Strategic studies, The Military Balance, 1987-1988, London,p.100 . international Peace Research Institute, World Armament and Disarmament, SIPRL, Oxford University,1987,pp.250-253.International Herald Tribune, November 18, 2002. International Herald Tribune? March 26,2003.

53- Pierre Angle , Hitter et les Allemands, Editions Sociales, Paris, 1982,p.321,P.337.

54- Recueil des actes du Grand Coseil Fasciste, in , Alberto Acquarone, Organization dello stato totalitario , Studi e doccumeuti del tempo fascista, Giuliono Einaudi editore,Torino, 1965,p.20.

55- Francesso Luigi Ferrari,II regime fascista Jtaliano, Edizioni di storia e Letteratura, Roma, 1983,p.218.

56- Ibid.,pp.219-220.

57- Pierre Milza et sege Berstein, Le fascisme italien,119-1945, Edition du seuil ,Paris,1980,p ;197.

للمزيد من المعلومات انظر:

Alberto Acquarone, op.cit.,pp.15-24.

Alberto Acquarone,La Milizia

ايضا:

Volontaria nello stuti fascista, in , la Cultura,II,n.3,1964,pp.259-271,n.4,1964pp.360-374.

* للمزيد من المعلومات حول تلك التنظيمات و انتشارهم في السنوات الأخيرة انظر المصادر التالية:

Helen Chapin Metz, A Country Study, federal Research Division,Library of Congres,1988. Sarah Graham-Brown,sanctiong Saddam:The Politis Intervention in iraq, London and New York:IB Taurus, 1999,Human Rights Wach, Forced Expulsion, Sep.2002

58- ميشيل عفلق ، الجيل العربي الجديد، في سبيل البعث، دار الحرية للطباعة، الطبعة الرابعة عشر،1975، ص 150-157.

59- هذه المعلومات جمعن من المصادر التالية:

Charles Saint_Porst, Saddam Husayn, un gaullisme Arabe ? Edition Albins Michel , Paris 1987-p.89. Christine Moss Helms, Iraq Eastern flank of the Arab world , Washington ,D.C., 1984,pp.96-98.

Samir al_khalil , La machine infernalr, Politique de I'Irak moderne, ed. Jean – Claude Latte's 1991,p.249.

61- charles Saint Porst, Ibid.,p87.

62- Ibid .,118.

63- Ibid.,p174.

64- انظر صدام حسين ، الثورة و النظرة الجديدة، دار الحرية للطباعة ،بغداد،1978، ص 137.

65- نفس المصدر ص138

66- نفس المصدر ص139

67- نفس المصدر ص139

68- نفس المصدر ص140و141.

69- نفس المصدر ص145.

70- Jean Sigman, Qu'est-ce qu'un nazie ? op.cit.,p.38.

71- Carl J.Friendrch and Zbingniew K.Breznski, Totalirian Dictarorshi^and Autocracy, New york,1966,P.61.

72- Adolf Hiller, Mein Kmpf,Nouvelles Editions Ialines, Paris,p.401.

73- Ibid.,p.404

74- Bernard Otto, Le Livre Pour la jeunesse et la troisieme Rrich,in , nazisme et les jeunes, actes du Collque Franco-Allemands, 18-19 November,1983, Prresse Universitaire da Nancy , pp39-40.

انظر ايضا:

Jean Sigman, op .cit.,p.58.

75- للمزيد من المعلومات انظر:

Henri Bergeling,Qui etat Nazi ?op.cit.p.19.
Martin Brozat,L'etat Hitlerien,L' origine et i' evolution des structures du troisieme Reich,Fayard ,Paris,1985,p.395.Carl J.Friedrich and zbigniew K .Brzezinski,op.cit .,p.62.
76- henri Berr, Le mal de la jeunesse,Problemes d' anenir, Ed. Albin Michel,Paris, 1964,p.23.
77- Baldur Von Schirach , in Henri Berr,Ibid,P.34.
78- carl J.Friedirch, op.cit.,p.396.
79- انظر المصدرين:
Pierre Milza et Serge Berstein, Le fascisme italien 1919-1945,Editions du seuil ,Paris, 1980,P .203,p.212.
Carl J.Friedricl,Ibid.,p.62.
80- Alberto acquarone,L' organizzazione dello stato totalitario, op .cit,pp.61-62
81- Louis Cavare.
La notion d'etat dans le regime hitleien, Travaux Juridiques de I' Universite de Rennes, Tome XIV, Librairie Plihon, Renns, 1935,p.30.
82- Gelmer W. Blackburn, Education in the Third Reich,Race and Hitistory in Nazi Textbooks, state University of New York Press, New York,1985,P.97.
83- انظر: نفس المصدر، ص 2
84- Edmond Vermeil, Hitler et le christiansme, Gallimard, Paris, 1939 P.66.
85- Claudia Koontz ,Les meres-Patrie du IIIem reich, Les femmes et le nazisme,Lieu commun, 1986,p.478.
86-Gilmer W.Blacburn, op. cit ,p.95.
87- لهذا الغرض انظر:
Hitler , Mein Kampf, op cit., pp.24-25.p.413-427
88- Benito Mussolini, La doctrine du fascisme, Wallecchi Editore,Fireze,1935,p.15,p.18.
89- IBID.,p.69.
90- pierre Milza et Serge Berstein,Le fascisme italian,op.cit.,p.207.
91- Ibid.,p.205.
92-Carl J.Friedrich,op.cit.,p.157.

93- اكنوستيك ذلك الشخص الذي يعتقد بأنه لايمكن معرفة اي شئ عن الخالق. وان مصدر المعلومات عبارة عن الأشياء المادية و اي شئ يمكن معرفته عن طريق التجربة ، وبصورة عامة اكنوستيك يطلق على الذين لا يؤمنون بالدين.

94- Ibid.,p.158.

95- The 1968 Revolutin, Experience and Prospects, op,cit.p.113,p.171.

96- Ibid.,p.170.

97-Ibid.,p.171.

98-صدام حسين الموازنة بين الحقوق و الواجبات، الثورة و النظرة الجديدة، دار الحرية للطباعة بغداد،1987،ص52.

99- صدام حسين، الديمقراطية مصدر قوة الفرد والمجتمع، الثورة و النظرة الجديدة نفس المصدر السابق ص 23-24 .

100- نفس المصدرص 25.

101- ص 32

102- ص 25

103- ص 28

104 - ص 24

105 - ص 28

106 - ص 29-30

107 - ص 31- 32

108 - صدام حسين حول افاق التربية و استراتجيتها، الثورة و النظرة الجديدة ص 93

109- نفس المصدر ص93-94

110- صدام حسين نفس المصدر ص 27-28

111- المعلومات اخذت من :

Statitical Pocket Book, 1977, Republic of Irak, Ministry of Planninig, Publication and Pulic Relations department, Baghdad, 1977, table,n.27, 2849,50,52,pp.46-50.

للمزيد من المعلومات انظر:

Annual Abstrack of Statistics , Republic of Iraq ?Ministry of Planning, Cenral statistical Organization, Piblication and Public Relations Depatment ,1977,pp.205-208,pp.341-366.

112- نفس المصدرص13,

113- المعلومات اخذت من:

Helms.Iraq Eastern Flank of the Arab World.christine Moss. Washington.D.C., 1984,p.87.

114- zubair ?Dhaudi , petrole , guerre et culture, in , Irak et la guerre, Peuples. Meditrraneens ,n40,1987,pp ?82-83.
115- samir al-khalil , la machine infernal, politique de I Irak moderne, Editions Jean – Claude Lattes, 1991,p.45.
116- صدام حسين نفس المصدر ص 28.
117- Edmond Vermeil , Hittler et le christianisme, op ,cit.,P.66
118- Edmond Vermeil , Doctrinaires de le revolution allemande (1918-1938) Fernand Sarlot , Paris, 1939 ,p.238.
119- Henri Berr, Le mal de la jeunesse allemande , Editions, Albin Michel, Paris ,1964,p.25.
120- Claudia koontz ,op .cit,p.252.
121- Bruno Bettelheim, survivre, collection pluriel, Editions Robert Laffont , Paris , 1979,p.398.
122- Henri Berr, Le mal de la jeunesse allemande, op.cit., p.38.
للمزيد انظر:
Claudia koontz , les meres patries de troisieme Reich, op .cit .p.48.
123- Ibid.p.398
124- Ibid.p 399
125- Ibid.p 399
126- Ibid.p 404
127- Henri Berr, Le mal de al jeunesse allemande, op .cit., p.48.
128- Bruno Bettelheim, Survivre, op .cit., p.402.
129- samir al- khalil , op p.119.
130- Christine Mosse Helms, op .cit p. 96.
131- صدام حسين،الشباب الصحيح طريق الثورة الصحيحة ص 149 .
132- Edmond Vermeil, Hittler et le christianisme, op .cit., p.65.

الفصل الثالث
ايدولوجيا البعث

ماهو البعث؟

لو اردنا ان نضع مخططا لتعريف البعث . فأنه بأمكاننا القول بأن البعث يتكون من منظومة افكار تتأسس على مايلي : التثمين العالي و تقديس الشعور القومي والذي يعتبر بالنسبة للبعث من اعلى قيم المنهج السياسي. من هذا الموقف تدعو البعث الى كيليازمية* ثورية والتي تهدف الى صنع انسان من نوع اخر و بناء منهج سياسي و اجتماعي حديث، ويقول صدام حسين في تعريفه للبعث ان البعث هو الحزب الذي يريد"ان ينشئ دولة ومجتمعا بعثيا"[1]. وعلى اساس هذه الفكرة يجمع البعث بين كيانين سياسيين : القومية والأشتراكية . بعبارة اخرى نستطيع القول لو كانت قومية البعث اشتراكية و تعبر عن الشعب "العامل" ، فأن اشتراكيته قومية اي تعمل من اجل بناء سلطة مركزية في الدولة من اجل خدمة الوحدة القومية. من هذا الموقف يلقي البعث الضوء على العروبة و يطالب الجماهير بأن يكونوا ثوريين من اجل تحقيق الرسالة الخالدة والتي تتكون من المرتكزات الثلاث التالية:
الوحدة، الحرية ،الأشتراكية . وهذا يعني بأن البعث يناضل من اجل وحدة الأمة العربية في ظل دولة تدار من قبل البعث العربي الأشتراكي.

---

* انها تعني و حسب المنظور الديني تلك العقيدة التي التي تتكلم عن عودة عيسا الى الأرض في الألف سنة القادمة. بمعنى العودة الى الماضي.

الأهداف الثلاثة للبعث

1- الوحدة :

ان الهدف الأول للبعث هو مسألة الوحدة . ولكي نصل وبصورة واضحة الى فهم حجم فكر البعث، يجب وقبل كل شئ ان نضع نقطتين نصب اعيننا : الأول ان نعرف بأن التنظير لمسألة الوحدة مع الحرية والأشتراكية هو من عمل ميشيل عفلق

مؤسس البعث، لذا يجب ان نحلل افكاره بصورة منهجية ومفصلة . والثاني اننا لانستطيع ان نصل الى الفهم الكامل لمشروع البعث السياسي والمتعلق بالوحدة ان لم نشر الى المبادئ والأسس الفلسفية لهذا المشروع. بهذه المناسبة يجب ان يقال بأن الكثير من الكتاب اغفلوا هذا الجانب وانهم تحدثوا فقط عن الوحدة من منظور سياسي ، اي من منظور نضال البعث للأستقلال و البناء السياسي للوطن العربي. ان هذا التحليل البسيط والأحادي الجانب لايساعدنا علي فهم "جوهر و طبيعة البعث تماما ".

في البداية نريد ان نوضح موقف البعث من الوحدة على اساس فكر ميشيل عفلق.

ان الوحدة العربية من وجه نظر عفلق يجب ان تكون وقبل كل شئ وحدة روحية. يقول عفلق منذ ان فقدت الوحدة ، لم يستطع الشعب العربي ان يحقق رسالته الخالدة. اذن عاش العرب مئات السنين مجزئين سياسيا الى اقطار و دويلات متنافرة فقدوا ملكة الأبداع والتقدم والحضارة [2]. وان هذا التشرذم جعل من الطاقات و النشاطات التي كانت تزخر بها الأمة في تأريخها الطويل ان تضمحل وتفقد بريقها وان تصيب بالأنهيار الروحي . وبالرغم من ان العرب ظلوا يشعرون ويعرفون بأنهم كانوا قديما امة واحدة ولهم دولة واحدة وانهم مازالوا يتكلمون لغة واحدة ولايزال في مجتمعهم بعض التقاليد والعادات المشتركة (هذه عوامل ايجابية تساهم في خلق شعور قوي)[3]. ولكنهم لا يستطيعون ان يتحرروا من العوامل السلبية . وان هذه العوامل السلبية تمثل الأنانية و تقديم المصالح الذاتية على مصالح القومية العليا. يقول عفلق هذه العوامل هي التي منعت العرب من ان يتوحدوا وهذا هو السبب الذي يجعل من العرب ان يسعوا الى الوحدة الروحية قبل الوحدة السياسية. كيف تتحقق هذه الوحدة ؟ يقول عفلق لانستطيع الكلام عن الوحدة السياسية قبل ان نتوحد على المستوى الروحي. اليوم يجب ان نتوحد على المستوى الروحي والذي هو (الأساس لوجود الأمة) لكي نصل الى الوحدة القومية والسياسية [4].لذا يجب ان يكون الأهتمام الأكبر وقبل كل شئ بالوحدة الروحية، لأن هذا النوع فقط من الوحدة بمقدوره ان يجعل من ضعف الأمة قوة كبيرة وان يحيها. ان الوحدة العربية لا تتحول الى حقيقة من دون حدوث ولادة جديدة في روح الأمة لكي تستطيع ان تصنع الأمة من جديد وان تزيل عوامل ضعفها و تحولها الى طاقة محركة [5]. اذا يجب ان لا يقتصرالنضال من اجل الوحدة على الجانب السياسي وان لايقتصر هدفه فقط على ازالة الحدود بصورة شكلية[6] .صحيح ان هذا يعتبر بحد ذاته هدفا رفيعا و ستراتيجيا، لكن وقبل كل شئ يجب ان نبحث عن "عملية حية" بمقدورها الكشف عن "كنزالنشاط المكين" والذي يتكون من الروح . ان الروح بحد ذاتها تعتبر قوة ثورية وتأريخية ليس لها مثيل[7]. من وجه نظر عفلق ان الروح يجمع كل الطاقات الأيجابية و يمهد الطريق امام تلك القومية التي ترافق العرب منذ فجر التأريخ و تعبر بصورة مباشرة عن مطالب و امال الأمة العربية. من هذا المنطلق ان الوحدة العربية يجب ان تولد وحدة نوعية لها القدرة على تحقيق الجوهر الروحي. الوحدة لوحدها ليست لها اي معنى وتعبر فقط عن "مجموع حسابي بسيط او عددي" بمعني

تراكم لأشياء عديمة الحركة و منقطع عن الحاجات الروحية والتي هي ضرورية لبعث الأمة العربية.
يقول عفلق ان رجال السياسة يظنون بأن الوحدة عبارة عن جمع اعداد(.....) ولكن الأشياء الميته اذا جمع بعضها الى بعض فلا تنتج حياة (...) لكن اذا حركنا الروح ...بعثنا الروح في هذا المجتمع . لذا فإن العملية التنظيمية ليست مفيدة فحسب بل انها ضرورية(.....).
لا يتحقق الوحدة في عالم متخلف و ضعيف . لن تتم الوحدة بين جزأين ان لم تكن وجود لبذرة الحاجات الروحية ، يجب ان تربط هذه الأشياء ببعضهما من اجل خدمة هدف عام واسمى من حب الذات [8].اذا كيف يتم الربط من جديد بين افراد الشعب والمجموع القومي وماهي الأدوات التي تسهل العمل للوحدة العربية؟
ان الأجابة على هذا السؤال تجد نفسها في شعار البعث ، فمن وجه نظر البعث على العرب ان يؤمنوا بشعار (امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) . وقبل ان يفكر العرب بالأدوات المهمة لتحقيق هذا الشعار والعمل من اجله. يجب ان يفهموا بأن هذا الشعار يطرح مطالب و طموحات الأيدولوجية البعثية وفي نفس الوقت ينادي بالوحدة الروحية والسياسية للأمة العربية. يجب ان لاننسى بأن هذه الرسالة "الخالدة" لايمكن ان تكون خاضعة للنقد والجدل بين هذا و ذاك . يجب ان لايتم النقاش حول صحتها او عدم صحتها او القدرة على الأنجاز اوعدم انجازها " ينبغي ان تعبر هذه الرسالة عن الأيمان والذي في جوهره يسمو فوق كل "معرفة مباشرة" . يقول عفلق ان الرسالة العربية ايمان قبل كل شئ، فالحقيقة الراهنة هي ان الأيمان يسبق المعرفة الواضحة، وان من الأشياء ماهو بديهي [9].(.....) انه يدخل القلب و يمتلك العقل دفعة واحدة[10]. ماهي محتوى هذه الرسالة الخالدة؟
يمكننا ان نعثر على الأجابة لهذا السؤال في خطاب عفلقي والذي نشر سنة 1946 تحت عنوان "الرسالة الخالدة:" ان هذه الأمة التي تستيقظ اليوم وتتحفز للنهوض ليست هي ابنة اليوم ، بل هي نفسها قبل الف وقبل الوف السنين خصائصها وحدة الأصل والعنصر يوم كانت هي الرابطة المكينة التي تجمع الأفراد و تطبعهم بطابع واحد وتخلق فيهم نواة واحدة . ثم صقلتها وغذتها وحدة اللغة والروح والتأريخ والثقافة . ولما فقد هذا العنصر مكانه الرئيسي بين العوامل المكونة للأمم ، فقدت الأمة معها ايضا شيئا من تجانسها الضيق غير انها عوضت عنه بتنوع في المواهب والكفاءات وانطلاق في الفكر وتسام في المعنى الأنساني فهذه الأمة افصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة افصاحا متعددا متنوعا في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون ، فيها شعور واحد يهزها في مختلف الأزمان ولها هدف واحد بالرغم من فترات الأنقطاع والأنحراف"[11].
لو صح ان العرب يشعرون بأنهم كانوا من اصل واحد وذلك لأن افكارهم واحدة منذ فجرالتأريخ ابان الأمبراطورية البابلية و مرورا بالعصر الجاهلي فعصر النبوة الى الأمبراطورية العباسية ،لدافع بعضهم عن البعض وانصهروا في وحدة ابدية و ابتعدوا عن التناحر والأنقسام، ولكن كيف يمكن للعرب ان يحققوا هذا الهدف؟

عن طريق الوقوف بوجه نفس العوامل و نفس القوة لكي يقوموا بثورة شاملة لها القدرة في السيطر على القوي السيئة والشريرة مثل (الأمبريالية و الأستعمار والصهيونية) والذي تسيطر من الخارج على الأمة العربية و ان يصفي اعداء الداخل(الرجعية) التي تعمل من اجل اضعاف وبالتالي انهاء وجود الأمة العربية.
بأمكان الأمة العربية ان تحيي قوة العرب البناءة . حسب وجه نظر عفلق ان السياسة الثورية هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على حياة الأمة العربية وان السياسة الثورية بمقدورها فقط ان تحرز الأنتصار النهائي على الأعداء. بأمكان هذه السياسة تفعيل وعي الأمة وان ترفع من مستوى الأحساس بالمسؤولية لتضعها على طريق التعاون بين الأعضاء و من جانب اخر ، تميط اللثام عن الضعف و التشرذم . بهذا الشكل لا يتمكن اي عدو من ان ينشر الفوضى في صفوف الشعب" لابد لهذه الأمة ان تنتصر في المستقبل على كل العقبات التي تعترضها، لأنها تستطيع التعرف على العدو وان تجد ايضا قوتها و طاقاتها [12].
بهذه الصورة ، فأن السياسة الثورية تفصل بين مرحلتين من حياة الأمة العربية: الأولى عبارة عن اللامبالاة و الركود ، والثانية عبارة عن تجاوز لهذه الأمراض و صنع جيل جديد . من وجه نظر عفلق ان السياسة الثورية تتمكن من تغيير الواقع الفاسد الذي يتسم بسيكولوجية انفعالية واخلاقية نفعية وتفكير رجعي ليحوله الى حركة ثورية بقيادة الجيل الجديد و المتحرر[13]. ان عفلق يعطي خاصية مميزة للبعث كحزب ثوري ليس فقط بأختلافه عن التنظيمات والأحزاب الرجعية التي تقف بالضد من دولة عربية واحدة اشتراكية تقدمية ، بل انه يختلف ايضا عن الأحزاب التي تدعى التقدمية تعتقد أن بأمكانها ان تحققيق الوحدة والحرية والأشتراكية[14].بهذه الصورة فإن الثورة الشاملة والوحدة الروحية هما معياران لبعث الفعل السياسي وادامته. ان الفعل السياسي و بتفاعله مع الثورة الشاملة و البعث الروحي . يمهد الطريق امام القومية والتي من وجهة نظر البعث ، كانت في الماضي تشكل بذرة الوحدة العربية , ان هذه العلاقة الجدلية بين العامل الروحي (الشعور القومي) والوحدة السياسية ، تشكل الأساس للوجود العربي، ان البعث يعزو بالسبب الى ان العرب كانوا و منذ فجر التأريخ امة[15]. وكما يقول عفلق " كانوا يعيشون في ظل دولة واحدة " وان اساس وجودهم كان على الدوام قوميا . بهذه المناسبة فإن البعث يأخذ على عاتقه الواجب المقدس كي يلم شمل العرب مثلما كانوا في تأريخهم العظيم في اطار دولة تصبح القومية فيها مبدأ يزيل كل العقبات في طريقها . ان البعث ومن هذا المنطلق هو ضد كل مظاهر التطور البطئ والأكتفاء بالأصلاح الجزئي السطحي " والتي تريد ان تقف كحجر عثرة امام " الرسالة الخالدة" لحزب البعث العربي الأشتراكي.
وعلى اساس هذه القناعة ، المادة السادسة من دستور حزب البعث العربي الأشتراكي والذي سن عام 1947 تقول :" (حزب البعث العربي الأشتراكي) انقلابي يؤمن بأن اهدافه الرئيسية في بعث القومية وبناء الأشتراكية لا يمكن ان تتم إلا عن طريق الأنقلاب والنضال..

ان الأعتماد على التطور البطئ والأكتفاء بالإصلاح الجزئي يهدد هذه الأهداف بالفشل و الضياع"[16]. وتقول في المبادئ الأساسية :"ان العرب امة واحدة لها حقها الطبيعي في ان تحيا في دولة واحدة وان تكون حرة في توجيه مقدراتها"[17].
تقول الفقرة الأولى من المبدا الأول :" ان الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لاتتجزأ ولايمكن لأي قطر من الأقطار العربية ان يستكمل شروط حياته منعزلا عن الأخر". وفي الفقرة الثانية من المبدأ اعلاه تقول:" ان الأمة العربية وحدة ثقافية، وجميع الفوارق بين ابناءها عرضية وزائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي".
والأن نريد ان نعرف ماهي الحدود الجغرافية للوطن العربي والذي يجب ان يكون تحت حكم البعث؟ وبموجب اي مقياس جغرافي و تأريخي يمكن ان يتم تحديد هذا الوطن؟ المادة السابعة من دستور البعث تقول:"الوطن العربي هو هذه البقعة من الأرض التي تسكنها الأمة العربية والتي تمتد مابين جبال طوروس و جبال بشتكوية وخليج البصرة و البحر العربي و جبال الحبشة و الصحراء الكبرى و المحيط الأطلسي و البحر الأبيض المتوسط".** (لو القينا نظرة على الخارطة الجغرافية، افلا نتيقن و بسرعة الى ان طلب البعث هذا يعتبرمن قبيل اليوتوبيا ، اليست هذه فكرة او وجهة نظر سياسية او اجتماعية لاتقيم للواقع اي اعتبار؟) كي يتم دمج كل هذه الأجزاء في دولة واحدة وان تكون تحت سلطة حزب البعث؟ ان الوطن الذي تم تعريفه من قبل البعث يتكون من 22 دولة وكل من هذه الدول لها نظامه السياسي الخاص به والتي تمثل وحدة قانونية واقتصادية وثقافية و اجتماعية في داخل دولة مستقلة و عضوة في المجموعة الدولية. كيف وبأية طريقة يمكن تخطى كل الحدود السياسية التي بين هذه الدول .

** في الحقيقة ان هذا الأدعاء ليس جديدا في تأريخ الأمة العربية وليس من ابتكار البعث. ففي الفقرة الرابعة من المطالب والتي تسمى (المثنى) القومي العراقي، يمكننا ان رؤية هذا الموقف . انظر" حازم المفتي العراق بين عهدين، ياسين الهاشمي و بكر صدقي، مكتبة اليقظة العربية 1990،ص 148.

الى اية شرعية يستند هذا الحزب الذي يريد ان يقود دولة كهذه، لو افترضنا و من منطق غير عقلاني بأنه بالأمكان ان يتم هذا الدمج ، كيف يمكننا ان نتصور بأن دولة بهذا الحجم يمكن ان تقاد من قبل تنظيم سياسي واحد دون ان تتحول الى دولة " بونابارتية" او "قيصرية" مرعبة؟ الا تتحول هذه الدولة الى امبراطورية تعمل على صهر كل العناصر الأثنية و الدينية في هذه القومية التي تؤمن بها،مثلما يقول عفلق؟ وماهي التبرير التأريخي لهذه "الأمبراطورية" اذا كنا نعلم بأن ما عدا شعوب الجزيرة العربية فأن بقية الشعوب التي تعيش اليوم في هذا الوطن العربي الذي يتكلم عنه البعث لم يكن ايا منها يتكلم العربية قبل سنة666 م. ان لغة الأم لملايين من البربر و السودانين ليست عربية وملايين عدة من الكورد و الجماعات الأثنية اخرى هم ليسوا اصلا بعرب وانهم يعيشون داخل حدود تلك الدولة العربية التي يتكلم البعث عنها . اذا ما هو موقف البعث من تلك الأقوام؟

ان المبدأ الخامس لحزب البعث العربي الأشتراكي يفصح عن موقف البعث في هذا الصدد بصراحة" الأقليات غير العربية والذين لايستطيعون ان ينصهروا في الأمة العربية او لا يستطيعون ان يتحولوا تماما الى عرب، عليهم ان يرضخوا لتلك القوانين التي تضع حدودا لحقوقهم وواجباتهم كي لا يتمكنوا من ان يلحقوا الأذى بالمصالح العربية"[18].والأكثر من ذلك ان هذه الدول العربية ليست لها حدود واضحة وتمت ترسيمها بشكل سئ. مثلا، ماعدا خليج البصرة و المحيط الأطلسي و بحر الغزال ،فإن حدود الدول العربية والتي تم تعريفها من قبل البعث ليست كاملة. ماهي مساحة جبال طوروس او جبال اثيوبيا او الصحارى؟ فكل من تلك السلاسل الجبلية تتكون من الاف الكيلومترات. ان سكان الكثير من المناطق العربية ليسوا فقط عرباً . كوردوستان العراق وبحر الغزال واعالي النيل ومناطق إكوراتور السودان اعتبروا جزءا من الوطن العربي[19]. و بالأضافة ذلك يعتبر البعث اسرائيل ايضا جزءا من الوطن العربي[20] و الأسكندرونة في تركيا و منطقة خوزستان(الأهواز) في ايران والتي معظم سكانها من العرب وكانت تحكم في الماضي من قبل بعض العوائل العربية، يعتبر كلها ضمن الوطن العربي . ان منهج الجغرافيا والذي كان يدرس لطلاب الأبتدائية يبين شخصية "ايريدينتزم"* والذي يعتبر المناطق التي تقع في ايران يجب ان تكون ضمن الوطن العربي الذي يريد البعث ان يبنيه . و يعتبر خوزستان التي هي الأن منطقة من مناطق ايران جزءا من الوطن العربي.هذا هو ما مذكور في المنهج المقرر للصف الخامس الأبتدائي "هنالك منطقة في ايران تقع الى الجنوب من بلادنا تسمى الأحواز. هذه المنطقة عربية ولكنها محتلة من ايران. ان اراضي احواز تقع في

---

*ايردينتزم عقيدة سياسية قومية ايطالية والتي بعد تحقيق الوحدة ، طالبت بضم تلك الأراضي التي كانت تحت الأحتلال الأجنبي. في الأدبيات السياسية اليوم تشمل كل الحركات القومية التي تستند الى نفس المبدأ.

في محيط السهل الجنوبي و مناخها متشابه مع مناخنا. وان سكانها وبسبب اللغة والدين وعلاقات القرابة مرتبطين بسكان السهل الجنوبي ، وتتشابه العادات و التقاليد ان هذه المنطقة غنية بالبترول و الرز . ومن المدن المهمة فيها اهواز و عبادان و المحمرة"[21].

2- الحرية :

ان الهدف الثاني للأيدولوجية البعثية هى الحرية . ولكن ماهو معنى الحرية عند البعث؟ يجب ان نؤكد بأن البعث ، تجعل من الوحدة الروحية والسياسية المبدأ الأول له وان شرط حرية الأنسان ونظرة البعث تجاه الحرية تتوقف على المبدأ الأتي:

لأن الأمة العربية تمر بحالة عصيبة ، يجب ان لا تكون الحرية الفردية والشخصية منفصلة عن حرية الأمة، اي يجب ان يكون هنالك تشابها بين الحرية الشخصية و الحرية القومية. ماذا يعني ذلك؟

من وجه نظر البعث ان الحرية القومية يجب ان تسير جنبا الى جنب مع تحرير الوطن العربي. ومن اجل هذا يجب ان تحد من الحرية الشخصية بحيث تستجيب الى "ضرورات المصلحة القومية"[22].في نضاله من اجل حرية الوطن والأمة، يعرض البعث مسألة الوحدة بأعتبارها قوة يجب ان تقف ضد تجزئة الأمة. بمعنى ان المنبع الوحيد للحرية هو الشعور القومي : ان الشعورالقومي هو بمثابة التعبير الوحيد عن الأصلاح الذاتي وفرض المواطنة العربية. لهذا السبب ، يجب على الفرد ان يستجيب للقوة الجامعة و الحاضنة وعصارة روح الأمة الذي هو الشعور القومي. وهذا يعني أن المرء يستطيع ان يكون حرا بشرط ان يكون قوميا لأن القومية وكما يصفها ميشيل عفلق "التقاء بماضينا بين فضائلنا و رذائلنا، انها في تأريخنا المكتوب ، وغارسة جذورها فينا منذ زمن سحيق "[23]. بهذه الصورة ومع تحرير كامل الوطن العربي، يربط البعث القومية بالتصوف[24]. الذي يريد ان يصهر الأنسان في بوتقة المجموع القومي . ان القومية بحد ذاتها تعبيرعن "ايمان واع يدمج الأنسان بالأمة ويجعل منه النواة الحقيقية للوحدة"[25]. من وجه نظر عفلق فأنه يجب الحد من الحريات الشخصية لصالح المصلحة العامة، لأن الفرد هو ذلك الكيان الذي يرتبط بالكامل مع روح الأمة[26]. بالرغم من ان عفلق يقول بأن "الفرد هو الأساس" "وله الأهمية" ولكنه يؤكد بأنه يجب على الفرد بصفته عضوا في الأمة ان ينفذ "تلك الشروط" التي يفرضها عليه العلاقة القومية[27]. ولكن هنالك سؤال يطرح نفسه وكما يقول حنا بطاطو، ماهي السلطة التي تجعل من هذه الشروط بمثابة" المصلحة العليا" للأمة العربية"؟[28]. لنحاول ان نفهم هذه الأشكالية بصورة اخرى . يقول عفلق لاشئ اعلى من العروبة" (العروبة بمعناها القومي)، لأن العروبة لاتقبل بالأنانية و المصلحة الفردية ولاشئ غيرالحقيقة يمكنه البقاء في العلا. يقول البعض بأن العروبة فوق الجميع، ويعنون بالعروبة ماتقرره الجماعة . هذا حديث خطر. من ناحيتنا اننا نعتقد أن العروبة فوق الجميع بمعنى انها فوق المصالح الضيقة و الأنانية والأعتبارات الزائلة والزائفة . ولكن هنالك شئ واحد نعتبره فوق العروبة الا وهوالحقيقة(...) لهذا فأن شعارنا يجب ان يكون الحقيقة فوق العروبة حتى تندمج العروبة بالحقيقة"[29]. بالرغم من ان هذه الكلمات متداخلة مع بعضها ومبهمة، لربما كان عفلق يقصد بها مايلي: بالرغم من ان العروبة لا ترتقي الي مصاف الحقيقة ، ولكن اذا جعل منها قوة ترتفع فوق كل المصالح الشخصية ، فهنا ستكون قريبة جدا من الحقيقة وستصبح العلاقة بينهما قوية لأن العروبة والحقيقة قد تكونان شكلا متماثلا واحدا فلنقل انهما واحدة.

بدون شك ان ميشيل عفلق كان محبا للفلسفة ولكنه لم يكن لدية خلفية قوية فيها ان تأثير الفكر الأوروبي (القومية الأوروبية) جعل منه ان يستعمل في خطاباته الجدل الفلسفي بدون ان يفهمه بعمق وانه يعرض و بصورة سطحية الفكر الفلسفي والسياسي للبعث. ضمن اطار منطقه القومي يريد عفلق ان يقول كما ان العروبة

هي تعبير نقي للأمة، اذا فأنها رديفة للحقيقة لأنها تندمج بها. وعن طريق هذا الحديث الفلسفي ، يجعل العفلق البعث عالما مصغرا للأمة العربية، اي صورة مصغرة من امة نقية ومتقدمة"[30].

بهذه الصورة ، فإن ما نستخلصه من هذه النظرة يؤدي بنا الى ان "الحقيقة" تتكون من اركية في اليونانية القديمة اي " المبدأ الأول" للبعث و نستطيع القول بالمنطق الفلسفي لو كانت الحقيقة اعلى من العروبة ، وليست هنالك اية معوقات تحول دون اندماج العروبة بالحقيقة كي يشكلا معا وحدة غير قابلة للأنصهار. وبما ان البعث هو التعبير "النقي" عن العروبة ، فإن هذا الأندماج هو اندماج البعث بالعروبة من جهه ومن جهه اخرى هو اندماج البعث بالحقيقة الى الحد الذي يتحد فيه البعث و العروبة و الحقيقة اذا فهذه الوحدة ليست الا البعث.

بهذا الشكل ، فإن تضييق الحريات على الفرد من اجل القومية والدور الثانوي للفرد مقابل القومية و العلاقة الروحية للفرد العربي والتي هي مرتبطة بالأمة العربية، تصل بنا الى منطق شاذ الا وهو بأطاعة البعث تتشكل هوية الأمة العربية، اي فقط عن طريق اطاعة الممثل "النقي" او الممثل الوحيد للأمة العربية.ان الحرية وكما يفهمها البعث ، هي نتاج للمسؤلية الأخلاقية للمواطن العربي والتي هي عبارة عن طاعة عمياء مطلقة لأرادة ورغبات البعث العربي الأشتراكي ، الساهر الوحيد على "المصلحة العامة".

3 ـ الأشتراكية :

الأشتراكية هي الهدف الثالث في الثالوث البعثي . تدعي الأيدولوجية البعثية :" ان الأشتراكية ضرورة منبثقة من صميم القومية العربية"[31]. ان الحاجة الى الأشتراكية هي انعكاس لحاجة في اعماق القومية العربية ولكي تكون مقبولة من قبل الأمة تم التزاوج بينها . ان القومية العربية هي في جوهرها قومية اشتراكية وان اشتراكيتها لن تتحقق إلا بالتضامن مع القومية . اذ يوجد هنالك تناغم وتفاعل فيما بينهما ، بحيث لايمكن الفصل بينهما ولاتوجد قوة تفصلهما عن البعض[32]. ولكن يجب ننتبه الى ان ارتباطهما الوثيق يعني بأن للقومية والأشتراكية قيمة واحدة أو ان نكيلهما بنفس المكيال او ننظر اليهما بعين واحدة . ان الأشتراكية تأتي في المرتبة الثانية بعد القومية من حيث الأهمية ، اذ ان القومية هي الأصل. يقول عفلق :" الأشتراكية بالنسبة الينا فرع و نتيجة لحالتنا القومية ولضرورات قوميتنا ، فلا يمكن ان تكون الفلسفة الأولى والنظرة الموجهة لكل الحياة انها فرع خاضع للأصل هو الفكرة القومية "[33]. ولأنها في الأساس قومي لذا فلن تشكل الأشتراكية البعثية "عامل انقسام ونزاعات داخلية[34]" لأن هذا العامل يكون سببا في تشويه التجمع الأنساني والذي تقولب في الفكرة القومية منذ امد بعيد[35]. ان هذا التلاقح الروحي بين القومية و الأشتراكية، ليس له هدف سوى خلق قوة متعاونة في الفكر القومي

وفي نفس الوقت يسد الطريق من امام الأشتراكية كي لا تتحول الى الماركسية الشيوعية وفي النتيجة تصبح ساحة للشعور العدائي في المجتمع. فإن كانت القومية هي التعبير الحقيقي عن الوحدة الروحية والسياسية ، اذاً فمن الطبيعي جدا ان تقف بوجه كل عوامل التجزئة. لأن القومية البعثية بحاجة الى مساواة حسابية للعقل و الفكر وذلك لخدمة المسألة القومية الملحة والتي تتطلب وعن هذا الطريق ان تشترك بصورة فعالة في بناء الوحدة دون التفرقة بين الطبقات الأجتماعية او الأنتماء الديني و الطوائف المذهبية في الأسلام :(شيعة وسنة) والأثنية (الشعوب والأقليات التي تعيش في الوطن العربي). بهذه الصورة ، ان مسألة بعث الروح العربية تتطلب حالة من التوازن في المجتمع عن طريق رفع مجمل الوعي الخاص الى المستوى القياسي او(ستاندارد) والتساوي او "اوموشن" [36] بين مجمل الشعور الخاص وجعل كافة التصرفات الفردية جماعيا. عندما تدعي ايدولوجية البعث بأن "الأشتراكية شكل من اشكال الحياة" وانها تشمل كافة مناحيها : الجانب الأقتصادي ، والسياسي ، والتربوي، والأجتماعي، والصحي ، والأخلاقي ، والأدبي، والعلمي ، والتأريخي ، الخ [37]، فأنها لاتعني وظيفة جامعة للحياة المادية (لو اردنا ان نستعير مصطلحا ماركسيا)، بل ان ايدولوجية البعث تريد ان تقول بأنها تعمل من اجل بعث الروح في تلك الحياة التي تنبع من اعماق القومية. إن هذه المعادلة تجعل الأيدولوجية البعثية والتي تخضع كل المظاهر الحياتية لقانون قومي والذي هو من صنع البعث نفسه اكثر وضوحا. بهذا المعنى ان الأشتراكية البعثية هي روحية اكثر مما ان تكون نابعة من فكرة مادية وانها فوقية وليست اساسية. لذا فمن الخطأ ان نضع الأشتراكية البعثية في نفس المرتبة مع الأشتراكية الماركسية وليس صحيحا ايضا ان نضع التنظير البعثي بالقرب من اي تنظيرات اخرى قريبة عن الماركسية ، ان لأيدولوجية البعث وفي جوهرها تقف بالضد من الشيوعية ، وتعتبر ماركس مثقفا كان واقعا تحت تأثير الروحي للأنتقام اليهودي" عند وضعه للنظرية الشيوعية. ان الأشتراكية البعثية ، هي قومية وروحية وطبقية وانها مرتبطة بالماضي وانها ترفض الأممية البروليتارية . ان الأشتراكية البعثية ليست لها اية نقاط مشتركة مع الشيوعية الأممية التي تتبنى النضال الطبقي و دكتاتورية البروليتاريا والمادية الديالكتيكية التأريخية .

من وجه نظرالبعث ان الشيوعية هي نتاج للفكر الغربي وليس الفكر العربي. وفي هذا الصدد يقول عفلق " ليست هنالك اية قومية او مذهب اوروبي مهما كانت قاعدتها الأجتماعية او السياسية ان تصل حقده ابدا الى مستوى حقد عربي تجاه الشيوعية"[38]. لنرى ماهو السبب.

اولا ان الأمة العربية هي ميراث لماضي مجيد، " انها ليست كأية امة صغيرة ثانوية". لذا لايجوز ان تحمل رسالة اخرى غير رسالتها وان تسير في ركاب امه اخرى وتأكل من فضلاتها[39]. ولأن الأمة العربية كانت الحاضنة الأولى لكافة الحضارات الأخرى ، يجب ان تصنع بنفسها تأريخها و فكرها و موديلها الأشتراكي ولاتستمدها عن الماركسية الغربية.ان الأمة العربية لها خصوصيتها الذاتية وان تقليدها للماركسية الغربية ستخسرها هذه الخصوصية . يقول صدام

حسن لو ان الأفريقيين و الأسيوين اتخذوا من الماركسية منهجا للتحول الثوري ، فليس عليهم عتاب لأنعدام اي موروث تأريخي او فكري لديهم مقارنة بما لدينا نحن العرب.
مثلا ان الأفريقي الروديسي لا يخسر شيئا لو قبل بالماركسية لأنه ليس لديه اية كيان تأريخي مثل ما لدى العرب و كذلك ليس لديه ميراث ثقافي كي يستطيع من خلاله صنع نظرية متكاملة للحياة. ان الوطن العربي هو موطن كافة الرسل و الأنبياء وجميع الحضارات. لا احد يستطيع ان يشك بأن اقدم حضارات العالم نشأت في بلاد مابين النهرين[40]. ان الفكر الماركسي الذي يغفل هذه التجربة التأريخية،"لايعترف بالأساس الروحي للشعوب" .عندما تقف الشيوعية في طريق القوة المحركة للأمة العربية كي تمنعها عن التفكير في تأريخها ، انها بذلك ترفض بعدين في التأريخ العربي : الأول الدين و الثاني القومية.
ان الدين هو" المحرك الأساسي الأول" فقد تمكن لوحده من استثارة كوامن القوي في النفس العربية واستطاع ان يحقق الوحدة والتضامن وان يلهب النفوس ويفتح القرائح وان يحقق بالتالي تلك النهضة ." والثاني ، هي القومية، المحرك الأساسي للشعور العربي.... والتي تستطيع لوحدها ان تحرك اوتار لقلوب وان تنفذ الى اعماق النفوس وان تتجاوب مع الحاجات الحقيقية الأصيلة.
ثانيا: بما انها تعتبر القومية مرحلة وقتية، وتهدد بطمس شخصية العرب القومية فستكون سببا في " انكار الرسالة الخالدة للعرب".
ثالثا: ان الشيوعية تنكر الكيان الروحي و تجعلها تحت رحمة المادية الجدلية . يقول عفلق" اما نحن فليس هنالك ما يستوجبه علينا ان نتبنى الفلسفة المادية حتى نكون اشتراكيين لأن الروح بالنسبة الينا هي الأمل الكبير والمحرك العميق لنهضتنا...و الأشتراكية بالنسبة الينا فرع و نتيجة لحالتنا القومية ولضرورات قوميتنا. لذا فإن الأشتراكية لايمكن ان تكون الفلسفة الأولى والأسلوب الموجه لكل الحياة ، انها فرع خاضع للأصل الذي هو الفكرة القومية".
رابعا: ان الشيوعية تعطي صورة سلبية للمجتمع لأنها تقسمه الى طبقتين متصارعتين ." ان ذلك الوسط الأجتماعي الذي يشير اليه ماركس يعتبر كيانا لا اصل له ولاروح " انها عكس "الأشتراكية الأيجابية" البعثية ولا تستقيم مع الفكر البعثي الذي يرى في الأمة العربية من خلال" وعي العلاقات الماضية مع الشعور بوحدة المجتمع". ان الشيوعية تجعل من النضال الطبقي راية لها ، تقوم بتقسيم المجتمع ، و تبعد بين ابناء الأمة و تجعل منهم ضحايا للأقتتال الداخلي و حب الذات و تفتح الشهية على الأشياء المادية. بهذه الصورة ستبعد العرب عن النضال ضد الأمراض الحقيقية التي تعاني منها[41]. لكن الأشتراكية الأيجابية ومن اجل ان تنسجم مع حاجات الأمة العربية و نضالها. فلن تكون بأداة للتأمر على الوطن العربي و عامل تفرقة او ستارا لحركات شعوبية"[42]. بعكس الشيوعية ، فالأشتراكية الأيجابية انعكاس للفلسفة القومية و تأريخ حياة العرب و تعبير عن جوهر الأنسان الأشتراكي. لذا يجب ان يجعل منها اداة تعمل من اجل توعية العرب و ان تدفعهم للنضال ، الكل معا دون تفرقة بين الطبقات و الفئات الأجتماعية . يقول

عفلق:" ان القومي العربي يدرك أن الأشتراكية هي انجع وسيلة للنهوض بقوميته وامته، لأنه يعلم بأن نضال العرب في الوقت الحاضر لا يقوم الا على مجموع العرب ، ولا يمكنهم ان يشتركوا في هذا النضال اذا كانوا مستثمَرين منقسمين سادة و عبيدا [43].

ماهو دور الطبقة العاملة التي تعتبرها الماركسية الممثل التأريخي؟ ان الطبقة العاملة عند البعث ، لها دور مركزي في الثورة البعثية ، ولكن هذا الدور لايمثل انعكاس للظروف المادية ، اى ان الظروف المادية لاتمنح الدور الرئيسي للطبقة العاملة.ان ثورة الطبقة العاملة بالصورة التي يتحدث عنها ماركس ليست انعكاسا للظروف الموضوعية . حسب وجهة نظر البعث ان ثورة الطبقة العاملة ترجع الى ان هذه الطبقة تتقدم على كل الفئات الأجتماعية الأخرى في استعدادها لتحرير نفسها من مصالحها الذاتية و المظاهر التي ترتبط بها، انها على استعداد ان تضع كفاحها ضمن الأطار القومي. و بالرغم من دورها الرئيسي ، الا ان هذه الطبقة لاتستطيع احتكار الثورة العربية لأن ثورة البعث هي ثورة سائر اعضاء المجتمع والطبقات و الفئات. كل الفئات و كل الطبقات بشرط ان تكون ثورية تستطيع المشاركة في الثورة البعثية. ان ثورة البعث لاتعبر عن احتكار طبقة معينة لأنها ثورة لكل الأمة، ثورة شاملة. في كتاب لوزارة الأعلام تحت عنوان "الفكر الأشتراكي" في سنة 1973 ، كان البعث يفصح عن وجه نظره بالشكل التالي:" هل ان الثورة العربية في هذا العصر هي ثورة لطبقة معينة ام ثورة لكل العرب بدون اية تفرقة بين طبقاتها ؟ هل تريد ان تدفع ببعض من طبقاتها الى خارج هذا الأطار؟ هل تذهب بنا مثلا الى دكتاتورية البروليتاريا ؟ في اطار تأريخنا الراهن، اي في زمن الأنقسام القومي والأحتلال الصهيوني و السيطرة الأستعمارية ، ان الثورة العربية لا تستطيع ان تصبح ثورة لكل الطبقات، بل انها ثورة لأمة ضد واقع متخلف ومنقسم ومستغَل ... من وجه نظر البعث ، ان مفهوم الأمة في المرحلة الثورية ، تشمل الأفراد و الفئات والطابقات التي تعتبر ادواةً للثورة و قصدنا من الشعب هو تلك الجماهير والتنظيمات التي تعتبر اللبنة الأساسية للثورة . عندما تعتبر الطبقة العاملة ضمن هذا الأطار، من الطبقات الرئيسية فأن مرد ذلك هو الدور المركزي الذي تلعبه هذه الطبقة.. في مسار الثورة العربية والتي تتكون من تلك الفئات و الطبقات وهؤلاء الناس التي تعمل جميعا من اجل تحقيق اهدافها"[44].

ان هذا النمط من التفكير يعبر عن فكر البعث الذي يريد ان يضفي الصفة السوسيولوجية و الجماهيرية على القضية القومية ، من وجهة نظر البعث لايمكن فصل الجماهير العربية الكادحة عن القومية العربية. بمعنى اخر ، ان نضال هذه الجماهير ضد البورجوازية والرأسمالية ، هو في الحقيقة نضال امة من اجل الوحدة وضد الأمبريالية والصهيونية. ان البعث الذي يعتبر نفسه "ممثل للجماهير الكادحة العربية وحقيقة الأمة في شكلها النقي"[45].

فأنه ينظر الى نفسه بأعتباره نواة و جوهر هذا النضال. هنا يجب ان يفرض النضال من اجل الوحدة نفسه على "سائر التعريفات الأخرى" و يجب ان تكون الأمة الموحدة هي تلك الأمة التي تخضع كامل عناصرها المكونة لها الى هذه

الضرورة . ان لم تكن هكذا فكيف يمكن تحمل موقف شخص او طبقة لاتريد ان تطيع قوانين هذه الضرورة . اذا فالأشتراكية البعثية ، هي اشتراكية الكل(بمعناها الهيغلي) والتي تفرض نفسها على "الأجزاء" و تتصرف بمقتضى سلطاتها لألغاء الحدود الدينية و الأجتماعية و السياسية و الأثنية وذلك لمصلحة وحدة الأمة العربية.

ثورة البعث:

ان محتوي "الرسالة الخالدة للعرب" والتي هي عبارة عن بناء مجتمع بعثي "يتكون اساسه من الثالوث المعروف الوحدة والحرية والأشتراكية. تستطيع ان تتحقق عن طريق الفعل الثوري . ان البعث الذي يريد العمل من اجل تحقيق هذه الرسالة ، يجب عليه ان يجد اداة او طريقة لضمان هذا الأنجاز . التفكير في هدف تفرض دائما اختيار الطريق الأنسب للوصول الى هذا الهدف. بمعنى اخر ، ان تحقيق "الرسالة الخالدة" بحاجة الى نوعين من الأيدولوجيا، بمعنى ان تكون هنالك علاقة مشتركة بين ايدولوجيتين مرتبطين ببعض ايدولوجيا الأهداف:"(الوحدة والحرية والأشتراكية) و ايدولوجيا الوسيلة"(وهي تلك الأداة التي يجب ان تستعمل من اجل الوصول الى تلك الأهداف)[46]. ولكي نعرض هاتين الأيدولوجيتين ونبررهما، يجب ان نعطي الحق لأنفسنا بأن نكون ممثلين وحيدين ، اي بموجب" القواعد و القوانين الأخلاقية والأجتماعية للأمة ان نتحمل واجب المسؤولية و شرعية هذا التمثيل ، و لتبريرهذا تقوم الأيدولوجية البعثية وقبل كل شئ تقوم بالتعريف عن نفسها:

اولا، ان حزب البعث العربي الأشتراكي حزب ثوري " يريد ان يكون نوعا جديدا من المجتمع"[47]. ثانيا، ان حزب البعث يعتبر الأيمان هو الشرط الرئيسي للثورة"[48]. ثالثا ، ان حزب البعث لا ينظر الى المجتمع من خلال منظور اثني ، وانما هو صاحب نظرة فلسفية عامة ، اي تضع القيود وفق رؤيته لأسباب ومعاني الحياة ومظاهرها و اخلاق الأنسان[49]. رابعا ، البعث يتكون من"حركة تنبع من اعماق الوطن العربي" . خامسا " النقاء الداخلي" يعطي للبعث وحده الحق فقط ان يمثل الأمة العربية ، وان يقف بوجه جميع المحاولات المحلية و الثانوية والشخصية التي ترفض هذا التمثيل[51].

ان هذا التمهيد العفلقي يشترك في صنع الأطار الأخلاقي و ترسم الحدود لتلك التربية الأساسية التي تستفيد منها صدام . يقول صدام في هذا الصدد:" مهما يكن اعتقد بأن البعث هو الروح النقي للأمة ولا يمكن لأي عربي ايا كان ان يحيي هذه الأمة بدون ان يؤمن بروح هذه الأمة"[52]. بهذه الصورة ، ان البعث العفلقي الذي جعل من الأيدولوجية البعثية صورة مصغرة من تلك "الأمة النقية" [53] وان ما يعتبره صدام انه "الروح النقي للأمة" يصب في نفس البحر الذي ينهل البعث منه شرعيته ، بمعنى اخر وحسب مقولة هيغل "شرعنة الذات". في الحقيقة ان البعث ومن هذا المنطلق يعتبر نفسه الممثل الأخلاقي والسياسي للأمة العربية انه يختار نفسه دون الأذن من احد لأن يكون وكيلا عنه و يجعل من نفسه حزبا شاملا"[54] (.....) وهو يمنح نفسه المسؤولية بتفعيل "ايدولوجية الوسائل من اجل تحقيق ايدولوجية الأهداف"

لنعرف كيف يقوم البعث بتفعيل ايدولوجية الأدوات بمعنى اخر كيف يقوم البعث بتفعيل ايدولوجية الثورة؟ . قبل كل شئ يجب ان لاننسى بأنه ليس هنالك مفهوما استعمل بصورة مزدوجة كمفهوم الثورة عند الأيدولوجيات السياسية . لانريد هنا ان نكون غير محايدين في حكمنا او نعطي تعريفا مصطلحيا لكلمة (الثورة) بدون شك

ان هذا ليس ضمن نطاق هذا البحث وسيكون خارجا عنه . لكننا نريد ان نقوم بتحليل ايدولوجية البعث و فهمها للثورة؟
على المستوى السياسي و العملي ، و كما يشير اليه الفقيه القانوني والخبير في علم السياسة "موريس ديوفيرغر" اذ يقول انه: بأمكاننا ان نفرق بين نوعين من الثورة " الثورة التي تستند الى قوة الشعب" و"الأنقلاب الذي يدعي بأنه ثورة"[55] . الأولى عبارة عن فعل الجماهير التي هي في المرتبة الدنيا من المجتمع: ان تلك الجماهير تحركها افكار معينة و تساعدها ظروف حياتية قاسية او ازمة اقتصادية خانقة فتخرج الى الشارع و تستولى على المراكز الحساسة وبالتالي ان تسبب في انهيار مؤسسات الدولة. ان ممثل تلك الجماهير عبارة عن طبقة سياسية (النخبة سياسية) والتي بعد ان تتمسك بزمام الأمور تحاول ان تحقق امال و طموحات الجماهير الثائرة. والمثال على ذلك الثورة الفرنسية ، و الأنكليزية، و الروسية، ...الخ.
ان النوع الثاني هو نتاج و فعل جماعة صغيرة تحاول ومن فوق وبدون مساندة الجماهير ان تفرض سيطرتها على مؤسسات الدولة. ان هذه الجماعة و منذ البداية تقوم بعدة فعاليات عسكرية و تسيطر على زمام السلطة. ان هذه العصبة عبارة عن اقلية ، يمكن ان تكون حزبا سياسيا له ايدولوجية معينة ، او جماعة عسكرية صغيرة . بعد ان تقفز الى السلطة ، تحاول هذه الجماعة ان تفرض ايدولوجيتها على المجتمع . لو تصفحنا تأريخ المجتمعات لوجدنا امثلة كثيرة على هذه الجماعات والى اليوم حيث هنالك الكثير من النظم العسكرتارية و الأحزاب ذوات الأيدولوجيات المتطرفة التي تشملها هذا الوصف.
ماذا بأمكاننا ان نقول عن هدف الأيدولوجية البعثية عندما نتحدث عن المصطلح و التطبيق للثورة،
قبل كل شئ ان قصد البعث هو الفئة الثانية . او نستطيع تعريف ثورة البعث استنادا الى منطق الثورة عند النازية في المانيا.
بأمكاننا ان نعثر على معاني ثورة البعث في التعابير التي يستخدمه بييرايسوبيري المؤرخ الفرنسي و الخبير في النازية ، بمعنى ان نجد هدف الثورة لدى البعث في ثنايا التعبيرات التي يستعملها ايسوبيري لغرض تحليل منطق الثورة عند النازية الألمانية : يقول بيير ايسوبيري " انه بعكس الأساليب الكلاسيكية الثورة عند النازيين لا تولد قبل الأستلاء على السلطة و انما بعدها "[56]. فالبعث يريد وقبل كل شئ ان يهدم القيم السائدة عن طريق الأنقلاب" وبعده يعمل من اجل ثورة دائمة "ثورة فوقية" وبعد ذلك القيام "بثورة تحتية" . والأكثر من ذلك ، ان الثورة في بلد واحد فقط " ليست في حد ذاته هدف ، بل انها بداية الطريق من اجل الأستيلاء على السلطة في كل الوطن العربي. اذا " ان الثورة في قطر واحد" تصبح اساسا" للثورة الدائمة " والتي هدفها توحيد الأجزاء الأخرى من الوطن والأمة العربية . ان هذا المنطق ، في الحقيقة ، يبين ان حزب البعث وعلى المستوى الأيدولوجي لايعترف بالبلدان العربية ككيانات مستقلة ، بل انه يعتبرهم مناطق جغرافية والتي تشكل في مجموعها وحدة عربية غير قابلة للقسمة. إن نتيجة هذا المنطق تشكل النظرة التالية: عندما يستلم البعث السلطة في بلد او في قطر (التسمية البعثية للبلدان العربية)" ان

ثورته و بدون اية شروط لتصبح مناراً للبلاد او الأقطار العربية الأخرى ، ان وظيفة البعث هو تحرير الأقطار العربية الأخرى و توجيههم لأنه وكما اسلفنا ان هدف البعث هو انشاء دولة عربية تحت تأثيراو عن طريق الزخم الثوري.
نستطيع ان نرى انعكاس هذا الموقف النظري من خلال افعال النظام البعثي في العراق. قامت الحكومة البعثية مباشرة و بعد استيلائها على الحكم سنة 1968 ومن خلال القنوات الأعلامية بالدعوة الى الوحدة العربية و رفع شعار الثورة الدائمة . ونصبت نفسها قائدا "للثورة العربية" من اجل الوحدة و طلب من الجماهير العربية ان يثوروا على انظمتهم و ان يحرروا انفسهم وان يعملوا من اجل تغيير المجتمع العربي والسير في طريق الأشتراكية و الديمقراطية الحقيقية[57]. هكذا و بصورة مباشرة ام غير مباشرة تم اطلاق النعوت على النظم العربية ومنها الرجعي ، الأصلاحي ، الأقليمي ، النخبويون. مثلا اطلق على النظام في السعودية" قائد الرجعية" وعلى البلدان الخليجة " قلاع الأمبريالية الأمريكية وعلى حكومة جمال عبدالناصر" نظام نخبوي "، بيروقراطي ، "قاسي" بعيد عن الجماهير و الحكومة السورية انها العدو الأكبر اذ يجب ان تحل محلها قيادة اخرى حقيقية الخ[58]. في المؤتمر الثامن سنة 1974 والذي انعقد في بغداد ، إعلن حزب البعث ان "الأستراتيجية العملية" المنظمة هي ان " تقوم بأنتفاضة في جزء من الوطن العربي" كي تقضي على الحدود القطرية لينتشر بعدها الى ان يتم التحرير الكامل و تتحقق الوحدة"[59]. إن العمل من اجل تصدير الثورة الى الخارج يكون بموجب الأسس التالية :" ان حزب البعث العربي الأشتراكي ، هو حزب العرب. اينما وجد يناضل ضمن اطار هذه الثورة ..(ان حزب البعث) هو الحزب الأوحد و لها قيادة واحدة : ان القيادة العربية .. اينما وجدت ، سواء اكانت على شكل معارضة سرية ام كانت في السلطة . فأن الهدف الرئيسي لنشاطه هو ان يقود الثورة العربية بموجب اهدافها التأريخية والتي هي عبارة عن الوحدة والحرية والأشتراكية"[60].
في سنة 1980 اعلن صدام ان ثورة البعث هي "عملية مستمرة" يجب على الفرد البعثي ان يعرف بأن واجبه لايتوقف على الحفاظ على الثورة وحصرها ضمن حدود العراق فقط : ان الواجب القومي ينتظره في كل مكان من الوطن العربي , ويجب ان لاننسى ابدا باننا لسنا ثوار العراق فقط " نحن ثوار كل الأمة"[61]. وكثوار وكقادة للشعب(....) نحن جزء من امة عظيمة ويجب ان تصبح ثورتنا نموذجا يتبعه الكل".
يجب ان لايغيب عن البال بأن حكومة البعث ومنذ استيلائه على السلطة وكأنعكاس لهذه الرؤية ، اعتبرت نفسها محررا للوطن العربي و كان يحلم بأنشاء امبراطورية شاسعة بحيث يجعل من العراق القلعة المنيعة لهذه الأمبراطورية. ولكي يقنع العراقيين بالدور التأريخي للبعث و الدولة العراقية في بناء الوحدة العربية، وكان يحاول رفع كل الحواجز الأثنية و الدينية بين القوميات والأقليات و المذاهب و الشعوب التي تكون المجتمع العراقي وان يصهرهم في بوتقة الأمة العربية . و منذ السنوات الأولى قام بالأعراب سياسيا عن نفسه تجاه القومية والدين والأقليات العراقية (بالأخص الشعب الكوردي) . مستندا الى المادة السابعة من دستور البعث

لسنة 1947 :"ان النظرية القومية تقول بأن الحدود الشمالية للوطن العربي تبدأ من جبال طوروس والأراضي التي تقع الى الجنوب من تلك السلسلة ، هي ارض العرب والقوميات الأخرى التي تعيش فيها الأن تعتبر اقليات ولا يستبعد بأن يتم ابعادهم الى ماوراء هذه الحدود ان تحولوا الى مصدر مشاكل للأمة العربية"[62].
في محاولته لجعل الكورد منسجمين مع العروبة البعثية كان ميشيل عفلق يجاهد ليس فقط في سبيل انكار شرعية المطالب الثقافية و السياسية للشعب الكوردي وانما ارجاع الكورد عن طريق احاديث سخيفة الى اصلهم العربي و القاء اللوم على الأستعمار الذي دفع بالكورد الى ان يرتدوا عن العروبة . اذ كان يقول في هذا الصدد :" لقرون عديدة وعندما كانت الدول العربية دولة واحدة او شكلوا دول اسلامية عدة كان الأكراد مواطنين عرب مسلمين .حيث كانوا مثلهم و دون تفرقة لكن اليوم بدأت الدول الأستعمارية بخلق التفرقة بين العرب والكورد عن طريق القيام بالبحث حول الخصوصية التأريخية و اللغوية و الأثنية"[63].
عندما يعرف صدام حسين " المفهوم الحديث للأمة" بموجب نظرة ثورة تموز 1968"، يؤكد بأن الكورد العراقيين هم جزء من الأمة العربية"[64] وفي محاولة لأذابة هويات القوميات العراقية في القومية العربية يقول "ان العراقيين الجدد يعتبرون اليوم عرب جدد[65].
ان هذا الموقف يبين لنا جانبا واحد فقط من سياسات التذويب التي اتبعتها الحكومة العراقية . وفي جانب اخر يشير الى تشوية و تغير تأريخ وادي الرافدين لكي وجعله يتماشى مع الذوق العروبي للبعث. في سنة 1978 و بمناسبة حديثه الى الصحفيين يقول صدام حسين "ينبغي اتباع المنهج البعثي في عملية اعادة كتابة التأريخ"[66].
ومنذ سنة 1975 كان يحث كل الكتاب و المؤرخين و الفنانين و الشعراء ، الخ على ان لايجعلوا فقط من السكان الأصليين لوادي الرافدين عربا بل ان يدمجوا تراثهم ايضا مع مشهد الثورة البعثية. مثلا كان تموز الميثولوجيا (تموز اله الخصوبة) تربط بثورة تموز 1968 " لو القينا نظرة على احداث شهر تموز في العراق، سنرى بأن هنالك عدة ثورات تلاحقت في هذا الشهر وكلها كانت من اجل سعادة شعبنا الحبيب (....) ان اول حركة تحررية ضد التدخل الأجنبي في العراق ، كانت حينما قام (الوركاء ئوتوهيغال) اول ملك سومري بالأنتفاضة سنة 2116 ق.م ضد المحتلين(....) يظهر بأن تموز هو شهر السعادة بالنسبة الى مستقبل العراقيين لأن شهر تموز هو اله تموز ايضا"[67]. في محاولته لمد جسر بين السومريين و الأكديين و البابليين والأثوريين..الخ من جانب وبين العراقيين الجدد من جانب اخر ومن اجل ربط هؤلاء العراقيين الجدد بتأريخ الأمة العربية قبل الأسلام و في موضع اخر يقول صدام " ان تأريخ الأمة العربية لايبدا من الأسلام ، بل يرجع الى العصور القديمة ، وان كافة الحضارات الرئيسية التي وجدت في الوطن العربي ، كانت تعبر عن شخصية ابناء هذه الأمة وقد اتت جميعها من مصدر واحد"[68].
ولكي ترغم صفة العراقي على الخنوع الى العروبة لم تكن الأيدولوجية البعثية تتورع عن القول بأن :" لو كانت لهذه الحضارات القديمة خصوصيتها الذاتية ، فأن شخصية الوطن ليست لها اية قيمة اذا ما قورنت بشخصية اشمل واتم للقومية

العربية"[69].عن طريق تشويه التأريخ و الحوادث التأريخية ، كانوا يحاولون "تعريب السكان الأصلين للمنطقة التي تسميها البعث الوطن العربي. كانوا يحاولون تبريرعروبة اولئك الناس بالقول بأنهم من اصل سامي او عربي[70].
بعد ان قامت الحكومة البعثية بحل مشكلة الأصل السامي اي العربي (حسب وجهة المظر البعثية) كانت تحاول ان تسير بكل الأقليات و الشعوب في العراق في طريق القومية العربية وان يقوم بأظهار العراق و كانه قاعدة التقدم والمدنية ، لذلك فله الحق في قيادة الأمة العربية [71]. بهذه الصورة ، سيصبح بلاد مابين النهرين مركزا " للحضارة العربية و اما للحضارات القديمة"[72] اذ يجب ان يعمر مرة اخرى و ان يمد بأشعائه من جديد الى باقي ارجاء الوطن العربي. ان قناعة البعث بأن عليه مسؤولية ابوية في الدفاع عن الأمة العربية ، نراه ايضا في تقرير لمجلس قيادة الثورة سنة 1978 والذي نشر بعد اتفاقية كمب ديفيد: حيث جاء في التقرير" ان من الواضح ان الساحة العربية تنتظر فارسا مناضلا يستطيع ان الرد على كل التحديات وان يضئ الظلام وان يخفف من المأسي(....). ان عيون العرب متجهة في كل مكان صوب هذه الثورة العظيمة في هذا القطر (العراق) (...) ينبغي ان يتقدم حزبكم وثورتكم كي تنهض بالمسؤلية التأريخية وان يحملا على كاهلهما ثقل تأريخ العراق القديم والحديث وان يدافع العراقيين عن شرف الأمة العربية (....) . فالعراق معروف منذ القدم بتحديه للصهيونية في بابل القديمة ونضاله من اجل تحرير فلسطين منذ عهد صلاح الدين وحرب1948 و اكتوبر 1973 والى يومنا هذا "[73].
بدون شك نستطيع ان ننظر الى ذلك من زاوية رد الفعل تجاه القضية الفلسطينية ، ونلاحظ بأنه ماعدا بعض الأعتبارات السياسية والتي لها العلاقة بالصراع الحالي، ان نظرة البعث هي المقياس لتصرفات العراقي. لو كان صحيحا بأن هذا هو رد الفعل لمواقف بعض الدول العربية تجاة مسألة فلسطين فإن الموقف العراقي يظهر بأنه الأشد صلابة تجاه اسرائيل، صحيح بأن النظام العراقي كان ينتهز المواقف المرنة للحكومات العربية والقضية الفلسطينية من اجل تمرير مصالح سياساته القومية، في الكثير من المناسبات و بعد استيلاءه على السلطة ، كلن البعث يربط وبصورة عضوية بين تحرير فلسطين و كل الوطن العربي . من المعروف ان احمد حسن البكر وفي عام 1969 كان ينادي وبأسم البعث "(ان واجبنا هو) ان نحرر الأمة العربية في كل مكان.لامكان للأستعمار ليس فقط في فلسطين بل في سائر الدول العربية . اذ علينا ان نصل بلهيب الثورة الى كافة ارجاء الوطن العربي"[74].
عندما كانوا يتخذون من نبوخذ نصر والذي استطاع ان ينتصر على "العناصر التي كانت تحاول تدمير الوطن العربي مثالا تأريخيا (حيث استطاع) ان يجلب اعداءه موثوقي الأيدي الى بابل " في سنة 1979 كان صدام حسين يقول:" يجب ان لاتنحصر امالكم في بناء عراق قوي وغني فقط بل يجب ان يكون لكم دورا متميزا في تحرير الأمة العربية"[75]. وفي حديث لضباط الجيش عام1980 يقول: يوجد في العراق الكثير من الطاقات تجعلنا ان نكون مركز اشعاع للوطن العربي(....) من

الضروري جدا ان ننتهز الفرص التأريخية كي نقوم بذالك الدور التأريخي الذي مثله ابائنا واجداننا لخدة الأمة والأنسانية"[76].

بعد هذا التحليل لمعنى الثورة حسب الرؤية البعثية، يجب ان لاننسى بأن الدعوة للحرب بأسم " ثورة الجماهير العربية" هي من احدى المكونات الأساسية لهذه الأيدولوجية . يجب االقول بأن البعث لايؤمن في اعماقه بالسلم و بالظروف التي تؤدي اليه. بأية طريقة يمكن ، مثلا ، ان نحلل الهجوم على الكويت في سنة 1990. بالأضافة الى العوامل الستراتيجية والأقتصادية والسياسية والتأريحية .. الخ ، يمكن ان نقرا احتلال الكويت ضمن اطار المنطق الهجومي لمحتوى الفلسفة البعثية. يمكن ان نطرح السؤل التالي : ماذ كان يسمي النظام العراقي احتلاله للكويت؟ "الثورة الكويتية"،" ثورة الجماهير العربية ضد الأمبريالية"، ام "الوحدة الأندماجية" . ان هذه المصطلحات هي في الحقيقة انعكاس لموقف البعث تجاه " الوحدة العربية" ،"الثورة الدائمة" ،"الثورة البعثية" تفسر المعادلة البعثية "من المحيط الى الخليج". كيف كانت الأمور ستسير لو ترك لحكومة البعث في العراق حرية التصرف على هواها؟ الم تكن ستستمر في تحقيق الرسالة الخالدة؟ ان النظم الشمولية تحاول دائما ان تغير الظروف من اجل تحقيق اهدافهم المثالية. ولئن كانوا قد تمكنوا من تغير الظروف لكنهم لم ينجحوا في تحقيق اهدافهم.

اوكيسمورن البعث : القومي الأسلامي ام الأسلامي القومي

البعث هو " ايدولوجية قومية شمولية"[77]، وانه يرى الأسلام على المستوى الأنتولوجي والأيدولوجي على انه "حركة" سياسية و قومية هدفها وحدة الأمة العربية و في نفس الوقت انه ظاهرة احتلالية وحضارية وليس وحي الهي وتطبيقات مقدسة . ان هذا الموقف بحد ذاته ياتي من ان البعث في الحقيقة يحاول ان يلائم طموح حزبه الذي يريد ان يجمع كل العرب في دولة واحدة كموزاييك يشمل كل العناصر الدينية و العقائدية التي تشكل الوطن العربي.
كيف يمكنه ان يؤلف بين الأسلام و العروبة؟ كيف يمكنه ان يحل مشكلة السياسة و الدين؟ كيف يتمكن من ان يؤلف بين محمد الذي هو مرسل من قبل الله والذي لايفرق بين عباد الله ، وبين القومية العربية ، اي مع رسالة البعث؟ ان كان النبي عربي . وهذه حقيقة، ولكن هل كان الدين الذي نشره دينا قوميا يعبر عن علاقة الأنسان العربي "مع الجموع القومي" بالشكل الذي يتحدث عنه البعث؟ ام هو عبارة عن حزمة من الأيمان و التصرفات الدينية التي كانت تعبر عن العلاقة بين الأنسان و الله و المقدسات؟ وهل ان النبي كان عربيا قوميا بمعنى انه كان قائدا قوميا بعثيا؟ لنحاول الأجابة على هذه الأسئلة . فمن وجه نظر البعث ، ان الأسلام و قبل كل شئ حركة تعبر عن الروح العربية ، اي انها انعكاس للروح العربية انها حركة تجد نفسها في حياة الرسول الكريم، انها ليست فقط حدث تأريخي بالنسبة الى العرب تعبر عن الزمان والمكان في اطار الأسباب و النتائج، بل لها علاقة مباشرة بحياة كل العرب في عمقها و حدتها وانتشارها ، وانه صورة صادقة و رمز كامل خالد لطبيعة النفس العربية وممكناتها الغنية و اتجاهها الأصيل [78]. ان كان الأسلام " عامل ضغط" حاول ان يغير حياة العرب، اذا فضد من كان يعمل ؟ هل كان ذلك ضد ظروف حياة العرب واسلوب حياتهم ، اذا كيف كانت هذه الظروف؟ هل كانت ظروفا تعبر عن حياة عبادة الأصنام ام كانت واقعا يتكون من التنافس و الأحتراب بين القبائل العربية؟
في الفترات التي اعقبت فتوحات النبي، ماذا كان الأسلام؟ هل كان ثورة ضد الظلم و الطغيان؟ وماذا نسمى الفتوحات التي جرت ابان فترة الخلفاء الراشدين، الأمبراطورية الأموية والعباسية؟ والعجيب هو ان البعث لايقوم بتحليل الأسلام بل يقدمه على شكل احتجاج ويجعله وسيلة او اداة من اجل تبليغ رسالته القومية. بهذا الشكل ، فالأسلام بالنسبة الى البعث ، هي ظاهرة ترتبط ارتباطا مباشرا " بحياة العرب المطلقة" وانه صورة صادقة و رمز كامل خالد لطبيعة النفس العربية وممكناتها الغنية و اتجاهها الأصيل"." الأسلام هو الهزة الحيوية التي تحرك كامن القوى في الأمة العربية " فالعرب عرفوا بواسطة هذه التجربة الأخلاقية العصيبة كيف يتمردون على واقعهم و ينقسمون على انفسم ، في سبيل تجاوزها الى مرحلة يحققون فيها وحدة عليا [79]. من هذا الموقف الذي اتخذه الأسلام كمطلب عربي "لوحدة اعلى" و التمرد على الواقع ، ان الأيدولوجية البعثية تجعل من الفتوحات الأسلامية مبررا للتباهي بالماضي و تجعل من العرب الرافع لراية الحضارة والتقدم

وحسب قول ميشيل عفلق انها لم تدم طويلا وان الحضارة التي نشروها لم تكن الأ تحقيقا ماديا جزئيا قاصرا مقارنة بالحلم القوي الذي ارادوا تحقيقه.
"وكل ما اثمر عنه الأسلام فيما بعد من فتوحات وحضارات لم تتجاوز زرع البذور في السنوات العشرين الأولى من البعثة ، فقبل ان يحكموا الأمم حكموا ذواتهم و سيطروا على شهواتهم و ملكوا ارادتهم. ولم تكن العلوم التي انشأوها و الفنون التي ابدعوها والعمران الذي رفعوه، الا تحقيقا ماديا جزئيا قاصرا لحلم قوي كلي عاشوه في تلك السنوات بكل جوارحهم و رجعا خافتا لصدى ذلك الصوت السماوي الذي سمعوه ، وظلا باهتا لتلك الرؤى الساحرة التي لمحوها يوم كانت الملائكة تحارب في صفوفهم ، والجنة تلمع من بين سيوفهم"[80].
ان الأمة العربية كانت مختارة من قبل الله عن طريق نبيها كي تؤدي رسالتها. رجل من العرب تسلم رسالة سماوية فراح يدعو اليها البشر،ولم يكن البشر حوله الا عربا والأرض التي نشر فيها رسالته كانت ارضا عربية "فملحمة الأسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعي الذي هو ارض العرب وعن ابطالها والعاملين فيها وهم كل العرب"[81].اما هو فقد كان قادرا على ان يبعث الأسلام في اية امة من خلقه، قبل محمد وبعشرات القرون لكنه اختار لذلك وقتا معيناً وامة معينة هي امة العرب وقد اختار محمد من بين ظهرانيها لأداء تلك الرسالة الخالدة فأختيار العرب كان مبنياً على المزايا والفضائل الأساسية فيهم. "وان اختيار العصر الذي ظهر فيه الأسلام انما كان بسبب إن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول هذه الرسالة وحملها الى البشر[82]. ولم يكن الأسلام حركة عربية فقط بل كان يمثل تجديد العروبة وتكاملها. فاللغة التي انزل بها كانت اللغة العربية، وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربي، و الفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ظاهرة او كامنة، والعيوب التي حاربها كانت عيوبا عربية سائرة في طريق الزوال. والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي، ولكن العربي الجديد، المتطور ، المتكامل.
الجدير بالذكر ان هذه النظرة البعثية العفلقية في الأربعينات وجدت تعاطفا و صدى في البعث العراقي وكانت بمثابة الساقية التي تجلب منها المياه الى مطحنة فكر صدام.
في عام 1983 وفي بغداد كان صدام حسين يسأل رجال الدين ويقول لماذا اظهر الله القرأن الكريم كرسالة للأنسانية باللغة العربية[83]. مثلما لاحظنا ان مشيل عفلق قد اجاب على هذا التساؤل قبل اربيعين سنة: في تلك الأحيان كان المسلمين هم العرب فقط ، لكن نوع جديد من عرب وصلوا الى مستوى من الكمال و التطور.الأسلام كحركة عربية كان معناه تجدد العروبة وتكاملها[84].
يجب ان لا يغيب عن بالنا انه ان كان ميشيل عفلق حذرا في التعبيرعن افكاره الشوفينية ، فصدام حسين كان اكثر صراحة . من وجه نظر صدام ان سبب وجود ايات في القرآن الكريم لها علاقة بوطن العرب وعدم ظهور القرآن في امم اخرى هولأن الله اراد (.....) ان يجعل من العرب ان يقبلوا برسالته و يرسخها في اعماقهم فيثوروا[85]. ان القرآن انزل باللغة العربية لأن العرب وحدهم كانوا بأستطاعتهم ان يلعبوا الدور الذي اسنده الله لهم . بهذه الصورة ان الله دعا الأمة

العربية لكي يبلغهم بأن العرب من دون كل الأمم بأستطاعتهم ان يلعبوا هذ الدور[86].

ماذا كان يقصد صدام حسين؟ بأن الأمة العربية اختيرت لقيادة كل الأمم الأخرى التي كانت في الماضي تحت سيطرة الأمبراطورية الأسلامية؟ بدون شك، كانت الحضارة الأسلامية حينذاك عبارة عن امبراطورية كبيرة وكان الطبقة العربية والتي كانت مسلمة لها الدورالرئيسي[87]. في السنوات الأولى كان العرب هم فقط المبلغون لتعاليم و قيم الأسلام. ولكن لايمكن الأنكار بأن انتصارات العرب و انتشارهم كان في فترة فتوحات النبي والأمبراطورية الأموية . اما اثناء فترة الحكم العباسي فقد تحولت الدولة من امبراطورية عربية اسلامية الى امبراطورية اسلامية عربية، بمعنى ان جهاز الدولة لم يعد يقتصرعلى العرب فقط بل على المسلمين كافة[88]. بهذا الشكل فأن الحضارة الأسلامية كانت تضم مختلف الأديان والأجناس(الفرس ، الكورد، الترك، البربر، الأسبان، المسيحيين، اليهود...الخ) . اذ كانت قد ربطت الحضارة الأسلامية " العربية الأسلامية " قبل العباسيين العروبة بالأسلام ، فأن الحضارة الأسلامية فكت وبقوة هذا الترابط ، اذا فأن الوعي بالذات او الهوية العربية ، والتي تبنتها القوميون وفي مقدمتهم البعثيين كايدولوجية لهم فأن مرده هو ان تلك الشعوب والتي كانت تتكلم باللغة العربية، على الصعيد السياسي ، كانوا شعبا واحدا و بسبب ديانتهم والتي كانت دين الأكثرية كانوا على الدوام يحملون ذكرى هذه الوحدة[89]. لكن ومع ان الممالك الأسلامية كانت تحتوى على شعوب عدة ، يظهر بأن الشعوب التي لم تكن عربية ،كانت تخدم قضية العروبة . ربما ان الخدمات التي اسدتها تلك الشعوب الى العروبة ، هي التي شجعت صدام بأن يقول" ان الله قد اختار العرب لقيادة الأنسانية لأنهم منطقيون[90]. من وجه نظر صدام حسين ان تلك الشعوب الأجنبية والتي كانت تحارب الأسلام ، تحولوا الى الأسلام لأنهم كانوا بحاجة الى ان يتوحدوا تحت قيادة عربية . يجب ان لا ننسى بأنه عندما كان صدام يتحدث عن " الدور القيادي " لم يكن يقصد ذلك الدور الذي يستند الى القسوة . ان الدور الخاص للعرب هو التضحية و تقديم الخدمات ، في الحقيقة ان هذا الخطاب كان قد كتب في تحدي لأيران الخميني و ان هدفه كان هو القول بأن نشر الأسلام من واجب الأمة العربية وليس الفرس، لأن النبي كان عربي وان القرأن قد نزل باللغة العربية. اذا فالخميني الذي يريد ان يكون مسلما (حسب قول صدام) في الوقت الذي لايقبل فيه حتى بالمبادئ الأساسية للأسلام لأنه لايقبل بالدور القيادي للعرب . ان هذه النظرة ليست انعكاسا لموقف اني له العلاقة بالحرب او ظرف تكتيتي ، بل انها فلسفة و موقف ثابت للبعث . ان البعث يثمن الأسلام عاليا فقط لكي يبين جانبه القومي . مثلما لاحظنا فإن البعث يريد ان يبين بأن الأسلام اتى لكي يخدم الأمة العربية وان العرب كانوا دائما قادته ويجب ان يبقوا هكذا وان على الشعوب الأخرى ان يكونوا في خدمة العرب . الأن يجب طرح السؤال التالي عندما يعتبر البعث نفسه الصورة المصغرة للأمة العربية وعندما يسمح لنفسه ان"يمنح الأمة العربية الدور القيادي"،الا يقصد بهذا نفسه ؟ ان الأجابة على هذا السؤال واضح بما فيه الكفاية اذ لاحاجة الى توضيح اكثر.

عندما يرفع البعث "الأسلام القومي" عاليا فأنه يريد و بصورة غير مباشرة ان يحدث نظرية تأريخية جديدة : نظرية تأريخ الأمبريالية العربية لكي يفرض نوعا من الأحتكار السياسي . بهذه الصورة ، فإن البعث، لا يعترف بعظمة التأريخ الأسلامي كحضارة و كظاهرة تأريخية ، بل ينظر اليه كظاهرة ايدولوجية : انه يؤدلج جوهر الأسلام ليجعله منسجما مع العروبة . ان البعث و بأدلجته للأسلام يبطل الجانب الديني من الرسالة التي اتى بها الرسول . وبالتالي تصبح الأشارة الى القومية العربية وجعلها شرط تأريخي لحياة العرب مبررا لرفع روح العرب عاليا و اظهار الأسلام كثقافة بمعناها الهيغلي . ان هذا الجانب الروحي يجعل من العرب امة مختارة من بين سائر امم العالم. حسب منطق البعث . يجب ان يصور الأنبياء والخلفاء الراشدين و الأمويين والعباسيين كسياسيين كانوا يمثلون هذا الروح . وان هذا التشبيه تعبر عن معنى الا وهو: "بعث هذا الروح" . في محاولته الربط بين الأسلام و القومية العربية (بالصورة التي كان يريده البعث) كان ميشيل عفلق يقول " كما نطلق اليوم على عدد من افراد الأمة اسم (وطني) او (قومي)مع ان من المفروض ان يكون مجموع الأمة قومياً ولكننا نخص بهذا الأسم الفئة التي امنت بقضية بلادها لأنها استجمعت الشروط و الفضائل اللازمة كيما تعي انتسابها العميق الى امتها و تتحمل ومسؤولية هذا الأنتساب. كان المسلم هو العربي الذي امن بالدين الجديد لأنه استجمع الشروط و الفضائل اللازمة ليفهم ان هذا الدين يمثل وثبة العروبة الى الوحدة و القوة والرقي. "[91].كان عفلق يريد ان يقول بأنه لو كان في الماضي الرجل المسلم قبل كل شئ عربيا ، و يؤمن بأن الأسلام يمثل " حركة العروبة" ، فاليوم يجب على العرب وقبل كل شئ ان يكونوا قوميين وان يؤمنوا ايضا بقضية وطنهم.اذا فالقصد واضح جدا من خلال هذه النظرة : انه يقوم بعملية مسخ لعرب الماضي ليظهرهم هذه المرة بمظهر القومي البعثي . بموجب هذا المنطق ، ان البعث يقوم بحل اشكالية الأسلام كدين والعرب كأمة ، و البعث كحزب سياسي ، وذلك بالطريقتين التاليتين:الأولى(خطي) انه ينقل الأيمان بالأسلام الى الأيمان بالقومية . الثانية. انه يقوم بصهرالأسلام داخل بوتقة القومية البعثية. بهذه الصورة يحاول البعث ان يحل اشكالية التناقض بين الهوية القومية و الهوية الدينية:
في الماضي كان المسلم هو ذلك الشخص الذي يؤمن بالدين الجديد ولأن هذا الدين كان يمثل العروبة، فاليوم ايضا يجب على المسلم و قبل كل شئ ان يكون قوميا لأن القومية تمثل استمرارية نفس الأفكار التي كان الأنبياء والعرب يحملونها . برفع الحدود بين تعريف القومية و تعريف الدين، يجعل البعث من القومية ايمانا. وهذا ماسنحاول توضيحه في الفصول القادمة.
من الجدير بالذكر انه وفي تأريخ الفكر السياسي العربي، قام الكثير من العروبيين قبل عفلق بالربط بين الأسلام والقومية العربية ، ولكن لم يخطر على بال اي مفكر ان يجعل من الأيمان هدفا ساميا و اساسيا للقومية. في الحقيقة أن ميشيل عفلق كان المفكر العربي الوحيد انذاك الذي استطاع ان يقتبس مفهوم المجتمع الجديد من التجربة الأسلامية : بمعنى الوثوق "بالأيمان"[92]. الأيمان و كشرط اولي لربط الأسلام بالقومية التي هي التعبير الحقيقي عن امال وطموحات البعث. يقول صدام

حسين عندما نتحدث عن عظمة محمد ، يجب ان ان ننظر اليه كرسول للأنسانية و بطل عظيم للقومية العربية . لأن العظماء امثال الأنبياء يولدون من رحم امة عظيمة[93]. بدون شك ان القصد الحقيقي للبعث هو عدم اسباغ صفة الهية على رسالة النبي. لأنه وكما اسلفنا انه يريد ان يفرغ الأسلام من محتواه لمصلحة هدف سياسي و تكتيكي و في نفس الوقت ستراتجي. عندما يقول عفلق " ان حياة الرسول وهي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة"[94] كان محمد(ص) كل العرب، فليكن كل العرب محمدا[95]. لايقصد بهذا المسيرة الدينية او القومية الدينية للرسول و لا يقول بأن هنالك علاقة خاصة بين العرب و الأسلام ، مثلما يتحدث عنها الكتاب الغربيون[96]. ان رفض البعث لقومية الدين شئ معروف، ولكن البعث ومن منطلق ايدولوجي يقدم الرسول كقومي . كان محمد كل العرب ، فليكن كل العرب محمدا : ليس الغرض منه ان يكون العربي متدينا ، او ان يؤمن بالأسلام . ان هذا يعتبر بالنسبة للبعث قضية ثانوية . ان القضية الأساسية للبعث هي : ان البعث يقدم نفسه على انه ايدولوجية قومية حقيقية ، وانه لا يجد اي تناقض بين شخص مسلم او كافر شريطة ان يكون بعثيا وان يكون مؤمنا بمحمد " كبطل قومي عظيم للأمة العربية "، لأن الرسول كان يمثل الروح العربية . وان نهاية هذا القياس واضح بمافيه الكفاية وليس بحاجة الى تفصيل اكثر لأثباته . حيث يوضح صدام حسين هذا الأمرة بصورة جلية :" اظن بأن الحزب كنظرية و كتطبيق هو حزب لكل الحركات العربية وانه الحزب الوحيد الذي تتقمص الروح العربية"[97].

بدون شك ان الموقف العلني للبعث تجاه الأسلام لايتوقف على المستويين الفلسفي و الأيدولوجي . بل ان له علاقة بالتكوين الديني و المذهبي لذلك الوطن العربي الذي يريد ان يوحد بين اجزاءه وان يحكمه . لو القينا نظرة على الخارطة الجغرافية للدول العربية ، نرى بأنها تتكون من مختلف الأديان والمذاهب . لو اعتبرت المارونيين و الأرثوذوكسين في لبنان و لأقباط في مصر و البربر في الجزائر وتونس و المغرب و المسيحيين في سوريا و السودان و الأردن والعراق و الأرواحية في السودان عربا يجب ان يكون هنالك عاملا مشتركا كي يجمع كل هؤلاء المجموعات.

ماهو هذا العامل المشترك ؟ القومية العربية والأسلام كثقافة . يجب على الماروني او القبطي ان يتخيل وان يفهم بأنه عربي وان يجعل من كيانه منسجما مع القومية العربية . المهم هو ان لا يفرق بين نفسه و بين عربي مسلم لأن الأسلام هو حضارة العربي المسلم كما ان المسيحة هي حضارة المسيحي العربي . ان الذي يجمع بين الأثنين هو القومية العربية التي هي في جوهرها القومية البعثية.

بدون شك لانستطيع ان نختتم هذا الحديث بدون ان نشير الى نقطة مهمة . الكثير من الكتاب يعتبرون البعث علمانيا وحجتهم في ذلك قولهم بأن البعث ليس حزبا دينيا لأنه يفصل بين الدين والأيدولوجيا الرسمية. لكي نرد على هذا الأدعاء وقبل كل شئ نحن بحاجة الى تعريف العلمانية . ماذا تعني العلمانية؟ ان العلمانية هي مبدا يطلب من الدولة عدم التدخل في الشؤون الدينية للأفراد . ويطالبها ايضا بان لاتكون منحازة الى اي قطاع من قطاعات الشعب وان لاتفرق بين المواطنين بسبب انتمائهم

الديني . بهذه الصورة فإن الدولة يجب ان لا تفرض وجهة نظر جزء من اجزاء المجتمع على الأجزاء الأخرى ، ويطالب ايضا ان يتم الفصل بين المجتمع المدني و المجتمع الديني في مؤسسات الدولة. بحسب هذا المبدأ يجب ان تصاغ القوانين على اساس الفصل بين الدين والدولة: فالدولة يجب ان لا تتدخل في شؤون المؤسسات الدينة والا تتدخل المؤسسات الدينية في امور السياسة. هذه بأختصار معنى العلمانية . ان ايدولوجية و نظام البعث لم يكونا قط علمانيين لأنها وكمجمل الأيدولوجيات و الحركات الشمولية ، تريد ان تفرض نفسها و بصورة ومطلقة على كافة المظاهر الدينية. فحكومة البعث في العراق لم تحجب فقط لم حرية المؤسسات الدينية بل انحازت الى جانب السنة ايضا ، بل وبأسم الأيدولوجية القومية البعثية قام بقمع الشيعة والمذاهب الأخرى . لهذا السبب نستطيع القول بأن النظام والأيدولوجية البعثية لم تفصل ابدا مابين الدين والدولة . بل عمل على اخضاع الدين لمؤسسات الدولة . بدون شك ان الأيدولوجيات الشمولية لا تقبل ولا تستطيع القبول بأن تتحرك المؤسسات الدينية بحرية و لاتحترم الحريات الدينية ،وتجعل من الدين وسيلة مسخرة لحاجاتهم واهدافهم .

هوامش الفصل الثالث

1- fouad Matar Saddam Husayn ou le devenir irakien, Le sycomore, 1980 ? Paris, p.19.

2- انظر ميشيل عفلق، في سبيل البعث ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بيروت ص 242,

3- نفس المصدر ص 242.

4- نفس المصدر ص 242.

5- انظر ميشيل عفلق في

Elyas Farah, Parti bath arabe et socialiste evolution de I iddeologie arabe revolition naire ? La pensee nationle, Michel ,Aflak, Menuesa, Madrid,1978,P.128

6- انظر

Patick seale, The struggle, of Syria, A Study of Past War Politicus (1945-1958), oxford university press, London, 1965, p. 154.

7- Elyas Farah, Ibid,p.128

8- ميشيل عفلق في

Elyas Farah, Ibid.128

9- الحقيقة تفرض نفسها وليست بحاجة الى الأثبات.

10- ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ص 97

11- ميشيل عفلق نفس المصدر ص 98-99

12- Michel Aflak, Parti bath arabe et socialistz, choix de textes de la pensee du fondateur du parti bath, Bol .Ind.La Albarreja, Madrid,1977,p.85.

13- ميشيل عفلق نفس المصدر ص 68.

14- انظر خطاب ميشيل عفلق نفس المصدر ص 67- 70

15- Itimar Rabinovich, Syria, under bath,1963-1966, The Army Party Symbiosis, Jerusalem university, press, 1977,pp.9-10.

16- المادة السادسة من دستور حزب البعث.

17- المبدأ الأول من دستور البعث . من وجهه نظر حنا بطاطو ان الوحدة العربية التي يطالب بها البعث ليست فقط و سيلة لبلوغ هدف ايجابي، بل هي حق طبيعي " لكل امة ان تعيش داخل دولة لذا فأن الوحدة هي حاجة اخلاقية ويجب ان تتحقق على المستوى التأريخي. انظر

Hanna Batatu, The Old Social Classes and teh Revolutionary Movment of Iraq , A study of Iraq’s old landed and commercial

classes ond of it’s communists,Bathists, and free officers, Parincition university press, 1978,p.731.

18- انظر نضال البعث ص 72-73 و ايضا:

Wafik Raouf, Nouveau regard sur le nationalisme arabe, Bath et Nasserisme, Paris, 1989,p.109.

19- John J. Devlin, The bath party , A History fro it’s Origins to 1966 Clifornia , hoover Institution Press, 1976,P.26.

20- في ادبيات البعث و منشوراته ، يعتبر البعث دولة اسرائيل مقامة على ارض فلسطين المحتلة. ومن هذا المنطلق ينادي البعث بتحرير كامل التراب الفلسطيني. يمجد البعث العراقي نبوخذ نصر او صلاح الدين ويعتبرهم محررين لفلسطين في التأريخ القديم (قبل الأسلام) والثاني ضمن اطار "الروح الأسلامية" . في مقابلة له مع الكاتب البعثي فؤاد مطر، يقول صدام حسين ،ان نبوخذ نصر هو الرجل العظيم في التأريخ القديم والذي تجاوزالحياة الأعتيادية . فهو قبل كل شئ رجل اسس لعلاقة غنية بين النظرية والتطبيق . وان هذه السجايا تمهد الطريق للرجل العظيم للوصول الى اهدافه . يقول صدام حسين ان مسيرة حياة نبوخذ نصر قد اثرت عليه كثيرا لأنها وقبل كل شئ تؤرخ لمقدرات العرب و من جانب اخر انه محرر فلسطين . صحيح ان نبوخذ نصر هو عربي من العراق ، وان عرب العراق هم من العرب الأقدمين ، لكن العراق وفي كل العصور كان جزءا من الأمة العربية ، وهزم نبوخذ نصر اليهود في فلسطين. يمضي صدام في حديثه ويقول عندما افكر في ان اقول للعرب و بالأخص للعراقيين ان التأريخ يلقي عليكم بمسؤولية اداء الواجب ويجب ان لا يتحول هذا الواجب الى عبء يسد الطريق عليكم و يشل حركتكم بل الى سلاح يبعث الحركة فيكم . يجب ان تستعملوا هذا السلاح لأنكم اصحاب تأريخ (....) ولاتنسوا هؤلاء الذين حرروا فلسطين وبعد الأسلام هنالك ايضا صلاح الدين الذي يتميز بنفس الخاصية لكن ضمن اطار روح اسلامية وانه مسلم عراقي. في مؤتمر الفلاحين الذي انعقد في بغداد سنة 1979 قلت للأعضاء ان لا يتعجبوا اذا استشهد فلسطيني ولم يكن قد ولد في فلسطين و لا يأخذكم العجب لو سقط عراقي او لبناني او سوري او اي عربي اخر شهيداً لفلسطين. انا اعتبر صلاح الدين من ضمن القادة العظماء لأنه استطاع في عصره ان ينهض بروح الأمة و يقودها نحو الهدف المنشود: للوحدة للأنتصار الكبير على الصليبيين. انظر:

Fouad Mater , Saddam Husayn ou le devenir Irakien, Ibid ,pp.158-159.

21- جغرافية العراق للصف الخامس الأبتدائي، وزارة الثقافة العراق، 1975 ص7-8 في

Christine Moss Helms, Iraq, eastern Flank of arab world , Washington D.C., 1984,p.17.

22- Bassel Yousf, Les droits de I'homme dans la penns du parti bath arabe et socialiste, etude comparee, Baghdad, dar al-mamoun 1982,p.143.

23- ميشيل عفلق في

Hanna Batatu, Ibid,p.733-734.

24- ميستيسزم التصوف (المذهب الباطني)الأيمان بأن المعرفة المباشرة بالله او بالحقيقة الروحية يمكن ان تتم للمرء من طريق التأمل أو الرؤيا او النور الباطني و بطريقة تختلف عن الأدراك الحسي العادي أو اصطناع التفكير المنطقي.

25- ميشيل غفلق في سبيل البعث ص71

26- انظر

Hanna batatu, Ibid, p.736.

27- نفس المصدر ص 736

28- نفس المصدر ص736

29- نفس المصدرص 735

30 - نفس المصدر ص 56

31- انظر المادة الرابعة من دستور حزب البعث.

32- ميشيل عفلق في سبيل البعث ص307.

33- نفس المصدر ص 307.

34- Hanna batau,Ibid, pp.736-737

35- Patrick seale , The struggle for syria ,A study of post- War arab politics 1945-1958, 1965,London,p.154

36- كمجموعة تتألف من نفس العناصر التي لها طبيعة واحدة و منقسم بصورة متساوية.

37- Kamal S.Abu Jabar, The Arab Bath socialist Party, History and Organization, 1966, Syracuse university press, p.112.

38- Michel aflak ,in Samir al- Khalil, La machine infenral, politque de I'Iraq moderne, Edition Jean-Claude Lattes, 1991,p.290.

39- Michel Aflak in Jean –Pierre Viennot, Le role du bath dans la genese du nationalisone arabe, 9e anne ,3e trimestre,n.35,1965,155 .

40- saddam Husayn, in , Foud matar,op .cit.,150.

41- انظر نفس المصدر ص 299- 312 .

42- الشعوبية حركة ظهرت في العصر العباسي تنادي بتفوق العنصر الفارسي و تقلل من شأن العرب . ولكن اليوم الشعوبية هي تعبير عن مصطلح بمعني غير قومي . ووردت ذكر الشعوبية في المنشورات والأدبيات البعثية بصورة سلبية حيث تشير الى تعارضها مع الأيدولوجية البعثية . فمثلا لم ينظرالبعث الى شخصية

عبدالكريم قاسم في الكثير من جوانبها بصورة ايجابية لأنه لم يولي لمسألة الوحدة العربية اية اهتمام .انظر:
John Devlin, The Bath Party , A Histoty from its origins to1966, Hoover Institution Press , 1976,p.45.
انظر ايضا د. عبد العزيز الدوري ، الجذور التأريخية للشعوبية ، دار الطليعة ، بيروت1980 .د عبدالله سلوم السامرائي ، الشعوبية ، حركة مضادة للأسلام و الأمة العربية ، المؤسسة العراقية للدعاية و الطباعة ، بغداد 1984.
43- ميشيل عفلق نفس المصدر ص307
44- في التفكير الأشتراكي ، وزارة الأعلام ، دار الحرية للنشر بغداد،1973ة ص 18 - 19 .
45- ميشيل عفلق معركة المصي ص 17,
46- اخذنا هذين المفهومين من حنا بطاطو لكننا نختلف معه من حيث النتيجة التي وصلنا اليها من خلالهما. انظر:
Hanna Batatu , op cit., p.738.
47- ميشيل عفلق في سبيل البعث ص7
48- انظرالصفحات 11و13و72.
49- ص 29-30
50- ص 28
51- ص 28 .
52- Fuad Matar, op. cit.,p.166
53- انظرص 56- 58 .
54- انظرالمادة الأولى من المبادئ العامة لحزب البعث.
55- Maurice Duverger, Driot constitutionnel et institutions politiques, puf, Paris 1965,pl.123-124.
56- Pierre Aycoberry, La Question nazie,Les interpretations du national socialsme, 1922 -1975, Ed. Du Seuil,1989,P.62.
57- Amazia Baram ,Qawmiyya and wataniyya in Bath Iraq ; The seache of New Balance, in , Middle Eastren studies , fast 2,n 19, 1983, p.189.
58- Ibid., pp.189-190.
59- the 1968 Revolution in Iraq, Experience and Prospects, the Political Report of the Eighth Congress of the Arab Bath Socialest Party, january 1974, Itacha Press, 1979, pp.120-121.
60- Ibid., p.121.
61-fuad Matar , op cit., p.161.
62- جلال الطالباني ، كردستان والحركة التحررية الكرية، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ، بيروت 1971 ،ص 323.

63- ميشيل عفلق ،احاديث الأمين العام الرفيق ميشيل عفلق، بغداد ، 1969، ص7 و ايضا:
Halkawt Hakim , in (ouvrage collectif),Le Panarabisme irakien et le probleme kurde , Les kurds Par- dela l'exode ,L'Karmattan , Paris , 1992, p .140.
64- Orfa Bengio , Bathi Iraq in search of Identity; Between Ideology and Parxis , in Orient, Vol.28,1987,P.513.
65- Ibid.,p.513.
66- Amazia Baram, Mesopotamian Identity in Bathi Iraq, in ,Middle Easren stidies, Vol .19 Fasc. 4, 1983,p.246.
لنفس الغرض انظر توجيهات صدام حسين حول اعادة كتابة التأريخ : صدام حسين حول كتابة التأريخ دار الثورة ،1978, وانظر ايضا : صدام حسين ، كيف يكتب التأريخ ، 1975 ، و ايضا "يجب ان لا نتحدث عن التأريخ بصورة معزولة عن الزمن و تفاعلات الأحداث، 1975 في كتيب الثورة والتربية الوطنية وزارة التربية ،1977، ص 31-36 ، و 53-68. وانظر مقدمة كتاب فاضل البراك والتي على ضوء توجيهات صدام حسين يقترح اعادة كتابة تأريخ الأمة العربية بطريقة جديدة ص 9-14. وفي مكان اخر يؤكد البراك على ان هنالك مؤامرة قامت ضد الشخصية العربية التي هي صاحبة اول حضارة انسانية ووهبت اول شريعة للأنسانية على وجه البسيطة...الخ.
انظر د.فاضل البراك، المدارس اليهودية و الأيرانية في العراق، دراسة مقارنة، بغداد، 1984،ص 224.
67- Ibid ;pp.436-437.
68-Ibid ;p.439.
69-Ibid ;p.439.
70- وانظر ايضا موقف المثقفين العرب في نفس المصدر ص 439-443 و كذلك انظر:
Amazia Baram , Cultur in service of Wataniyya, The Treameat of Mesopotamian Insprid Art in Bath Iraq , in ?Asian and African stidies Vol.17,Fasc.1-3, 1983pp-225-313.
وكذلك انظر:
Amazia Baram , National Integration and Local Orientation in Iraq Under the Bath, in, The jerusalem Journal of international Relations Vol.9 fasc.3, 1987,p.45.
72- Amazia Baram , Mesopotamian Identity,Ibid.,p.444.
73- Ibid.,p.444.
74- Amazia Baram , Qawmiyya and Wataniya, op .cit p.190.
P.445. 75- Ibid .,

p.45. ., 76- Ibid
77- Jean-Pierre Viennot, Le bath enter theorie et le pratique, in , Orient,8em annee,2em trimester,n.30,1964,P;14.
78 ـ ميشيل عفلق في سبيل البعث ص 124,
79 ـ ص 124
80 ـ ص124-125
81 ـ ص126
82 - 127
83 ـ صدام حسين ، الدور القيادي لرسالة السلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد،1983،ص 4
84 ـ ميشيل عفلق ص 127
85 ـ صدام حسين نفس المصدر السابق ص7.
86 ـ ص8
p.28 Paris,1979, 87-Maxime Rodinson, Les Arabes, puf,
pp.28-29. ., 88- Ibid
p.259. op.cit., 89- Samir al-khalil,
90 ـ انظر ص 14.
91 ـ ميشيل عفلق في سبيل البعث ص 127-128.
p261. cit., op. 92- Samir al-khalil,
93 ـ صدام حسين الثورة والنظرية الجديدة ، دار الحرية للطباعة بغداد،1981 ، ص 112-113.
94 ـ ميشيل عفلق في سبيل البعث ،ص 125,
95 ـ ص 126.
96 ـ للمزيد انظر :
p.69. op.cit., Jean- Pirre Viennot,
169-170. 97-Fuad Matar, op.cit.,

الفصل الرابع
البعث و الفاشية التأريخية

البعث و القومية الأشتراكية:

في الفصل السابق قمنا بتعريف البعث تعريفا تخطيطيا واظهرنا بأن الأيدولوجية البعثية تمثل القومية العربية و تريد ان تصبح الممثل الوحيد للأمة العربية في اطار دولة واحدة . وان هذه الدولة يجب ان تعبر عن الوحدة القومية وان تستلهم القوة والطاقة من التشابه الروحي لأعضاءها . ان مفاهيم الوحدة والحرية والأشتراكية هي العمود الفقري للبناء الأيدولوجي للبعث "والثورة الفوقية" وهي ايضا السبيل الوحيد لتحقيق رسلة العرب الخالدة. ان هذه الثورة تمهد الطريق لثورة اجتماعية حقيقية والتي تحاول ومن خلال بعث روح العرب و احداث تغير جذري في العقلية ، ان تكوّن انسانا جديدا وان تقيم منهجا اجتماعيا بالأستناد الى النموذج العظيم الذي كان لدى الأمة العربية في الماضي .
في هذا الفصل نريد ان نعرف وعلى مستوى الفلسفة السياسية ماهي الخصوصيات الرئيسة التي تقرب البعث من القومية الأشتراكية. ولكن قبل ان ندخل في التحليل، نريد ان نؤكد بأننا لا نريد عرضاً للتوازي التأريخي والسوسيولوجي. من المؤكد ان الفاشية هي ظاهرة اوروبية مائة في المائة وانها ظهرت في حقبة خاصة جدا من التأريخ الأوروبي وانها ميراث لمنطق خاص في التأريخ الأيطالي والألماني. وتأسيسا على ذلك، فأننا نضع جانبا كل تحليل يضع في الأعتبار العوامل و النتائج . وان اية دراسة تريد ان تقوم بتحليل الأسباب لهي عديمة الجدوى لأن البعث لم تظهر كباقي الظواهرالشمولية في مجتمع او ثقافة لها تجربة طويلة في العمل في المؤسسات الديمقراطية لهذا السبب يجب ان لايوصف البعث بأنه "مرض اخلاقي" وان جاز لنا ان نستعير عبارة الكاتب الأيطالي المشهور (بينيديتو كروجية) حول الفاشية الأيطالية انه" فقد للوعي وهَمٌ مدني و سكر..."[1] لتلك الفترة الخاصة في تأريخ العرب او الشرق . ان البعث و ككل الظواهر السياسية في الشرق التي تبحث عن السلطة . فأنها جزء من تأريخ ملئ بالمشاكل والضغوطات الأجتماعية و الدينية والسياسية والأقتصادية والذي لم يتمكن قط من ان يخطو ولو خطوة بأتجاه تحقيق الديمقراطية بمعناها الكوني ، ان البعث هو امتداد لحلقة تأريخية، التي مجهولة البداية والنهاية . ولكن وجه البعث الجديد يجعل منها ان تكوّن خطا منقطعا او انحراف ايدولوجي ليس له مثيل من بين الأيدولوجيات التقليدية في الوطن العربي والشرق. ان هذا الوجه الجديد جعل الكثير من المفكرين و المثقفين لا يتعرفون عليها وبالتالي اهملوا وحسب قول مونتيسكيو "طبيعة" وجوهر البعث . مثلا ان الكاتب الروائي الفرنسي الكبير جان بيير فيينو الخبير في العالم العربي قد

قام بترجمة الكثير من خطب ميشيل عفلق الى الفرنسية يقول :(ليست هنالك ايدولوجية في الشرق هنالك نقص فاضح في معرفتها كأيدولوجية البعث)[2]. هذا صحيح ولكن السؤال هو لماذا لم يتم التعرف عليها بصورة جيدة؟ لربما لم يكن لهم اية مصالح ذاتية في البحث العميق و المعقد للجذور النظرية لهيكل البعث . قبل حرب الخليج كان الكثير من كتاب الشرق و الغرب. يضعون البعث في مصاف تلك القوميين التقدميين الذين يناضلون ضد الأمبريالية والصهيونة وكرافع لراية الأستقلال و الحرية. من الجدير بالذكر ان البعث ظهر كنتيجة لردة فعل قوية لظروف عصيبة ، نتيجة لتقطيع اوصال الأمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى الى الفترة التي منح الفرنسيين منطقة الأسكندرونة في سنة 1939 الى تركيا. نستطيع القول بأن البعث جعل من الأستعمار الغربي هدفا رئيسيا لأحقاده. ومع ان مجمل القوى السياسية في الشرق الأوسط تشترك في كرهها لوجود الغرب و سياسته الأستعمارية و يتهمونهم بعدم احترام عقليتهم و ثقافتهم و رفضها جملة و تفصيلا .إلا ان الرفض البعثي تسبب في ايجاد فلسفة سياسية تختلف من حيث البناء النظري مع الأحزاب السياسية الشرقية والعربية . ان الخصوصية التي تتمتع بها ايدولوجية البعث لم تتوفر لدى اي ايدولوجية تولت السلطة السياسية. نريد ان نتحدث عن تلك الخصوصية المتعلقة بالمحتوى الأيدولوجي و النظري للبعث و تأثيرها على التصرفات السياسية للحكومة البعثية العراقية . وعن طريق تحليل هذا المحتوى نريد نبين مقدار التقارب اوالتوازي الفلسفي والأيدولوجي بين البعث والفاشية التأريخية . ان هذا التوازي له علاقة بالأفكار السياسية بمعني ان الخريطة العامة للأيدولوجية البعثية هي تلك الأيدولوجية التي يتم تعريفها على اساس مجموعة من المبادئ و القيم والتي تطرح رؤية لتحقيق مشروع سياسي للعمل والتغير.

الدولة القومية للبعث والقومية الأشتراكية

ان اولى الخصوصيات العامة التي تقرب البعث من القومية الأشتراكية عبارة عن رغبة البعث في تأسيس دولة قومية على اساس الماضي. ان هذا الأمل يتوقف على كليازم مثالي والذي تظهر في ظروف جيوبولتوليكية متشابهة. فتصبح القومية الأشتراكية مصدر الهام للأيدولوجية البعثية . يقول وفيق رؤوف بأن النموذج الألماني هو الأنسب لكي يؤثر على على الفكر القومي العربي"(.....) وهذا لا يرجع فقط الى رغبة المانيا الرايخ الثالث في استقلال العالم العربي ابان الحرب العالمية الثانية ، بل لأن مقياس الوحدة القومية كانت تستند الى العودة الى الماضي و البحث عن وحدة اساسها اللغة و الثقافة و العنصر"[3].كانت القومية الأشتراكية تريد ان تبني رايخا لألف سنة: بحيث تشمل الأمبراطورية الجديدة كل اوروبا من "الأطلسي الى الأورال". ان المجتمع الجرماني الذي كان تطالب به القومية الأشتراكية " لم يكن كله داخل الحدود السياسية لألمانيا " ان فكرة القومية الأشتراكية كانت تنادي "بالوطن الأم" اي التي تجمع الكل داخل دولة واحدة والعلاقة بين هذا المجتمع والدولة الجديدة ، كانت يجب ان تبنى على اساس توحيد المانيا الكبرى . وذلك بأزالة كافة الحدود السياسية . ما كان للرايخ الثالث ان يتقوقع داخل الحدود الجرمانية ، بل كان يجب ان يبنى على اساس كامل الشعب الألماني والحزب القومي الأشتراكي"[4].

اليس للبعث نفس الرؤية؟ مثلما لاحظنا في القسم الأول من هذا البحث ، ان البعث يريد ان يجعل من الدولة التي تمثل الأمة العربية تتماشى مع نفس المقاييس: بموجب هذه المقايس تشمل الدولة العربية كافة الأراضي التي يعيش فيها العرب و حتى التي توجد ضمن حدود بعض الدول غير العربية "ايريدينتيزم"* (البعث انظر الفصل الأول)انها نفس الفكرة التي كانت تنادي بها النازية, كان د.ستيناشرالنازي يقول :" نحن امة تعدادنا مائة مليون. المانيا ليست فقط دولة تدعى امبراطورية الألمان بل كل الأراضي التي يعيش فيها الألمان، المانيا تشمل كل الأراضي التي تتحدث ساكنيها الألمانية و يفكرون بالألمانية ان المانيا هي الموطن لكل الألمان الذين يعيشون في بلدان اخرى[5]. ان هذا المطلب القومي و اللغوي والذي يستند الى اساس من الحق التأريخي ، يجعل من شعار البعث " من المحيط الى الخليج ان يقترب من الشعار النازي من المحيط الى الأورال ، ليس فقط لأنهما يتشابهان من ناحية الشكل بل لأن امال و طموحات الأثنين مبنيتان على نفس اسس المشروع المثالي . بدون شك ان هذا التوازي لا يكتسب معناه الكونكريتي وليس له اية اهميه علمية ان لم تتكامل مع الأسس الفلسفية الأخرى، اى الأسس التي لها علاقة بنظرية الدولة و رؤية النخبة الأرستقراطية و مفهوم الأمة ...الخ.

---

*ايريدينتيزم ... مبدا سياسي ينادي بتحريرالمقاطعات المتصلة تأريخيا او عرقيا بوحدة سياسية ما (والخاضعة حاليا لوحدة اخرى) وجمعها في نطاق هذه الوحدة الطبيعية. (المترجم)

نظرية الدولة البعثية

ان الفكر النظري البعثي والمتعلق بالعلاقة بين الدولة و مجموع الأمة تتشابه في الكثير من الأوجة مع النازية. ان البعث و النازية يشتركان معا في نفس المنطق. مم يتكون هذا المنطق؟ نستطيع ان نستخلص الأجابة من النقاط التالية:
اولا/ من وجه نظر البعث يعيش الأمة العربية في ظروف جدا سيئة وعصيبة جدا . ان فساد الأمة هذا هو نتيجة لأنهيار روح العرب الأصيلة
ثانيا/ يجب ان يبعث هذا الروح من جديد، لكن هذا الأنبعاث لن يتحقق الا برفع تلك الحدود القانوية التي تفصل بين الأمة و الدولة. لهذ الغرض يجب ربط الدولة بشكل محكم و مؤثر بالأمة ، بحيث تجد الدولة نفسها في حضن الأمة.
ثالثا/ ان هذا الربط لايتحقق بدون ربط الحزب بالأمة ويجب ان تهميش كل قوة سياسية تريد الأشتراك في الحياة الديمقراطية.عندما يتصدى ميشيل عفلق لأشكالية العلاقة بين الدولة والأمة ، ويقوم بالقاء الضوء على حقيقة ان مرض الأمة العربية هو الأمة نفسها "لأنه ليس مرضا له علاقة بمؤسسة تدعي الدولة، اي ان المرض الذي تعاني منه الأمة العربية سببها الأمة نفسها . بصورة مطولة واكثر من اللازم و بدون التقيد بمنطق فلسفي وقانوني سليم وملئ بأخطاء نحوية و انشائية ، يعرض ميشيل عفلق ملاحظاته ويستطرد قائلا "بعكس الأمم الأخرى التي تعيش حالة سياسية واقتصادية سليمة، فإن مشكلة البلاد العربية والمتعلقة بالعلاقة بين الدولة والمجموع القومي مختلفة. فالأحزاب السياسية في هذه المجتمعات قلما يتعرضون للأمة لأن الخلل في البلاد ذات الأوضاع السليمة لايتجاوزالدولة ولايصل الى الأمة،لأن الأمة هناك قائمة [6] ، و شئ حقيقي راهن قوي منسجم للحد الكافي واع لذاته ومصلحته"[7]، وانما الخلل في من تولوا ادارة ادارة تلك الأمة وفي الجهاز الأداري . لذلك ان المشكلة الرئيسية لهذه المجتمعات هي كيفية اعداد الرأي العام واعداد اعضائه لكي يستطيعوا عندما يتولون الحكم ان يصلحوا الخطأ الذي يرونه في الدولة [8].في هذه الدول لا تعمل الدولة والجهاز الأداري بصورة سلمية وتتناوب الأحزاب السياسية على الحكم وهم منهمكون في عملية اصلاح الدولة.
ماذا نفهم من الطرح الذي يقدمه هذا المنطق؟ في الحقيقة ان هذا المنطق يريد ان يقول بأن تحَقق التعددية السياسية في هذه البلدان سببه هو ان مشكلة الكثير من الأحزاب السياسية ليست بناء المجتمع.ان المجتمع في هذه الدول يعي وجوده ووصوله الى مرحلة من التطور والأزدهار بحيث يعرف ماهي طموحاته و مصالحه. على العكس من ذلك ان الأمة العربية تعاني الكثير لأنها تعيش في حالة عصيبة. وما نقص الدولة وكل النواقص الفادحة التي تعتري الدول القائمة في البلاد العربية الا نتيجة لهذه الضروف.. [9].ان هذه النواقص هي نتيجة لذلك النقص الأساسي الموجود في حياة الأمة ولذا "فالأمة بحاجة الى علاج"[10]. لهذا السبب ان حزب البعث يبحث عن اجابة للسؤال التالي: "كيف يمكن قبل علاج الدولة ان يتم علاج الأمة" ؟[11]. لاشك ان البعث ليس له ماضي ديمقراطي، ليس له بنيان ديمقراطي يسمح بتعدد الأجهزة التي تشارك في صنع القرار او ان تكون هنالك

تعددية سياسية .لأن مشكلة البعث عبارة عن ايجاد علاج لتلك الأمراض و المعاناة التي اصابت الأمة العربية. الأمة انكرت ذاتها نتيجة الغفوة الطويلة، ونتيجة التشويه الطارئ عليها حتى لم تعد تعرف ذاتها، ولم يعد يعرف بعضها بعضا ، لقد انقسمت ايما انقسام ، فتناثرت اجزاؤها و افرادها ، و هبطت الى مستوى وضيع والى سجن الأنانية ، وسجن المصالح الصغيرة ، وسجن اعتياد الجمد و القعود [12].

من المعروف بأن هذا هو اسلوب (فيخته) في التعبير عن الأستياء من الأمة . بصورة عامة انه لايختلف عن منطق الفاشية التأريخية وعن النازية بصورة خاصة . لو رجعنا الى تحليل الأفكار النازية فأن هذا التذمر والشكوى من الصعوبات و المأسي التي يمر بها الشعب واعطاءها الحق فقط لنفسها في البحث عن حل لتلك المشاكل ، فإن هذا الأسلوب يتماشى بصورة منهجية ومتوازية مع الأفكار النازية . كان هتلر يعبر عن استياءه في الكثيرمن المناسبات تجاه الظروف التي كانت تعيشها جمهورية فايمر. وكان يصور الحياة في المانيا من زاوية الأنحطاط الخلقي . فمن وجهة نظره ان الخطر الذي كان يهدد المانيا كان خطراً اخلاقياً [13]. وكان يقول "عندما سقطت الأمبراطورية الضخمة انتاب الألمان ذهول شديد لهول الصدمة، وباتوا عاجزين حتى عن تكوين فكرة عما كانت عليه بلادهم قبل الأنهيار من قوة و جمال وحسن تنظيم"[14]. مثلما سبق وان اشرنا اليه باننا نرى هذا الموقف قد يرد وبصورة منهجية في معتقدات هتلر . وانه يشكل قاسما مشتركا بين البعث والنازية و يصل بأعمدة افكارهم الى سقف ما يؤمن به فيختة. لنرى جانب اخر من هذا المنطق.

على اي منطق يستند البعث و ميشيل عفلق في تحليلهم لعوامل الأنهيار الكامل للأمة العربية؟ في الحقيقة ان الأعذار التي يردها البعث لايختلف كثيرا عما لدى النازية . فالى جانب بعض التبريرات السياسية البحتة ، فإن عفلق يعرض المسألة بأسلوب ذو طبيعة انتقائية و تأريخية . فأنه يقول بأن سبب هذا الأنحطاط يرجع الى انهيار تلك الروح التي كانت في الماضي تدفع العرب الى الوحدة . لأن ما آل اليه من انحراف وتأخر و تشويه ليس مجرد مظهر ، بل هو نتيجة لفتور او نضوب شاب الروح العربية [15]. ان هذا الوضع السلبي هو نتيجة عوامل كثيرة مختلفة في فترة من الزمن[16]. لكي نستوعب هذا يجب ان نوضح وبأيجازعدة نقاط كنا وقد تصدينا لها في الفصل الأول من هذا البحث. يقول ميشيل عفلق " ان رسالة العرب الخالدة هي ايمان قبل كل شئ "[17]. وان هذا الأيمان يعني بأنه يجب ان يعاد بناء الوحدة العربية ليس فقط من الناحية السياسية بل من الجانب الروحي ايضا[18].

حسنا لوكانت الوحدة السياسية تعني بأن يتوحد كل الدول العربية تحت الحكم البعثي،اذا ماذا تعني الوحدة الروحية؟ لاشك انها تجد نفسها في "الرسالة الخالدة" مم تتكون هذه الرسالة ؟ انها تتكون من وجود الأمة العربية في عصر يقدم فيه وحدة الأصل والعنصر[19]. وبعد ان فقد هذا العنصر فاعليتها وزخمها اصبحت الأمة العربية في عملية انهيار مستمرة لا نهاية لها .اذا يجب علينا احياء هذه الرسالة الخالدة، اي يجب على البعث ان يعيد ماضي العرب على اساس وحدة الأصل والعنصر. ان فكرة الرسالة الخالدة تقود حتما الى تكوين نظرة ليست فقط الى

الماضي كأحداث كانت تثمن عاليا وحدة العرب بل بعلاقته بالحاضر.الماضي شئ حقيقي، وشئ اصيل في حياة امتنا ومن الخطل ومن العقم في التفكير ان ننكر هذه الحقيقة ...، اننا نقصد بالماضي ذلك الزمن الذي كانت فيه الروح العربية متحققة" وماذا نقصد نحن بالمستقبل ، ماهو هذا المستقبل الذي يغرينا ويدفعنا الى النضال ان لم يكن هو الزمن الذي يجب ان تتحقق في روحنا الأصيلة[21].بعكس التيارات الأيدولوجية الأخرى (الشيوعية ومؤيدي الغرب و حضارته) يعتبر البعث حياة الأمة كجسم حي كان صحيحا ثم اعتل ، ويعتبر ان التقدم يعني معالجة المرض والعودة باللأمة الى الوضع السوي السليم. في اي زمن اصيب الأمة العربية بهذا المرض؟

هنا يجب على مشيل عفلق ان يحل اصعب مشلكة: والتي هي الأسلام ، صحيح ان دين الأسلام يقوم على المبادئ الأسلامية، ولكن صحيح ايضا ان الأسلام عند عفلق يعبر عن الحس القومي والرسالة العربية[23].ان الأسلام حطم كل القيم التي كانت الجاهلية تستند اليها. والأسلام كانت تمثل الروح العربية [24]. بمعنى ان الأنسان العربي كان يثق بالمستقبل. ويجعل من العالم كله مسرحا لنشاطه لتطبيق هذه القيم الجديدة التي ظهرت في الحياة العربية . بهذه الصورة فالأنتقال من الجاهلية الى الأسلام كان تعبيرا عن حرية الفرد العربي. مرة ثانية نكرر السؤال التالي: الى اي عصر يؤشر ميشيل غفلق ؟ الى العصر الذي كان فيه الأسلام في اوج قوته و انتشاره والذي استطاع فية العنصر العربي ان يفرض نفسه وان يقوم بصهر الأمم اخرى في بودقة العروبة ؟ ام الى عصر الرسول و الخلفاء الراشدين والأمويين والذين جاؤا بعدهم وبالأخص بعد سنة 750؟ ان هذه الأشارة التأريخية ضرورية جدا وحاسمة لفهم نتائج الملحمة العفلقية جيدا.مما لاشك فيه ان الدين الأسلامي يقع مابين العصر الجاهلي وعصر الفتوحات. ومعلوم ان الرسول استطاع و خلال فترة وجيزة ان يفرض العقيدة الجديدة على العرب. وعن طريق هذه العقيدة الجديدة ، استطاع العرب ان يفرضوا انفسهم على الكثيرين من شعوب العالم . في فترة اقل من قرن ونصف تمكنوا من السيطرة على شعوب عدة: الترك ،الفرس، الكورد، البربر ،الخ.. في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة (632-656) احتل العرب سوريا ووادي الرافدين وكوردستان ومصر وليبيا. وفي فترة حكم الأمويين وصلوا الى الهند واسيا الصغرى وافريقيا الشمالية و اسبانيا. ويجب ان لايغيب عن بالنا بأن تلك الفترة المسماة عربية في التأريخ الأسلامي لم تدم الا لفترة قصيرة"[25] حيث يقول عفلق انها دامت لفترة لا تتجاوز القرن ونصف القرن وانتهت بأنتهاء سقوط الأمويين في سنة 750 .

ان مجئ العباسيين الى الحكم كانت البداية لعملية انهيار طويلة لأنحسار السيطرة العربية لتفسح المجال امام تعايش العناصر المختلفة. اذا كانوا قد وصلوا الى القمة من النواحي الأجتماعية و الأقتصادية ،لكن قوة الخلفاء الجدد بدأت بالأضمحلال ولم يتمكنوا من السيطرة المباشرة على خلفاء كوردوفار و المغرب و تركيا و اسبانيا... الخ. بالعكس من الأمويون الذين قدموا العنصر العربي ، العباسيين الذين استطاعوا ان يستولوا على السلطة بمساعدة الفرس. فقدوا سيطرتهم و سلطتهم وتمكن الفرس

من ان يفرضوا ثقافتهم على الحياة العربية .ان الأطار العربي، كانت تتكون في الكثير من اوجه الحياة الفارسية والأثورية والكلدانية و الهندية الخ... وبمجئ الأمبراطورية العثمانية في القرن الرابع ، وافول نجم العباسيين وبالرغم من محطات عدة من الأنكسار والضعف و النهوض من جديد استطاع العثمانيين ان ينتصروا وان ينهوا عظمة جماعة اثنية والتي كانت ولقرون عديدة مضت الممثل الوحيد على المسرح العالمي حينذاك . ان هذا الحدث لم تسجل فقط الأنهيار الكامل للسيطرة العرب و خنوعهم للقوة الأجنبية ، بل جمع بين عناصر بشرية عدة و كون كتلة سوسيولوجية وبالرغم من ان العرب كانوا يشكلون نسبة جيدة فيها لكن لم يكونوا الوحيدين. اذا يجب ان لاينسى بأن هذا التأريخ يشترك وبصورة عامة في اطار تأريخي كمجموحة حوادث منتهية تدرس في كتب التأريخ . لكن يجب ان لا يقدم محتواه الأثني او العنصري و" ادلجته او تسيسه او جعله قوميا او روحيا، نظرة خاصة . يجب ان لا يجعل من التأريخ والعملية التأريخية اداة لتقديس دور جماعة اثنية . لنحاول ان نعرف كيف يتحدث البعث وعلى لسان ميشيل عفلق عن " ضعف و سقوط الروح العربية" ولماذا تنادي الأيدولوجية البعثية ببعث الروح العربية؟

"هذه الفترة التي انتقل فيها العربي من الجاهلية الى الأسلام ، من حياة سجينة في قيم المجموع وتقاليده الى حياة تتحقق فيه الحرية الفردية و المساواة بين الأفراد كانت قصيرة جدا لم يلبث العرب بعدها ان غرقوا في بحر لا نهاية له من الشعوب المختلفة. ومنذ ان فقدوا بعد سنوات معدوة شعورهم بوحدتهم القومية وغرقوا في تلك اللجة المتباينة المتماوجة من الشعوب، عادوا الى عصبيتهم الجاهلية والى صراع القبائل وتنافسها. ولقد تلت هذا عصور من الضعف وفقدان التجانس القومي"[26]. ان اهمية هذه النظرة هي في انها تبين جوانب غريبة ، بدون شك ان ميشيل عفلق يرجع انهيار "الروح العربية" الى تمازج الشعوب، واختلاطها بالعرب والعرب هو عنصر ايجابي .

هل نجد تناغما بين هذا الطرح والنازية؟ اي منطق يقرب مابين هاتين النظرتين؟ لنحلل هذين المنطقين: عندما يقوم عفلق و البعث وخاصة صدام حسين بتركيزهما على الأسلام كظاهرة قومية، فانهم بذلك يشيرون الى الزمن العظيم للفتوحات العربية ، اي الزمن الذي ساعد العرب في الخروج من الجزيرة العربية و جعل منهم اصحابا لمناطق شاسعة ووسع من سلطاتهم. منذ ذلك الحين و مثلما يقول عفلق "غرقوا في تلك اللجة المتباينة من الشعوب". اي اختلاط تلك العناصر و الشعوب بسبب انهيار وحدة العنصر والأصل ". في اية فلسفة او نظرة ايدولوجية اخرى يكمننا ان نرى هذا المنطق؟ وهل هنالك اية اختلافات بينه وبين ماتؤمن به النازية ؟ لنرى ماهي العلاقة الأدبية التي تجمع بينهما. ان عفلق و صدام حسين يطلقون صفة الصورة المصغرة للأمة العربية و الروح الأولى للعرب على حزب البعث و يقولون بأن البعث اختير من دون قيد او شرط ان يصبح المنقذ للأمة العربية من

الأنقسام و التشوه. والأشتراكية القومية كانت ايضا قد جعلت من الحزب النازي النواة للعنصر الألماني و تفرض حركته على الشعب الألماني كمنقذ لهذا العنصر الذي كانت ضحية لهذا الأنهيار . بدون شك ان هتلر لم يكن يستطيع ان ينقذ العرق العظيم[27] من الأنحلال و التفسخ الروحي والثقافي ان لم يكن مؤمنا بأنه الأنسب لأصلاح هذا الأنهيار. وكان يقول ان اختلاط دم العنصرالأري بالشعوب الوضيعة ادت الى النتائج التالية:" تدني مستوي العنصر المتفوق"، تأخر مادي وروحي يفضي في النهاية الى التفسخ و الأنحلال"[28]. وكان هتلر يشير ايضا ان العنصر الأري الذي استطاع في ظروف اخلاقية ان يبقي مسيطرا على السلطة ، والى جانب ذلك استطاع ان يكون حاميا للحضارة وان يكون مستمرا في تطويره . في الوقت الذي كانت الشعوب المستعمرة تتطور، و بدأت بالتقرب من المحتل الألماني . بهذه الصورة زالت الأختلافات التي كانت تفصل بين السادة والخدم. بسبب اختلاطه بالعناصر الأخرى تخلى العرق الأري عن نقاء دمه و فقد قدراته الحضارية. وفي النهاية اصبح كالعبيد. هذا ليس فقط على المستوى الثقافي بل على المستوى الجسدي ايضا, بهذه الصورة فقد تلك المرتبة العالية التي كانت تتميز بها اجداده عليهم[29].

في الحقيقة ان مشيل عفلق ليس له تلك الصراحة التي يتمتع بها هتلر ولو قارنناه بهتلر نرى بأنه اقل حدة في فهمه للتأريخ و العنصرية . في سنوات مابين الحربين كان هتلر يعبر صراحة عن هذا المنطق و في كل مكان . ولكن و بالرغم من الأختلاف في الحقبة التأريخية و الثقافية و الظروف الموضوعية والسياسية لعالمين بعيدين عن بعضهما . ينظر ميشل عفلق وهتلر البعث والحزب الوطنى الأشتراكي بنفس المنظار الى التأريخ . الأثنين ليس لديهما ادنى شك من وجوب خنوع الشعوب الأجنبية وانصهارهم داخل العناصر المكونة للأمة المستعمِرة كعصر ذهبي حيث يحقق التجانس الأثني فيه السعادة للأنسان. ولا يترددون في ارسال اللعنات الى تلك العملية التي هدمت هذا التجانس و وأدت بالأمة الى الأنقسام و الفساد ولا يترددون في ادلجة التأريخ كأنه مجموعة من الحوادث الموضوعية.

بالأضافة الى ذلك ، ان قصد مشيل عفلق بالفترة الوجيزة هو ذلك العصر الذي استطاع فيه العنصر العربي ان يفرض نفسه على الأخرين. بمعنى ان الحضارة التي كونتها الأمة العربية " كانت انجازا ثانويا و بسيطا لحلم كبير"[30]. وهل من هذا المنطلق يتحدث القادة البعثيون عندما يقولون:" ان عظمة امة لا تقاس بعدد افرادها بل بعدد رجالها الأذكياء و قادتها"[31]. يقول ميشيل عفلق، بأنتهاء وحدة العرب "عاد الفرد الى الوحشة واليأس[32]. لماذا لأن العلاقة الحية التي لا يمكن للفرد ان يعيش بدونها وهي الأرتباط بمجموع حي، قد فقدت في عصر الضعف و طغيان العناصر الأجنبية و تفكك الكيان العربي[33].

من المؤكد انه لايمكن التعرف على خصائص ايدولوجية معينة من خلال كتابة عدة كلمات عنها . بل ان المنطق العام (الذي يبنى من خلاله نظام معين ليتحول لاحقا الى نظام سياسي) مهم جدا. ان سطر الكلمات بحد ذاته ليس له اهمية تذكر ان لم تستند الى منطق هدفه تحقيق غاية و عرض برنامج سياسي . مثلما لاحظنا ان

المنطق البعثي يريد التأكيد على الأهمية و القيمة الأيجابية لسيطرة العنصرالعربي والركون الى هذه السيطرة ضد السيطرة الأجنبية. في الحقيقة ، ان الدلالة السياسية للبعث على الصعيد الأدبي، تعني بعث هذا الكيان و الرجوع الى هذه السيطرة . ان هذا المنطق هو القاسم المشترك بين كل الظواهر القومية التوتاليتارية. ويكرر المنطق العام للأشتراكية الوطنية هذا الطرح هنالك شعوب ارية ضئيلة العدد تخضع اقواما اجنبية وتعمل على انماء مواهبها الخلاقة و المنظمة بفضل ماتضعه في متناولها التي وضعت ايديها عليها. ولا تمر بضعة قرون حتى تبني الشعوب المذكورة حضارات ذات طابع متلائم واسلوبها في الحياة ، ومتفقة في الوقت نفسه مع خصائص الأقليم وروحية سكانه، لكن مايلبث الفاتحون ان يتنكروا لمبدأ حافظوا عليه في البدء، وهو المبدأ القائل بوجوب حفظ دم العرق المتفوق نقيا طاهرا، ويكون الأختلاط بينهم وبين السكان الأصليين وبالا عليهم . ذلك ان ضياع دم الشعب الفاتح في دم الشعب الخاضع للسيطرة يفضي حتما الى ضياع المادة القابلة للأحتراق و التي منها الشعلة التي تنير السبيل امام الحضارة البشرية السائرة قدما [34] . ان نظرة ذاتية لأطار موضوعي للتأريخ ، و نظرة ايدولوجية لتأريخ الأحداث و نظرة مستقبلية للماضي ، ورؤية معيارية لتأريخ "ايجابي" ، تحول في الرؤية للتأريخ الذي كان الى رؤية لتأريخ الذي يجب ان يكون . هو المنطق الذي يشترك فيه الأيدولوجيتين. لأنهم يريدون ان يطبقوا معاييرهم على الحوادث الموضوعية للتأريخ وان يجعلوا منه اداة بأيدهم اذ يقول البعث اننا نشعر بأن مجتمعنا العربي بحاجة الى ان يغالب نفسه و يناضل نفسه، بحاجة الى بذل جهد و مشقة كبيرة حتى يسترد ذاته الحقيقية، حتى يصل بالجهد والمشقة الى اصالته[35].

بموجب هذه النظرة يريد وعن طريق الرجوع الى "اصالة الروح العربية"، ان يؤسس دولة على صورة الأمة المبتغى خلقها او بعثها. الدولة التي لا تمثل الأمة التي تم خلقها وتربت على اصالة الروح لا تستطيع ان تضمن الغاية الكبرى التى يناضل البعث من اجلها .اذ يجب ان تحتضن الدولة امة حية منسجمة واعية[37].

عندما يقترح البعث بناء دولة محتواها امة حية و منسجمة وواعية ، يقر بأن الأساس الوحيد لجعل الأنسان العربي اجتماعيا هو تحقيقه لذاته في كيان يسمى الأمة. وان شكل و مضمون هذه الدولة تتكون من الأمة والشعور القومي . بهذه الصورة فان القومية في الدولة البعثية هي التعبير الوحيد للحياة الأجتماعية . وبأنصهار الدولة داخل الأمة ، ان الشعور الجمعي هوالأساس في القومية. المادة الثالثة من مبادئ حزب البعث تشير الى ان حزب البعث قومي يؤمن بأن القومية هي بديهية خالدة: "ان القومية حقيقة خالدة ، وان الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأمته ربطا وثيقا هو شعور مقدس حافل بالقوى الخالقة ، وحافز على التضحية، وباعث على الشعور بالمسؤولية، وعامل على توجيه انسانية الفرد توجيها عمليا مجديا"[38].

عندما يؤكدون بأن القومية هي حقيقة حية و خالدة ، يقرون بأن القومية(من نوع قومية البعث) هي في حركة دائمة .وان هذه النظرة تؤدي الى الأعتقاد بأن التأريخ (على الأقل تأريخ العرب عند البعث) عبارة عن عملية متصلة لرفع فكرة القومية

عاليا. لأن هذا يعني بأن القومية ظاهرة وجدت في الماضي و لاتزال موجودة . وتجعل من القومية ظاهرة ابدية . يؤكد البعث على ان القومية عبارة عن القوة العالمية المستقبلية وتأريخ وتعبير منهجي و خالد لكل مجتمع . لايمكن لأي مجتمع ان يتخذ شكل الدولة ان لم يقوده القوميين . لأن القومية لا تلتزم بأية ثوابت خارجية تحد من تطلعاتها وانها نعكاس لكيان ثابت يسمى الأمة. لأن القومية مرتبطة بتجربة "الوجود" (بمعناه الفلسفي) فان تجميدها و تكبيرها لها علاقة بالماضي والحاضر و المستقبل في الحقيقة ان هذه النظرة تضع الحدود للأيدولوجية البعثية و تحدد طبيعة واهداف الدولة البعثية. يجب على الدولة البعثية ان تعمل على تحقيق كافة المستلزمات لتلك الأمة والتي حجر اساسها هي القومية ، لايمكنها ان تحقق تقدما ان لم تكن تشتمل على امة حية وواعية. إلا ان البعث ينسى بأنه اذا لم تمثل الدولة جماعة انسانية او "امة مختلطة" (لأن الدولة لاتتكون من امة واحدة و حزب واحد فقط اذ يجب ان تحتضن عدة شعوب و ان تكون هنالك عدة احزاب سياسية تمارس النشاط السياسي فيها) ستتحول الى اداة تخدم تطلعات حزب واحد فقط . ولأجل هذا يعتبر البعث الدولة الة :"الدولة الة لا اكثر ،الدولة جهاز، الدولة جسم لا روح فيه[39].

وان رؤية الحزب الوطني الأشتراكي تصب في نفس الأتجاه . ان الواجب الأول للحزب الوطني الأشتراكي والذي يحدده هتلر هو هذه النظرة المتعلقة "بطبيعة وعوامل نشوء الدولة" . من ماذا تتكون هذه النظرة؟ انها تتكون من الربط المحكم بين واجبات الدولة وبين واجبات الفرد. ومن هذا نستطيع ان نلاحظ بأن الدولة هي اداة وليست جهاز تشريعي لذاتها [41]. يقول هتلر ان المفهوم الأساسي يتكون من ان الدولة ليست غاية بل وسيلة"[42]. مثل طريقة او وسيلة يجب ان تكون واجب الدولة بصورة رئيسية الحفاظ على العنصر و ان تصلحه. ان هذا شرط اساسي لتقدم البشرية"[43].من وجه نظر الأشتراكية القومية ان لم تستطع الدولة ان تمثل سيادة غريزة بقاء امة " ستبقى كألة اوتوماتيكية نظيفة وغيرمستعملة"[44].

اليس تشابههم في هذه النظرة امر لايدعو الى التعجب؟ ان كانت الدولة عند ميشيل عفلق جسما بدون روح و غايتها خدمة الرسالة الخالدة فهي نفس الشي عند هتلر ان الدولة "الة بدون روح"... وان هدفها هو خدمة الفكر العظيم"[45]. فنلاحظ ان الدولة لدى البعث و الحزب الوطني الأشتراكي ، لدى عفلق و هتلر ، الأول يجب ان تصبح كيانا للأمة او العنصر والثاني يجب ان تصبح اداة لأصلاح الأمة او العنصر . بحسب البعث والنازية ، ان الدولة هي جهاز فائدتها تنظيم الأمة او العنصر. فلدى البعث و الحزب القومي الأشتراكي نفس الرؤية تجاه الدولة: ان اتحاد الدولة مع الأمة تعني انصهار الدولة في الأمة. انهم يربطون مفهوم الدولة مع الأمة "السياسية" . وبهذه الصورة ، تصبح الدولة نموذجا لحياة امة او عنصر والقومية هي جذورها. فعند البعث والنازية ، ان الدولة هي صورة لوجود امة او عنصر حي . "الدولة ـ الأمة" "الدولة ـ العنصر" انها كيان وعن طريق القومية تصبح حقيقة: بدون شك القومية البايولوجية.

البعث و نظرية النخبة

لانستطيع ان نفهم حقيقة " الدولة ـ القومية" لو غفلنا عن شخصيته النخبوية والتي ترفض الديمقراطية . ان الدولة البعثية ، كنتاج لثورة شمولية ، لا تستطيع ان تأخذ شكلا حيا ان لم تتحول الأمة التي تحتضنها الى مادة تحت تصرف الأقلية ، وهذا ما سنتطرق اليه لاحقا ، ان لا يتحول الى رغبات رئيس " يلجأ الى " ميراث الروح الأصيلة" . ان العمود الفقري لمجمل نظام الدولة البعثية تتوقف على هذه النظرة والتي اغفلت من قبل غالبية المثقفين في الشرق الأوسط و قبل كلهم الكورد والعرب، من قبل الذين يعيشون في الغرب او خبراء علم الأجتماع السياسي العربي . ان عدم الأهتمام بهذه النظرة ، تضع العراقيل امام فهم الجوانب الأخرى لأيدولوجية البعث.

ان ما يدعو اليه البعث هو ، بناء دولة تتكون قادتها من الأفراد الذين يتحملون وبنكران للذات مسؤلية انقاذ الأمة العربية من الفساد والأنهيار: تلك الأفراد لديهم المناعة ضد شيئين " ضد الأمراض التي اصيب بها معظم افراد الأمة العربية وضد ذلك العدو الذي هو المسؤل عن نشر هذه الأمراض : هؤلاء الأشخاص مناضلون يتمتعون بالنشاط والحيوية. ان هؤلاء الأفراد هم عبارة عن نخبة ، فيهم صورة للبذور الكامنة او النشاط الكامن للأمة ، و اختيروا كقادة وهم بعيدون بطبيعتهم عن تلك الأنانية التي تتخبط الأمة العربية فيها ولديهم الأستعداد للتضحية من اجل الرسالة الخالدة. فعندما يكلف هذه النخبة لقيادة " الدولة ـ الأمة" ليس فقط لأن هذه الأقلية تؤلف نواة الأمة في "حالتها النقية" بل لأن اكثرية الأمة في طبيعتها لا تعرف اين مصالحها ." المجموع له قانون، وكل جمع مدفوع بطبيعته ، بغريزته الى تمجيد الظواهر و الشكليات و العناوين و الألفات و الصفات العامة، لأن الجمع ليس له اوصاف الفرد و حساسيته و قدرته على التعمق"[46].

من اجل ان تأخذ الحركة البعثية طريقها الصحيح "علينا ان نقدر دور الأفراد" [47]، فالأفراد هم الذين لايستعبدهم الجو الجماعي ، هم الذين يحتفظون بحريتهم، بأستقلال تفكيرهم ، بصفاء نفوسهم حتى ولو كانوا مشاركين في اندفاع المجموع. هم الذين ينشدون المعنى وراء اللفظ يبحثون عن الشئ الحي وراء التعبير العام . هم الذين يرجعون الى الصمت كثيرا ويكون كلامهم وعملهم وليدا لصمت مثمر منتج، هؤلاء هم الرقباء على الحركة، هم الذين يصححون كلما كادت تتردى في السطحية وفي التقليد ، هم الذين يخلقون التوتر في الحركة كلما ضعف هذا التوتر الداخلي[48]. تتصف الأغلبية بالأندفاع يجب ان يقودها اناس يعرفون كيف يحركون مشاعرهم .

بدون شك ان هذه النظرة راسخة في تأريخ تلك الفلسفة السياسية التي تشجع الأقلية على ممارسة السلطة . مثلا ان جوستاف لبون1841-1931 احد الكتاب الذين تركوا ميراثا لايستهان به من الفكر النخبوي الى الأيدولوجيات المتطرفة. في بحثه

عن سايكولوجية الأكثرية (الجماهير، القطيع) ، يلاحظ ليون بأن الأنسان ليس حيوانا منطقيا ، عندما يختلط بالجماعة ، يتجه اهتمامه الى مستوى ثقافي واخلاقي وضيع. ان الأنسان وعلى المستوى الثقافي والمنطقي يكون اكثر تخلفا من فرد اخر يكون بمفرده . بأستطاعة الفرد ان كان وحيدا ان يفكر بصورة مستمرة وان يتصرف بصورة منطقية لأن لدية القدرة ان يكبح جماح غرائزه اللاشعورية، لكن الأكثرية(مجموع المجتمع) ليست لها تلك القدرة[49]. ان عقلية الأكثرية تسيطر عليها العاطفة الغريزية والأندفاع والقلق والأشياء اللامنطقية بحيث تشكل جزءا من تكوينها النفسي[50]. ان نتيجة هذه الحالات تضع الأطار للشخصية القلقة من الناحية العاطفية وعديمة الصبر والتحمل وليس لها احساس بالمسؤولية. وبالنسبة الى تقاليد الدولة ، يشجع لبون وبصورة مستمرة على سيطرة الأقلية اوالأرستقراطية المنطقية بصورة منهجية على عنف الجماهير وتطلعاتها نحو السلطة ، حيث ان النخبة تقود هذه الجماهير.

لو تمعننا جيدا في ايدولوجية البعث ، نرى انها تحتوي على تكوين اخر لأفكار بترتو وفيختة . يؤكد عفلق على ان هذه الأمة (الأمة العربية) تعرف بأن في الوقت الحاضر لا يوجد شئ يستوجب تركه كما هو عليه[52]. لكن الى جانب هذا الوضع السلبي لاتزال هنالك "بقايا للروح الأصيلة"[53] لم تتلوث ، لابد للأمة من ان تستكشف في نفسها بقايا القوى الصادقة في الأمة وان تستخرج من اعماقها كنوز الحيوية[54]. ان انقاذ بقايا الروح الأصلية تعنى العمل من اجل بعث القوى الكامنة وان تمهد الطريق لكي تنتشر في الأمة.

هذه المغالبة للتيار بقصد ايقاظ بقايا الروح الأصيلة في كل مكان تتواجد، وتتجمع و تتكتل فيه، لابد من هذا السير المعاكس للمادة، الذي يحيا في كل خطوة من خطاه ، الذي ينبه و يوقظ، الذي يرد الى القوى الغافية و الكامنة وانتعاشها ، وجديتها ، و صحوها ، وشعورها باستقلالها وقيمتها وتأثيرها . فالأنقلاب قبل ان يكون برنامجا سياسيا و اجتماعيا انما هي الحركة الدافعة الأولى ، (وهذا التيار النفسي القوي)[55] وتؤدي في النتيجة الى بعث شامل . وان اغفال هذا البعث الشامل ، يؤدي الى انهيار الأمة . يجب ان تولد دولة البعث من جيل تتمتع بالصفات الأساسية اللازمة لأصلاح هذه الحياة وهذا النشاط الكامن . يجب الحفاظ على ذلك القسم من المجتمع الذي لم يزل نقيا ولم يعتريه الفساد . وان هذا القسم بحد ذاته هو مالك الحياة و النشاط الكامن وهو الذي يناضل من اجل الرسالة الخالدة .

من الجدير بالذكر ، ان هذا المنطق قريب جدا من منطق النازية. اذ يقول هتلر في هذا الصدد بأنه ومنذ امد بعيد فقد الألمان "غريزة التجمع والتي هي ضرورية جدا في الأوقات العصيبة التي تمر بها الأمة وانها عامل نادر يحول دون انهيارها[56]. فمن وجه نظر هتلر ان غريزة التجمع هى العامل الوحيد لقيام جبهة موحدة لأمة متجانسة ضد الأعداء . اذ يجب على الألمان الرجوع الى العصر الذي كانت غريزة التجمع تشكل الحجر الأساس للوحدة . ان التضامن والتجمع اللذان كانا يتمتع بهما الألمان، هما الأن في طريقهما الى الزوال . وان فقدان هذه الوحدة العنصرية تسبب الاما للأمة الألمانية ، وذالك لأنفراط عقدة الوحدة الجسدية وعلى هذا يكون انعدام

اللحمة المطلقة بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا يقابله لحسن الحض بقاء دم فريق من الألمان سليما طاهرا مما يشكل ضمانة لمستقبل شعبنا[57]. لذا فأن واجب الحزب الوطني الأشتراكي هو ان احياء ذلك القسم الذي لا يزال يحافظ على نقاءه .ولحسن الحظ ان الألمان هم اصحاب تلك "القدرات الكامنة والتي لا تزال باقية في قسم من شعبنا دون تشويه او تدخل"

" ومن المؤكد ان هذه القدرات لا تزال موجودة تنتظر فرصة او ظرف خارجي لكي تستفيق و تظهر للعلن"[58].

هنالك عدة اسئلة تطرح نفسها: كيف يكون الرجوع الى "الروح الأصيلة" عند البعث او غريزة التجمع عند هتلر؟ من الذي يقوم بتمثيل الروح الأصلية او روح التجمع؟ من الذي يقوم بأحياء ذلك النشاط الكامن؟

ان اجابة البعث العفلقي هي اكثر صراحة من اجابة حزب هتلر . ان التشويه والأنحراف والفساد الذي اصاب الأمة يخلق نوعا من الأضطراب و الشعور بالحاجة الى تبديل الأوضاع و مقاومة الفساد. ولكن هذا الشعور لا يتبلور بشكل واضح واع ، الاعند اقلية قليلة من ابناء هذا الشعب "[59]. وتتقدم الصفوف للنضال في سبيل قلب هذه الأوضاع و تغييرها ، وتتجه الى الشعب لتنقل اليه وعيها ، عاملة على تنبيهه و تثقيفه و احاطته بواقعه الذي يعيشه، جاهدة لتسير بالشعب في طريق النضال المنظم[60].

لأن الأغلبية لاتتمتع بهذا الشعور وليس لها هذه الروح الجماعية التي لدى الفرد ، لذا يجب عليها ان تخضع للأقلية وان تتحمل عبء اعمالها. لكن هل من وجهة نظر البعث ان رغبة الأقلية فقط هي التي تقرر قيادة العمل الثوري؟ نعم ، لأن الشعب ليس واعيا بما فيه الكفاية كي يمثل رغبته و ان يوصل صوته.

يأتي العمل الأنقلابي في كل بلد، وفي كل شعب، من جهد اقلية منه "[61]." لكن اقلية من نوع خاص اقلية واعية لواقع امتها" ان هذه الأقلية تتقدم لتمثيل الشعب وقبل ان يفوضها الشعب تفويضا صريحا بهذا التمثيل..[62].

ان هذه النظرة للأيدولوجية البعثية تتلخص بصورة عملية فيما يلي: ان البعث يناضل من اجل دولة مثالية ويحاول ان يكون مجتمعا موحدا من الناحيتين السياسية و الأخلاقية. ان الوحدة الداخلية بحاجة الى وحدة الأغلبية مع هؤلاء الأشخاص الذين يمثلون بقايا الروح الأصلية و يكونون عنصر الروح اي ان الأمة العربية بحاجة الى حركة لكي تمثل عنصر الروح[63] وانها تلجأ الى هذا العنصر والذي هو في الحقيقة "الحزب الحقيقي"، الحزب الحي والذي يرى انه من واجبه ان يخضع الدولة الى تحقيق غايته الكبرى. مهما بلغت درجة نضوج الأغلبية فلن تكون بأمكانها الأرتفاع الى مستوى الأقلية . لأنعدام القدرة لديها التفكير بعمق والنظر بعيدا[64].لذا فمن المستحيل ان تفهم الهدف المقدس للأمة . ان هذا الضعف الطبيعي للأغلبية ، هو انعكاس للأنانية والخمول والفساد الروحي. لذا فستكون سببا في وضع العراقيل امام بناء ذلك "الهدف العظيم" الذي يقترحه البعث ان لم تخضع لأقلية تحمل روح الأجداد.

الأن نفهم ان رفض التنمية البطيئة بموجب الرؤية البعثية عبارة عن"الأصلاح السطحي"، انها تعني الرفض المطلق للتطبيق الديمقراطي . لو كانت الرسالة الخالدة تعنى توحيد العرب في دولة واحدة كنتيجة لعمل نخبة ، فمن وجهة نظر البعث طبيعي جدا ان تمثل هذه النخبة طموحات المجموع. نلاحظ بأن البعث وفي مرحلته الأولى يرفض فكرة الديمقراطية : تلك الديمقراطية التي تعتمد على الأنتخابات العامة و التعددية السياسية و قانون توازن القوى. فعند البعث ، القبول بالمبادئ الديمقراطية يعني القبول بالأصلاح الظاهري وبالنتيجة انكار لذلك الهدف العظيم الذي يهدف بالأساس الى بناء مجتمع اخلاقي وتحقيق مشروع تحول جذري لنفسية المجتمع. ان طموح و حلم البعث يتحقق عن طريق تغيير كامل لحياة الأمة العربية من الخمول الى التطور من النزول الى الصعود . ان مبادئ الأيدولوجية البعثية تضع الشروط التالية: ان الثورة لا تستطيع ان تؤدي رسالتها بدون خلق مجتمع جديد و بدون تغيير في نظم القيم و المعتقدات و التصرفات لدى الأفراد"[65].

اذا يمكننا ان نتصور بأننا يمكننا ملاحظة الرغبة في التغيير الجذري في تلك النظم والتي تهدف الى رفض كل المبادئ الديمقراطية بكل اتجاهاتها. والتي بدونها، لاتتمكن فيها الأمة من وجه النظر البعثية من ان تمارس حقها ، وخاصة في ظروف تكون الأمة فيها غارقة في التخلف لا تستطيع ان تميز بين الصالح والطالح وبين الأبيض والأسود. فمن وجهة نظر البعث ، ان الأمة العربية وفي ظروف كهذه لاتعرف ابدا مصالحها . ويؤكد البعث ومن خلال كلمات منمقة بانه (لابد من الديمقراطية ... ولكن، نتيجة للنقص و التشويش في حالة التعليم ، و الأنحراف الأخلاقي ، والأوضاع الأقتصادية والصحية الشديدة السوء ، قد لا يكون الشعب..قادرا على ممارسة حقوقه ، بل على العكس من ذلك علينا ان نعمل من خلالهم .. وان نكافح بهذه الطريقة لرفع مستوياتهم ...فهم بالنسبة لنا الهدف والوسيلة. ان هدفنا هو خدمة الشعب بواسطة الشعب)[66]. مثلما نلاحظ ، ان عدم الأيمان بالديمقراطية تأتي من تلك النظرة التي تجعل من الشعب ليس كغاية بحد ذاته وانما وسيلة في خدمة اهدافها. عندما تجعل الأيدولوجية البعثية من الأمة وسيلة وغاية ، تقصد جعلها ان خاضعة لغاياتها هي . ان الشعب كشعب ليس في حد ذاته غاية ، لكنه وسيلة توضع في خدمة ذلك الهدف العظيم الذي يتكلم عنه البعث . ومثلما يقول عمانوئيل كانط ، عندما يتوقف وجود شعب على ارادة ذاتية سيكون هذا الشعب خاضعا لهدف ذاتي[67]. فعندما يتحول شعب الى اداة ويخضع الى ارادة خاصة، ففي هذه الحالة لا يستطيع ان يكون له هدفه الخاص به. لا يتوفر لدى هذا الشعب اية رغبات لأن وكما يقول البعث ليس لديه القدرة على ممارسة حقوقه بشكل مناسب . بهذه الصورة ان مبدا "الأكثرية العددية " تفقد كل تأثيراته. وبسبب التخلف و تدني الحالة الأقتصادية والصحية و التربوية، ليس من الضروري ان ينظر بأيجابية الى مشكلة صوت الأكثرية او ايلاءه اية اهمية. عضو في البعث يمتنع حنا بطاطو عن ذكر اسمه في سنة 1963 وعندما كان البعث في الحكم، يلاحظ بأنه عندما تستولي الحركات الثورية على الحكم يؤكدون بأن عليهم ان يراجعوا افكارهم السابقة . فعندما يكونون في فترة النضال الشعبي ينادون بالديمقراطية ،لكي يتمكنوا

من ان يمارسوا نضالهم في احسن الظروف . ولكن عندما يكونون في السلطة يرون بأن الديمقراطية البورجوازية هي خطر كبير على الثورة"[68]. مهما يكن قبل او بعد الأستيلاء على السلطة ، المهم هو ان البعث في جوهر فلسفته السياسية وفي نظريته وتطبيقاته ، لاينظر الى المبادئ الديمقراطية والتي تتكون من مبدا تصويت الأكثرية بصورة ايجابية. ان مبدا الأكثرية العددية لدى البعث ، هو بعكس مفهوم المسؤولية والتضحية والبطولة ، لأنها هي من صفات النخبة ، والأرستقراطية التي هي من بقايا الروح الأصيلة صفات الرجال الأحرار الذين يحملون السلاح . ان الأكثرية (الجماهير . القطيع) هم فقط مجموعة من اناس محايدين لاباليين يستحقون ان ينظر اليهم باشمئزاز، بحسب الأيدولوجية البعثية ، ان الديمقراطية لاتستطيع ان ترفع من مستوى هذا القطيع وان تجعلها ممثلة لنفسها فقد تؤذي نفسها.

وفي ظروف اخرى كانت القومية الأشتراكية تسخر من الديمقراطية لأنها كانت ترى انه من غير المعقول ان يؤتى بشخص شجاع و عاقل عن طريق الأنتخابات العامة . ان هذا الجرح العميق الذي كانت المانيا تعاني منه كانت نتيجة للديمقراطية البرلمانية وفي شكل وطبيعة الجهاز نفسه ايضا . من وجهة نظر هتلر ان قانون" رأي الأكثرية" ومبدأ التعددية السياسية يخنق بذرة المسؤلية والبطولة لدى الشعب الألماني والذي هو بأمس الحاجة اليها . يقول هتلر " قد يكون مرور جمل في ثقب ابرة ايسر من اكتشاف رجل عظيم بواسطة الأنتخابات" . ولا ننسى ان ما حققتها عبقرية الأنسانية ومنذ الخليقة كان من صنع الأفراد"[69]. لماذ؟ لأن الفكر الديمقراطي للجماهير لايعدو كونه شيئا ظاهريا وانه لا ينهي ضعف الألمان، ان القومية الأشتراكية تشترك مع البعث في رفضهما للفكر الديمقراطي . من وجهة نظر النازية ايضا ان الأكثرية كما يطلق عليها في اللاتينية فولكوس بيكوس (المجموعات الحيوانية) او مولتيتودو ديسولوته(المجتمع المتفكك) كان هتلر يقول "ان عظمة الأنسانية لم تكن يوما بيد الجماهير وانما كان في يد العقل المدبر[71]. ان الشعب بعيد عن التعبير عن اماله بصورة كاملة وله اراء عامة وليس بواع تجاه جوهر المثالية ولايستطيع ان يعبر بصورة واضحة عن امانيه وتطلعاته[72].

لايمكننا ان نكمل اطار هذه المناظرة دون ان نؤكد على ان اضفاء الرومانسية على فكرة النخبة هي صفة مشتركة للفاشية التأريخية .لأن هذه النظرة تعتبر اساس للفاشية الأيطالية ايضا . كان موسولوني يقول وبصوت عال ان الديمقراطية "حلم غير مثمر" او فكرة بعيدة عن الواقع لأن" في حالة انعدام المساواة والتي لا توفير الأرضية الخصبة للرجال" لا يمكن الحصول على منتوج جيد من خلال الية "التي تسمى الأنتخابات "[73]. ان روح الدكتاتورية الأرستقراطية لموسليني ادت به الى ان يرفض العدد ، العدد كمصطلح يعبر عن تمثيل المجتمع لنفسه.

عندما كانت الفاشية تقوم بأحلال النخبة محل الأكثرية كانت تعطي الشرعية لنفسها كي تمثل مطامح الشعب الأيطالي. بالرغم من ان البعث و الفاشية الأيطالية والقومية الأشتراكية الألمانية ، يختلفون في بعض النقاط من حيث الفلسفة السياسية ، الكل تريد و بطريقتها الخاصة ان تكوَن "اقلية مساعدة" اي تريد ان تكون شكلا معينا من الحكومة تكون للأرستقراطية الأيدولوجية سلطة مطلقة على الجماهير تلك الجماهير

التي في طبيعتها وتكوينها الأدبي لا تستطيع ممارسة حقوقها بسبب عدم وعيها لمصالحها. فمن خلال هذه النظرة نتلمس الأهمية القصوى للصفوة والفرد، وكان هتلر يريد ايضا ان يمنح قيادة الجماهير "للصفوة" للذين يتمتعون "بعقل نير" ان "الهدف الأسمى" للقومية الأشتراكية و القومية البعثية كان الحاجة الملحة الى هؤلاء الأفراد "الأذكياء ذوي العقول الراسخة " الذين تحرروا من القلق و الخمول والذين هم ضد بلادة ولامبالاة الأكثرية" يقول هتلر: عندما يتحرر تماما عدد من الأفراد الذين هم مشحونون بالطاقة و القوة الأيجابية من الكسل الذي يعتري الجماهير و يتوحدون ، حينئذ يصبحون قادة للشعب"(74).

من هم اولئك الذين اختيروا اومن هم هذا العدد القليل الذي يخرج من حضن الشعب والذي يعبر عن طموحات الشعب؟

في الحقيقة ان هذه النخبة لا تعني اى كيان غير الحزب. ان هذه الأقلية التي يجب ان تتولى زمام السلطة و ان تكون مستمرا في ممارسة السلطة دون ان تمنح شيئا منها الى الشعب او اي كيان اخر . انها حامل "للعدالة المثالية" انها الحزب . ان هذه الأقلية تعني الأكثرية في نفس الوقت، لأنه بموجب تسالي* البعث و القومية الأشتراكية تعبر عن امال و طموحات الشعب.

وبما ان البعث هو المنظم و يأخذ على عاتقه العمل بالطموحات الحقيقية للأمة. لذا فأن لهذه الأقلية فقط الحق في ان ترى اين تكمن مصلحة الأمة. لأنه وبتمثيلها للمصالح الأنية و المستقبلية للشعب . لتصبح هذه الأقلية اكثرية ، يقول صدام في هذا الصدد: " كل حزب بما فيه حزب البعث العربي الأشتراكي ، يتكون من اقلية اذا ما قورنت بمجموع السكان.. ولكن عندما تعبر عن مطالب الحياة اليومية للشعب وعندما تقوم بجعل اعمالها تتطابق مع اهداف الشعب في الحاضر و المستقبل سيشكل هذا الحزب الأكثرية"(76).

ان الأيدولوجيات الشمولية القومية بالرغم من الأختلافات التي بينهما ، بسبب التباين في الثقافة والتأريخ و التكوين النفسي ، والمنطق ، الا ان موقفهم واحد تجاه هذه المسألة ، اذ يعتبرون الشعب كيانا فارغا ، لأنه غير قادر على التعبير عن طموحاته . نستطيع ان نستنتج مجمل فلسفة البعث والقومية الأشتراكية من هذا الموقف : ان لم يكن لدى الشعب ارادة ، يصبح الفعل السياسي والعمل السياسي دون معنى . اذا يجب اولا ان يكون هنالك ارادة خاصة تمثله : حيث تقوم بفرض ارادته الخاصه على تلك الظروف التي تخلق الأرادة العامة . ان هذه الأراداة هي مطلب النخبة الأيدولوجية والتي هي مطابقة مع المطلب الوحيد الذي هي ارادة القائد.

---

maieutic *تسالي خاص بالطريقة السقراطية القائمة على توجيه الأسئلة المتعاقبة

المترجم

حكاية اللوياثان البعثي

ان رؤية البعث حول "طموح الشعب" يوصلنا الى نفس منطق لوياثان هوبز و منه الى القومية الأشتراكية والفاشية. في الحقيقة ان لوياثان هوبز هو الجواب الشافي لطموحات قائد البعث . لنقوم وقبل كل شئ بشرح موجز لرأي توماس هوبز حول هذا الموضوع وعلى ضوء الوحش التوراتي والذي يذكره كتاب يعقوب حيث يقول:" لا يوجد قوة في الأرض تقارن به"[77].ان قدرة الأنسان هي ان تصنع حيوانا يدويا ... لكن بتقليد هذا العمل المعقول و الثمين للطبيعة والذي هو الأنسان يكون الفن قد نظر الى الأبعد .انه ذلك الفن الذي يخلق هذا الوحش الكبير الذي يسمى الجمهورية او الدولة (سيفيتاس باللاتينية) الذي ليس شيئا اخر سوى انسان صنعي، وان كان ذا قامة اعلى بكثير وقوة اكبر بكثير مما للأنسان الطبيعي، وقد صنع من اجل حماية الأنسان الطبيعي والدفاع عنه. السيادة فيه نفس مصنوعة ، مصطنعة، مادامت تعطي الحياة والحركة للجسد بأسره .. الثواب و العقاب اعصابه ، رفاهية جميع الأفراد و ثرواتهم قوته، خلاص الشعب وظيفته، العدل والقوانين عقله وإرادته الصنعيان، الوفاق صحته و الفتنة مرضه ، و الحرب الأهلية موته ، واخيرا ، المواثيق و التعاقدات التي رأست في الأصل تأسيس هذا الجسم السياسي و تجميع اجزائه و توحيدها تشبه (لنصنع الأنسان التي لفظها الله عند الخلق) [78].

ان هذا الكائن والذي رفع الى مستوى المراقب الكبير لصحة الشعب . يجب ان يضمن السلم في المجتمع الصنعي. ان الناس عند هوبز في الظروف العادية، لا يستطيعون العيش معا لأن الكل ضد الكل" اننا بحاجة الى سلطة تحافظ عليهم وان تنقذهم من الفناء ." اذ يظهر بأن مادام الناس يعيشون معا تحت ظل سلطة مشتركة تعاملهم بأحترام فأنهم يعيشون في حالة تسمى الحرب، وان هذا الحرب عبارة عن حرب من قِبلْ الجميع ضد الجميع"[79]. في ظروف كهذه ، لا يوجد مكان امن للمجتمع حيث لاشئ مجحف ولاشئ عادل اذ لا توجد قدرة مشتركة، قوة مشتركة، لا يوجد قانون، وحيث لا يوجد قانون لايوجد اجحاف اوظلم.[80] في ظروف لا تستطيع ان تكون عادلة " تصبح القوة والخدعة الفضيلتان الرئيسيتان. في المجتمع الطبيعي كل واحد حر في ان يستعمل قدرته وفق رغباته هو لأنه وفي ظروف الحرب " كل واحد حر بما يمليه عليه تفكيره"[81]. في ظروف تحول الأنسان الى ذئب الأنسان فالناس لا يقدرون على البقاء بصورة دائمية ان لم يفنوا بعضهم البعض. ان غريزة البقاء يجبرهم على الجنوح الى السلم . ولكي يعيشوا في السلم فهم مضطرون ان يبرموا اتفاقا فيما بينهم كي ينقلوا ارادتهم الخاصة الى شخص اخر . بهذه الصورة ان المجتمع الصنعي تظهر نتيجة للأتفاق بين الناس والتي تخول فيها السلطة الى شخص معين وهذه هي تلك الدولة التي لها الحق الطبيعي والمطلق على الرجال . ان المطالب غير القابلة للقسمة لهذا الكائن يحل محل مطالب المجموع . ان هذا الكائن يكون خارج الأتفاق الذي يبرمه الناس فيما بينهم.

"فهذا هو جيل هذا الوحش الكبير، بمعنى اخر لكي نتكلم عنه بأحترام ، ان جيل هذا الأله والتي هي غير خالد يحافظ علينا و يؤمن لنا السلم بدون ان نلجأ الى الأله

الخالد. لأن فضيلة هذه السلطة التي منحت لها من قبل افراد الجمهورية النشاط الذي منح له من قبل سلطة وان قوة بهذا الشكل و الرعب الذي تنشرها يجعل من الكل ان يوحدوا ارادتهم من اجل السلم الداخلي و ان يتعاونوا ضد العدو الخارجي"[82].
ماذا نستنتج من الذي مضى ؟ عند هوبز ان الناس خاضعين للتأثيرات العقلية . بدون شك عند استعمالهم لعقلهم يسيرون بأتجاه القبول للعيش ضمن الجماعة .ان لم يكن هكذا فستسود الطمع و التنافس والأنانية بينهم . و يحكم على اعماله من خلال اطماعه الذاتية"[83]. فالكل ينسجم مع طموحاته الشخصية . لذا يجب ان تكون هنالك رغبة قوية تحد من طموحه وان استوجب قمعه او استعمال القوة من اجل دوام المجتمع. ان هذا العرض يرينا بأن المجتمع يعيش في ظروف حيث يصفه احد الكتاب " من الشعور الضيق و الوحدة و الضعف او ظروف معقدة"[84].
التي هي بحاجة الى سلطة موحدة. سلطة تستطيع ان تحل المعضلات والمشاكل في المجتمع الذي يريد ان يعيش في السلم. و هذه الظروف المعقدة هي التي تحد من شخصية الرئيس و من فرض الرغبة المطلقة له.
لو رجعنا الى ايدولوجية البعث ، نستطيع القول بأن البعث ينطلق من نفس النقطة التي بدأ منها هوبز : ان الخطر الأني الذي يهدد بفناء الأمة العربية يجعلنا بحاجة الى قدوم منقذ: ان ايدولوجية البعث يصور وجود حالة من العداوة الخاجية الدائمية " تريد السيطرة على الأمة العربية. ان هذه البيئة هي التي تخلق عدوا ليس له وجود[85]. ان الأختلاف في الرأي والأنقسام تضعف القوة الدافعة للأمة و تحد من حركتها ونشاطها، يقول صدام في هذا الصدد:" بالرغم من اننا نتكلم على الدوام عن القوى الخارجية التي تحيك المؤامرات مباشرة ضدنا و ضد ثورتنا وتجاه امتنا العربية بصورة عامة و الشعوب المجاورة، ان الوسيلة الوحيدة للوقوف بوجه تلك المؤامرات هي الجبهة الداخلية"[86]. لكن المشاكل و الأمراض التي اصابت الأمة سببها ليست عوامل خارجية فقط بل داخلية ايضا. عندما يتحدث ميشيل عفلق عن رؤية البعث" يقول في الوقت الذي يقولون بأن الأمة العربية في حالة حرب،(.....)هذا يعني بأن البعث كان دائما غافلا عن التهديدات الجدية التي تجابهها وتجاه جسامة تلك الكوارث التي تؤذيه"[87].ويستمر ميشيل عفلق في الأشارة الى "ضرورة تربية كل شخص إستنادا الى هذا الظرف النفسي . انه لمن المفيد التأكيد بأن الحرب يأتي من العدو الخارجي و الظروف الداخلية السيئة[88]. " ان ظروف الحرب تنبع من الخطر الداخلي ، اذا فقبل كل شئ يجب ان تكون هنالك وحدة داخلية او هنالك حاجة اليها وهو ما يسميه صدام "بالمناعة الداخلية"
هنالك اسئلة عدة تفرض نفسها: من الذي يجب عليه ان يضمن من يتحمل مسؤولية ضمان هذا الدفاع الداخلي ، وعلى عاتق من يقع مسؤولية خلق الوحدة الأجتماعية لكي يعيش ويدوم مجموع الأمة في ظلها؟
ان هوبز وكما اشرنا اليه قد اجاب على هذه التساؤلات: انها سلطة الفرد الواحد وهذه السلطة" ليست مقتصرة على عمل محدد"[89]، بل تسير الى ما لا نهاية لأن الناس لربما يحرزون بجهودهم انتصارا على العدو الخارجي ولكنهم بعد ذلك وتحت تأثير تضارب المصالح ينقسمون و يعاودون الحرب فيما بينهم"[90]. كان

هوبز يقصد بذالك بأن الرغبة المطلقة للفرد واحد ضرورية جدا لأن هذه الرغبة المطلقة نتيجة منطقية للميل الشديد لدى الأنسان للحرب. لذا فمن وجهة نظره ان الوحدة الأجتماعية الفورية كانت بحاجة الى الرغبة المطلقة الى (اللوياثان) " للمحافظة على السلم والأمن والوقوف بوجه القلاقل الداخلية و العدو في الخارج"[91].

كيف يعرض ايدولوجيا البعث هذا الموضوع، فلنبدأ من تعريف البعث لمفهوم الأمة: "فالأمة ليست مجموعا عدديا بل فكرة تتجسد في هذا المجموع كله او بعضه، والأمم لاتنقرض بتناقص عدد افرادها، بل بتناقص الفكرة من بينهم. وليس المجموع العددي مقدسا في حد ذاته بأعتباره عددا بل بأعتباره مجسدا لفكرة الأمة أو قابلا لأن يجسدها في المستقبل، لأن الفكرة موجودة في حالة البذور في كل فرد من افراد الأمة، للفرد الذي تتمثل فيه هذه الفكرة ان يتكلم بأسم المجموع، والزعيم في حالات ضعف الفكرة وتقلصها ليس هو الذي يحظي بلأكثرية او الأجماع، بل بالمعارضة والخصومة ، وليس هو الذي يستعيض عن الفكرة بالعدد بل يحول العدد الى فكرة، وليس هو المجمع بل الموحد،اي صاحب الفكرة الواحدة الذي يفرق عنها ويطرح منها كل ما يخالفها و يناقضها"[92].

الا تساعد هذه الرؤية على ديمومة ارادة قائد البعث المطلقة ؟ لنقوم بطرح هذا السؤال بشكل اخر. عندما يقول عفلق بأن الحزب يمثل "ارادة الشعب" لأن مايقوم به يتطابق مع ارادة الشعب في الظروف الحالية والمستقبلية، عندما تقوم ايدولوجية البعث بدمج هذه الأرادة مع أرادة القائد، الا يجعل منها حالة ابدية، لوكانت الأجابة على هذا السؤال بالأيجاب وفي الحقيقة هي هكذا، هل ستكون للشعب ارادة ليعبرعنها بطريقة او بأخرى ، بدون نشك سنقع في حشو الكلام لو اعدنا الحديث عن هذا الموضوع لكن من الواضح ان القائد الذي يتبني" الفكر المقدس" للأمة ، ليس بالضرورة ان يكون حاملا لأرادة تلك القومية التي يمثلها . ولهذا اننا قمنا بالتأكيد في الصفحات السابقة على ان ارادة الشعب بالشكل الذي يعرفه البعث ليست ارادة حقيقية لأنها تأتي عن طريق الفكر الهيغلي "المطلق" والذي يضع الحدود" لنفسه " " بنفسه" لو اردنا ان نستعمل نفس المصطلح الهيغلي. ان الشعب عند البعث كما هو عند هيغل "جزء من الدولة ولا يعرف ماذا يريد"[93]. ان القائد هو ذلك الفرد الذي يعرف ماذا يريد: هو ذلك الفرد الذي يجعل من الشعب ذات طموح. بهذه الصورة فالأيدولوجية البعثية " تقوم بادماج ارادة الشعب بأرادة القائد. يجب ان لا ننسى بأن عند البعث، وايضا القومية الأشتراكية والفاشية ، ليس لأرادة الشعب من وجود. الشئ الذي له الوجود هو ذلك "الفكر" التي تتجسد في ارادة القائد

ان الفاشية الأيطالية ومن خلال نفس العملية المنطقية تصل الى ان يدمج ارادة الشعب بأرادة القائد . اذن فنظرة البعث من هذه الناحية ، لا يختلف كثيرا عن نظرة الفاشية الأيطالية. بالأخص عندما يعرف موسوليني الدولة فيقول الدولة[94]

" ليست عبارة عن مجموع عدد الأفراد الذين يشكلون اكثرية الأمة"[95] تقف موسوليني بالضد من الديمقراطية لأن الديمقراطية تعرف الأمة كأكثرية عددية. يقوم موسوليني بالغاء ديمقراطية الأكثرية العددية ويحل محلها الديمقراطية الفاشية

" المنظمة والمركزية والشمولية (الراغبة في السلطة)"[96].من وجهة نظر موسوليني ان الديمقراطية الفاشية تعبر بشكل مباشر عن "طموح الأمة" " لأن الأمة بكمها و نوعها تعبر عن ذلك الفكر القوي الذي يدخل في الشعب كوعي و طموح لعدد قليل او فرد واحد و انها تريد ان تدخل مباشرة كفكرة الى الوعي و طموح الكل"[97]. اننا نلاحظ بان مفهوم الفكر الهيغلي يحل محل المفهوم العددي لدى البعث و الفاشية ، الأمة او الشعب لا تتكون من مجاميع رقمية تطلق عليها صفة المواطن بالمعنى الذي تستطيع ان تشارك في الأعمال التشريعية والتي بموجبها يتم التعبير عن طموح الشعب[98]. بل انها تتكون من الفكر الذي يدخل في "ارادة قائد ما". ان "ارادة شعب " لا تتكون من تعبير نوعي عام لأن الشعب لايمكنه ان يهبط الى مستوى الكيان العددي. لو كان القصد من العددي هو تراكم عدة اشياء "عديمة الروح" ففي هذه الحالة لا نستطيع ابدا ان نقوم ببحث مسألة الأرادة ، ان الأمة تتكون من مجموع نوعي ، يمثل ذلك الفكر الذي دخل الى الأرادة المطلقة للقائد. ان القائد هو ذلك الشخص الذي يملك الأرادة المطلقة و هو الجامع للأعداد لكي يحولها الى "فكر" .

ان قدسية الأمة، على المستوى العملي ، تنبع من هذا الفكر الذي دخل الى ارادة الرئيس وهو المسؤول عن تحقيق " الهدف الأسمى" في المستقبل . ولكي تترسخ اساسها وتزدهر ، يجب على اعضائها فأن يتصرفوا بالشكل الذي ينسجم مع طموح الرئيس لو ضعف هذا الفكر ، اي لو ضعفت قدسية الأمة ، ان من واجب الرئيس ان يبادر وان يعمل من اجل تقويتها. ففي هذه الأحوال ان الرئيس ليس بحاجة الى ان يوضح للجماهير ، اوالشعب، فله كامل الحق(ذالك الحق الذي لا يقبل المناقشة) مثل "صاحب الفكر الفذ " ان يستعمل القوة ضد اي شخص يقف بوجهه .

لاشك ان هذه الرؤية وهذا الموقف ، يذكرنا بدروس هوبز حول القيام بجريمة الوقوف ضد عظمة صاحب السيادة :" يجب ان ينبه الناس على الجريمة التي هم بصدد اقترافها لو ارادوا التحدث بسوء على ممثل السيادة(...) اومقاومته ومناقشة سلطاته . او عدم ذكره بأحترام بحيث تقل من هيبته امام الرعية و يجعلهم يناصبونه العداء و تركهم للطاعة التي تشكل حجر الأساس لأمن الجمهورية. فهنا تظهر امامنا نقطة عقَدية والذي على مستوى المقارنة يذكرنا بالأمر الثالث"[99].

هل ان البعث يضع اية حدود لسلطات الرئيس والذي يرد ان يجعله في المستقبل ممثلا لقدسية فكر الأمة؟ ان القانون الأخلاقي "للفكر" هو عبارة عن ترجمة الأرادة اللامحدودة الى القوة. الحدود الوحيدة الموجودة هي تلك الحدود التي ترسم من قبل صاحب القوة. لأن هدف هذا الجهاز هو الدفاع عن كل شخص له هذا الحق في هذه الأهداف، وله حق استخدام الوسائل تحقيقها. ان كل فرد او كل مجتمع يتمتع بثقة السيادة له الحق ان يصبح مالكا لتلك الوسائل التي يراها ضروريا لبلوغ السلم والدفاع ."[100].

ان ايدولوجيا البعث الذي يريد ان يخلق نموذجا مثاليا " للمجتمع البعثي"، في الحقيقة انه يستعمل مبدأ الغاية تبرر الوسيلة بمعناه السلبي . وفي هذا الصدد نستطيع القول و بدون شك، ان منطق ماكيافيلي هو الذي يسيطر على الأئيتيك المهمة لرجل

البعث الألهي. لنرى كيف اصبحت المشكلة السياسية تؤلف مركز تفكير ماكيافيلي: كيف يمكن تأسيس دولة حديثة قائمة على الزجر وكيف يتم المحافظة عليه بعد بناءها ؟ لكي يحافظ الأمير على سلطاته فسيكون بحاجة الى "الفضيلة" . إلا ان هذه الفضيلة ليست لها اية علاقة بالفضيلة الدينية لأن هدفها هو الوطن الموجود على الأرض وليس في السماء. تلك الفضيلة التي يتكلم عنها ماكيافيلي تتعلق بالقوة والأمكانات؟ يريد الأمير ان يجلس على كرسي الحكم وفي نفس الوقت ان يحافظ عليها . يجب ان يلجأ الى قوته و امكاناته دون التقيد بأي اعتبار اخلاقي ، ان الأخلاق يراعى فقط عند استعمال القوة . لكن يجب ان يحسن استعمال الزجر عندما يكون هنالك حق في استعماله عندما يقال للحسن قبح و للقبح حسن . ومثلما يلاحظ جان جاك شفيليه ، لربما عمل هتلر بهذا المبدا عندما كان في 30 حزيران 1934 يقتل الناس يمينا و يسارا [101]. نرى لزاما علينا ان نقول بأن البعث و صدام حسين كانا يستعملان نفس المبدأ في قتل العراقيين عامة والشعب الكوردي خاصة.

يجب على الأمير وفي سبيل الوصول الى اهدافه ، ان يستعمل القوة و البطش ضد كل الذين يقفون ضد مخططاته" ان طبيعة الشعوب ليست مستقرة وان كسب رضاهم سهل ولكن من الصعوبة بمكان ان تبقيهم على هذه الحالة. يجب ان يحكموا بصورة تجعلهم ان يؤمنوا بالقوة بعد ان كانوا ينكرونها"[102]. ان هذه المعادلة وعلى مستوى المنطق السياسي والعملي تكون الأساس لأيدولوجيا البعث و من هنا تمهد الطريق امام الرئيس لكي يمارس القسوة في كل مرة يراها ضرورية .عندما يتحدث عن الصراع من اجل وحدة الأمة العربية، هذا تتحدث الأيدولوجية البعثية:"(.....) نحن نبقي على حبنا تجاه الكل ، عندما نكون شديدين تجاه الأخرين، نعرف بأن هذه الشدة هي من اجل ان نعود بهم الى حقيقتهم..[103].

ان هذا الموقف الأبوي للبعث والذي يعبر عنه بشكل منمق ، يمهد الطريق لأستعمال القسوة بشكل بحيث ترفض معها كل المبادئ الأخلاقية التي لها علاقة بالكيان البشري . ان الحكمة البعثية تميط اللثام عن اختلاط ارادة الرئيس مع القسوة "الأيجابية" . بهذا الشكل فالغاية تبررالوسيلة . ومن اجل تحقيق الوحدة المثالية"[104]، ان ايدولوجية البعث خفية كانت ام علانية تحرض على وسيلة واحدة فقط: القسوة. من وجهة نظر البعث ان القسوة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن "الحب" لأنها هدفها هواسترجاع "الذات الحقيقية" المنهارة. يجب ان ينظر الى قسوة البعث بصورة ايجابية لأنها تريد ان تحقق الروح العظيمة والتي هي عبارة عن الأمة. ان قسوة الرئيس ايجابية:" نستطيع ان نذهب الى ما ذهب اليه ماكيافيلي حيث يقول" يجب ان نذكر القسوة بأيجاب عندما نطلق كلمة الجيد على السئ (...)"[105].

حسب وجهة نظر ماكيافيلي ، عندما يريد الأمير ان يقيم دولة جديدة يجب ان يتظاهر بالرحمة والشفقة وليس الظلم. ولكن ان كانت هنالك ضرورة يجب ان لا يقيم اعتبارا لسمعته عند استعماله القسوة لجمع رعيته كي يلزمهم بأطاعته"[106].

ايهما احسن : حب الناس لك ام خشيتهم منك ، فالأحسن ان يحبوك وفي نفس الوقت يهابوك، وان كان صعبا الحصول على الأثنين فالأفضل ان يخشاك الأخرون على ان يحبوك[107].

ان مجمل منظري الحكم المطلق يستندون الى ذلك الطرح الذي يقول ان تحقيق مجتمع مثالي يحافظ على النهج والعلاقات الثابتة والمستمرة بين القيادة والخنوع، بين السلطة والرعية لايمكن ان يتحقق ان لم يكن عبر وسيلة فرض الأرادة المطلقة للحاكم المستبد . ولأنهم لم يتستطيعوا ان يثقوا بالأرادة الحرة للمواطنين ، كانوا يقترحون كل الوسائل و كانوا يستخدمون كل الوسائل في سبيل تحقيقه، ان اهمية الوصول الى السلطة و الحفاظ عليها ، لم تكن بحاجة الى كسب رضا المواطنيين و تألفهم . اذ كان التبرير الوحيد للقوة القسرية للفرد هو ان يعرف بأنه اله الأرض، بهذه الصورة فكان للرجل الحق الألهي المطلق في استخدام السطلة، كان له الحق ان يسيعمل القسوة في سبيل نشر رسالته السماوية. ومن خلال هذه الرؤية كانت سيادة الشعب تعبر عنها من خلال السيادة (الأمير)، وكيل الله على الأرض.

اذا فأن مبادئ البعث و القومية الأشتراكية والفاشية التي تستند الى القومية تتشابه كثيرا ، و كأيدولوجيا فالهدف هو ان "يكونوا فوق الظروف"[108]، وكذلك هو ادامة هذا العرف. من المؤكد ان الأيدولوجيات الثلاثة و مجمل الأيدولوجيات الشمولية ترجع السيادة للشعب. و من خلال هذا الفهم تحل الأرادة المطلقة للرئيس محل "ارادة الشعب" . اما بالنسبة لهتلر فلم يكن ينظر هكذا الى وجوده " من اعماق الجماهير من الضروري بل يجب ان يخرج ذلك الرجل الذي يحرك قوة الأيمان و يقوم بأظهار مبادئ صلبة(....) و يهز الجماهير ليبدأ نضالها من اجل فرض العدالة الوحيدة لهذه المبادئ ، الى الحد الذي يظهر فيه عالم من حرية الأعتقاد(...) من اجل خدمة العقيدة الواحدة و الأرادة التضامنية الواحدة"[109].

كيف يمكن لمجتمع ان يكون له وجود وان يمد نفسه بأسباب الأستمرارية ان لم يرتفع هذا "الخالق غير الخالد" ويصل الى مستوي التصوف! كان هتلر يمثل رمز امته و يجسدها. هتلر جعل منه اله حيث وصل به الحد ان يتم تقديسه وكأنه ممثل الرب[110]. كان هذا هو انتاج الأيدولوجية النهليستية للقومية البايولوجية النازية.

ماذا بشأن صدام حسين؟ انه ايضا نتاج القومية النهليستية العربية، وايضا صاحب "الفكرالفذ" انه التجسيد لفكر الأمة المقدس :" قم للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا " انها قصيدة نظمت من قبل احمد شوقي و لكن حورت معناها الى غير مبتغاها ، الى تعظيم صدام حسن . حيث كتب هذا البيت على لافتات في العراق لتقديس " صاحب "الفكر الفذ" صاحب الفكر الذي في طريقه الى ان يصبح نبيا وكان يطلق عليه اسماء كبيرة " الرئيس القائد" " قائد الثورة" " النموذج الذي يجب ان يحتذى" "قائد الأمة" " فارس الأمة العربية" " بطل التحرير القومي""الفارس المغوار"[111].اليس هذا الرجل الذي "لا مثيل له" هو هذا "الأله الفاني" هو الثمرة للنظرة النهليستية والتي تفرض نفسها بطريقة تنم عن الدهاء والعقل الراجح على الجماهير، على "المجموع العددي" اليست هذه السلطة المطلقة؟ لنواصل الحديث عن هذا الكيان اذ علقت صور الرئيس في كل الشوارع ، في كل المدارس، في كل الأدارات الحكومية ، في مراكز الشرطة، في الثكنات العسكرية ، في محلات الباعة والساحات. وحتى في البيوت و شرفات المنازل، في اماكن الأستراحة و قاعات استقبال الضيوف... الخ ، وفي مدخل كل قرية عراقية كانت

تنتصب صورة للرئيس، لم يكن لأي شخص ان يظهر على شاشات التلفزيون ان لم يطل من فوق رأسه صورة للرئيس ، كان يجب ذكر اسمه في كل المناسبات و الخطب .بأختصار كانوا بأسمه واقواله يفتحون عيون و اذان الجميع[112]. كانوا يحفظون الصغار في المدرسة القصائد التي تتحدث عن حب القائد. كانت صوره و مقولاته مطبوعة على اغلفة الكتب والدفاتر المدرسية و تنقش صوره في الساعات ايضا. عندما كانت تنظم المسيرات في الشوارع كانوا يجبرون الناس على الهتاف وترديد الأهازيج مثل" بالروح بالدم نفديك ياصدام".كان الرجال السياسين يقفون خاشعين عندما يكونون في حضرة صدام وعندما كان الوزراء يتركون القاعة لا يعطون ظهورهم للقائد وهم يخرجون [114] .

كان ممنوعا على المسؤولين السياسين والأداريين ان يضعوا رجلا فوق الأخر اثناء جلوسهم معه .

من هنا نستطيع ان نطرح سؤلا: ماذا تعني الوحدة العربية ، الدولة العربية، الوطن العربي، الأمة العربية الخالدة او الشعار البعثي (امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) والتي تتوقف على ارادة الشعب والتي بدورها متوقفة على "الأرادة المطلقة للرئيس" ؟ يقول صدام حسين ان التأريخ هو نتاج الأمة. و هذا يعني بأنه يكفي فقط ان تعيش جماعة معينة على قطعة من الأرض و ان تقرر كي تصبح و بصورة فعلية امة لأن الطبيعة هي التي تحدد لنا و بصورة اساسية ان نشعر بأننا امة ام لا(....) وعلى اساس هذه العلاقة : نحن العرب نكون امة واحدة وان ارضنا هي الوطن العربي كله"[115].

وكان هتلر ايضا يطالب بالوحدة على اساس مبدأ حق تقرير المصير والتي كانت متوقفة على ارادة الشعب الألماني[116].ولكن هذه الأرادة من وجه نظره كانت تعبر عن الأرستقراطية الدكتاتورية والتي يحكمها قائد الهي . رجل يقول بأنه بدأ العمل السياسي وهو مقتنع بأنه يأتي يوم يتسلم فيه مسؤولية غير عادية[117]، الا تذكرنا هذا بذلك اللوياثان الذي يتحدث عنه هوبز. و بهتلر الذي كان يدعي بأن الله هو الذي منحه الرسالة لكي يقود الرايخ [118]. ان مخاطر هذه الفكرة لا تكمن فقط في انها تجعله بأن يقول مايقول، بل ان يقولها و هو مقتنع بذلك . وماهو دور هذا الفرد ولأي امر يتفرغ؟ اليست القسوة فقط؟ وكما يقول "اننة اريندت" ان القسوة هو النتاج الطبيعي لمعارضة الفرد للجميع "[119]. وهذه هي نتيجة الفلسفة النهليستية التي يريد صدام ان يطبقها حرفيا.

الفرد والأمة و معارضة " الصديق ـ العدو "

من وجهة نظر القومية البعثية ، ان مكانة الفرد تقاس بمدى الخدمات التي يسديه للأمة . في الوقت الذي تختفي الحدود القانونية بين الدولة و الأمة تكون الأولى قد اخضعت بصورة تامة الى الثانية ، ان القومية البعثية لا تريد ان تصور حالة الفرد على اساس ذلك التعريف القانوني والتي تضع الحدود للحقوق والواجبات المشتركة. وبهذه الصورة يجعل من الفرد ان يخضع الى حكم اخلاقي تفرضها عليه الأمة . ماهي النتيجة المنطقية لذلك ؟ تلك العلاقات الموضوعية والعامة التي تضع الحقوق بين الكيانات الفردية و الجماعية تتغير الى علاقات شخصية مع الأمة. مدى الوفاء والأخلاص والأرتباط الفعال بالأمة. يجب ان يكون المقياس الوحيد لمدى نفع الفرد والمواطن. بهذه الصورة ان العلاقة السياسية للفرد بالكيان الأثني الذي هو الأمة ، تحل محل تلك العلاقات الذي تربط الأنسان بذلك الجهاز القانوني الذي هو الدولة. لكن وكما اوضحنا ، لو تم دمج معنى الأمة بالقائد ، بمعنى لو تم تعريف الأمة من خلال القائد ، فتتغير هذه العلاقات من الأساس للخنوع غير المشروط للأرادة المطلقة للقائد. يجب ان نذكر القارئ الكريم عندما يجعل من الأمة " فكرة مقدسة ام كيان الهي ، فأن القومية البعثية تؤسس لسابقة العلاقة التي تربط الفرد بالأمة.

ممن ماذا تتكون هذه العلاقة؟ يجب ان نؤكد بأن تلك العلاقة تتكون من ذلك الكيان عاطفي الذي يحتضن الوجود الكلي للفرد:القومية. وكما ان القومية هي التعبير الحقيقي للأمة الألهية ، وهي ايضا الهية ، اي ان الأمة و التعبير عنهما ، كلتاهما مقدستان والهيتان. ان القومية مقدسة[120] لأنها نتاج للأمة المقدسة. لذلك ان القومية هي الوسيلة الوحيدة الي توجه الأنسان نحو تحمل المسؤولية والتضحية و النشاط. ومن هذا المنطلق ، ان الأيدولوجية البعثية تكشف عن قانونها الأخلاقي و تجعل من الأنسان وسيلة لخدمة الهدف والذي هو الأمة. وان كل مظاهر حياة الفرد، طاقاته لتحقيق الشخصية ، كل التصرفات اليومية وكل الأعمال العفوية يجب ان توجه بصورة مباشرة ام غير مباشرة بوعي او دون وعي ، نحو هدف واحد : الأمة الخالدة.

يقول عفلق و على لسان البعث:اننا لسنا الا نتاج امتنا،(....) لنؤمن دوما بأن ما نعمله و ما نفكر به وما نستطيع تحقيقه في نفوسنا وفي المجتمع ليس الأ صدى باهتا، وليس الا حقيقة ناقصة، بالنسبة الى حقيقة امتنا الخالدة."[121].

وكان شارل موراس ، القومي و المنظر لخكومة فيتشي الفرنسية والتي كانت موالية لألمانيا النازية، كان يقول ان كل ماله وجود ونراه ونحبه انما قد وفرته لنا الأمة[122]. او ان اى قومي واع بدوره ، يقبل بتلك القوانين التي تقول ان المواطن الصالح ، يضحي بمصالحه الذاتية من اجل وطنه[123].

ان القومية لدى البعث تعني الحقيقة و الروح و مادة الفرد. ان الفرد هو انعكاس للأمة ولن يكون جزءا منها ان لم يستسلم لها دون اية شروط . ان قيمة الفرد مرتبط بشكل محكم بفضيلة الأمة. لذا يجب عليه ان ينسجم وبنكران للذات مع مصلحة الأمة .

لو القينا نظرة على فكر هيردر حول مفهوم "الجهازالحي" والذي اضفي عليه الرومانتيكية من قبل روزن بيك وهتلر[124]، نلاحظ بأن ايدولوجية البعث ايضا تسيس نفس المفهوم، اي تستعمله لغرض سياسي.

ان البعث يؤكد على ان الأمة هي مخلوق حي متداخل الأجزاء لايفصل عنها جزء الا و يفقدها الحياة"[125].الرابط بين الأنسان العربي والأمة العربية رابط " عضوي"[126].لامعنى للفرد من دون امة ولايمكنه تحقيق ذاته الا كعضو فيها، واذا لم يشعر بجذوره القومية فإنه سيعيش حياة عقيمة[127]. عندما تنكر ايدولوجية البعث الفرد، فأنها لا تعترف بوجوده وتقوم بطمس حقوقه الطبيعية، اي تقوم بأخضاع الفرد الى ضرورات الأمة الخالدة ، انها تضع واجبات الفرد وحقوق الأمة في اطار خاص . وتعتبر قوة ثقل الأمة الهية ، وان كل اعمالها تعبر عن عظمة الخالق . بهذه الصورة ان حقوق الأمة هي فوق حقوق الفرد وقانونها الأعلى هو فوق كل المصالح الذاتية." لنضع امتنا المثالية فوق كل اعتبار وفوق كل شخص" ولنضع حزبنا الذي هو صورة الأمة المثالية فوق اشخاصه و قادته"[128]. تقدر قيمة الأشخاص بقدر تمثيلهم لهذه الفكرة وبمقدارما يكونون من صورة قريبة منها و تعبيرا صادقا عنها، أي بمقدار اطاعتهم لها.

لاشك انه عندما يرفض البعث استقلالية الفرد و يستعمله كأداة للوصول الى هدف اخلاقي ، فلا يبقى مجال للشك بأن هذا الطرح البعثي يكمل نفس الخط المنطقي للقومية الأشتراكية و الفاشية ويديمه.

يجب ان لاننسى بأن زبدة النظرة النازية والفاشية تربط المكونات الأيدولوجية للفرد والمجتمع معا و يخضع الأول للثاني.

لنجرب و عن قرب هذه القراءة. من وجهة نظر هتلر "ليس للفرد وجود ان لم يكن ضمن مجتمعه العنصري"[130]. ان القومية الأشتراكية هي كالبعث حاملة رسالة خالدة للأمة وتنكر على الفرد حقوقه و تفرض عليه الخنوع للأمة. وتجعل من الأمة الواقع الأجتماعي الوحيد الذي يمكن للفرد اللجوء اليه . فمن وجهة نظر القومية الأشتراكية ان القومية هي "واقع كبير"[131] وتعبر عن العلاقة الداخلية بين الفرد والأمة ، علاقة الوسيلة و الغاية: والفرد يسخر كأداة لخدمة الأمة الألمانية وكما يقول هتلر "بكل معنى عظمة الكلمة".

ان هذا المنطق يشترك فيه مجمل الحركات القومية التوتاليتارية. وان الفاشية الأيطالية تضفي القدسية على الأمة ايضا" وتضع الحقوق الخاصة تحت رحمة عظمة الدولة ـ الأمة وسلطاتها. وكما يقول الفريدو روككو وزير العدل والثقافة و منظرالفاشية: بأن المجتمع الفاشي يستخدم الفرد كأداة من اجل تحقيق اهدافه الأجتماعية"[132].

من الملفت للنظر انه و بتطابق تام مع الرؤية القومية الأشتراكية و الفاشية، فإن هذه المعادلة البعثية التي تفرض على الفرد ان يمنح حياته الى "الأمة الخالدة" "الألهية" ومن ثم الى الحزب والقائد، فأنها وعلى المستويات المنطقية والأدبية والسياسية البعثية تذهب بنا الى اتجاهات اخرى. ان هذه المعادلة لا تقف عند حد بقاء الفرد في

حالة طبيعية، اي ان يمارس حياته كمواطن عادي ، بل يطلب منه ان يشارك بصورة فعالة في الحياة اليومية للأمة.
يجب الأشارة الى ان البعث يريد الأطاعة الفعالة وترفض الأطاعة غير الفعالة لأن هذه تعتبر خيانة لتلك المبادئ التي تؤكد على تحمل المسؤولية و التضحية و القتال و البطولة. ان المعادلة البعثية تفرض على الفرد في ان يفرغ نفسه تماما لنشاطات الحياة اليومية للأمة. مثل كل الأطر القومية التوتاليتارية. تريد ان يصبح الفرد امة ولكن لا يستطيع الفرد ان يصبح امة ان لم يشارك بصورة فعالة في تقديم واجب الأحترام للألهة. بهذا الشكل فقط يكون الأنسان العربي الذي يعيش في الوطن العربي حرا. لأنه لايكون حرا ان لم يشارك في حرية الأمة. ستصبح الحرية الشخصية واقعا وحقيقة فقط في حالة التي يربط فيها وعيه القومي بالحاجة المثالية للأمة."هبوا امرءا تستيقظ فيه قوميته ولم تتضح له ارادة هذا القدر فيقبل بها و يريدها اي رجل هو ؟ الى اي تأريخ ينتمي؟"[133].ان هذا التعبير الرومانتيكي الذي يدعو الى حرية الفرد. ولكن بشرط واحد: ان ينصهر داخل تلك الأمة الخالدة التي يحدد البعث اطارها. ان الأنتماء الفعال للأمة يبرر داخل كيانه الأثني لأن الأمة هي واقع وحقيقة اخلاقية. وان الفرد ليس الا تحصيل حاصل للخطوط التي ترسمها الأمة ، ان الأمة هي التي تؤثر على فعالية افعاله ، ويتم المحافظة على كل الأهتمامات ضمن اطار هذا الكائن الأخلاقي. كيف يمكن للفرد ان يصبح "رجلا "؟ (بمعناه الأنتروبولوجي). كيف يستطيع ان يعود الى التأريخ؟(التأريخ العربي). يجب عليه ان يكون هو المحرك و الدافع للتأريخ العربي" في حالة التأخر و الضعف تتضخم مسؤولية الفرد" اذ يرى بأن كل حركة من حركاته قادرة على الأضرار بأمته![134]. فأهتمامه بحياته الخاصة و نفعه الخاص لن يكون اهمالا للخدمة العامة فحسب ، بل في اكثر الأحيان موجها ضدها. فلن يعود الفرد خلية في جسم الأمة، اذا تقتات على غذائها في الوقت نفسه ، بل خصما لهذا الجسم لايقوى الا من ضعفه ولايسمن الا من جوعه [135].
من الجدير بالذكر ، ان لا القومية الأشتراكية و لاالفاشية لم تستطع ان تعلن الحرب مباشرة على الذين لا يشتركون في العمل السياسي القومي . لكن ايدولوجية البعث لم تقف عند هذه الحدود ولكي تبرر هذا التناقض بين " الصديق و العدو"، قبل كل شئ يقسم المجتمع القومي الى صنفين من المواطنين ، بمعنى انها تجعله شطرين: "عندما تتوضح الفوارق بين النوع الجدي من المواطنين، النوع الذي حرر نفسه من المصلحة و الشهوات ، وبين النوع الذي استعبدته المصالح (.....) مجرد هذا التقسيم ، مجرد هذا التوضيح بين النوعين، ينقذ الأمة من الغموض الذي تعيش فيه"[136].
فعندما يقوم بتقسيم المجتمع القومي الى قسمين: المواطن الكامل" و "المواطن الناقص "[137]، ينسى البعث بأنه ليس فقط يكرر المنطق النخبوي للفاشية التأريخية بل يحاول ايضا تيكيفها مع المجتمع العربي. يجب التأكيد بأن عقيدة الفاشية والتي هي خليط من سيمونيزم و برتيسم كانت تريد ان تخول مسؤولية التنظيم الأجتماعي الى العلماء" . ان الدولة المركزية والتي كانت من الفروض ادارتها من قبل العلماء

" كانت ستضمن الأستقرار للنظام الأرستقراطي وذلك بأستعمال القسوة لكي يخضع المواطنين لأرادة الحزب المطلقة. "عندما كان يقسم المجتمع الى فئتين، الأقلية التي كانت تزكى من قبل الرئيس واكثرية كانت تعتبر كتلة عديمة القدرة على فهم المصالح الحقيقية للأمة ، الفاشية كانت تصنف المواطن بموجب التقليد الأرستوطاليسي القديم "المواطن النشط والمواطن الخامل"[138].ان هذه النظرة الثنائية لم تؤدي فقط الى وضع الحقوق العامة و الخاصة للمواطنين تحت رحمة الحزب الفاشي ، بل اسست للنظرة المزدوجة " صديق ـ عدو في المجتمع الأيطالي .لاشك ان القومية الأشتراكية وعن طريق نفس التصنيف الثنائي كانت تقضي على اعدائها "الطبيعيين" و الأيدولوجيين ." وكانت تحدث وكأن هنالك الحاجة الى عدو لأثارة الرغبة والقيادة" بأتجاه الهدف العظيم[139]. كان هتلر يفكر هكذا لكي يحقق هذا الهدف العظيم ، كان يجب ان يسترد الحرية من المواطنين . ان الرايخ القومي والذي هو ادرى بمصالح المواطنين وكيفية المحافظة عليها بأستطاعته (او من حقه) كما يقول هتلر في ان يسمح لنفسه بأنتهاك حرية المواطنين وعلى نطاق واسع طالما ان هذه الأعمال ستصب في مصلحة عظمة الأمة "[140]. ولكن البعث عندما يقسم المجتمع الى قسمين، سيخرج وبمجموعتين مختلفتين عن الأطار الكلاسيكي للقومية الأشتراكية والفاشية .ان نظرية عفلق حول ثنائية المجتمع تجدد تطبيقاتها العملية في عراق البعث. لم يكن صدام حسين يريد ان يعثر على اعدائه بين الذين يعادون ثورة البعث ، بل حتى بين الذين يضمرون "النية" : ان الثورة تختار اصدقائها من بين اؤلئك الذين يحافظون على الثورة لتميزهم عن اعدائها الذين في طريقهم للأنحراف عن الثورة ومبادئها الأساسية والأصيلة ."[141].

هوامش الفصل الرابع

1- Benedetto Croce , in ? Renzo de Felice, Le interpretazation del fascismo, Editori Laterza, Bari, 1983,p.13.
2- Jean Pierre Viennot, op . cit ., p.13.
3- Wafik Raouf, Nouveau regard sur le nationalisme arabe, Bath et Nasserisme,L' Harmatan, 1984,p.15.
4- Louis Cavarre , La notion d' Etat dans le regime hitlerien, Taravaux juridiqus et economiques De 1' universite de Rennes ?Tome xiv,Rennes, 1935,p.33.
5- Ibid.p.33.

6- ميشيل عفلق في سبيل البعث ص 55.
7- نفس المصدر ص55.
8- ص55
9- ص55
10- ص56
11- ص56
12- ص 81
13- Adolf Hitler Mein Kampf, Nouvelles, editions latines, Paris, p.402,p.403.
14- Ibid.p.224.
15- ميشيل عفلق ، نفس المصدر، ص61.
16- ص، 61.
17- ص،97 .
18- ص،98.
19- ص،98.
20- ص99.
21- ص،83.
22- ص،100.
23- ص،100.
24- ص، 101.وانظر كذلك ص102.
25- ص103.
26- ص 102.
27- Adolf Hitler, Ibid.,p.285
28- Ibid.,286.
29-Ibid., 295.
30- انظراوكسيمورن البعث في القسم الثاني.
31- Kamel S. Abu Jaber, The Arab Bath Socialist Party, and Organization, Syrcuse Universiry Press,1966,p.15.
32- ميشيل عفلق في سبيل البعث،ص103.
33- ميشيل عفلق ، ص،103-104.
34- Adolf Hitler,op.cit.,p.291.
35- ميشيل عفلق ص،61.
36- نفس المصدر،ص،56.
37- نفس المصدر،ص،55-56.
38- المادة الثالثة من دستور البعث.
39- مشيشيل عفلق،ص،55.
40- Adolf Hitler ?op.cit.,p.289.

41-Edmond Vermeil,Doctrinaires de la revolution allemande (1918-1938),Fernand Sarlot , Paris 1039,p.237.
42- Adolf Hitler,Ibid., p.289.
43- Ibid.,p.289.
44- Ibid.p.397.
45-Ibid.,p.396.
46- ميشيل عفلق،ص،41.
47- ص،41.
48- ص،41.
49- Gustave Le Bon, Psychologie des foules, puf, Paris, 1963, p.17.
50- Ibid.p.17.
51- William Montgomery MacGovern, Form Luther to Hitler, The History of Fascist-Nazi political philosophy,Cambridge,Massachusett,1941, p.247.
52- Michel Aflak in , Jean –Pierre Viennot,op.cit.,p.162.
53- ميشيل عفلق في سبيل البعث،ص،81.
54- ميشيل عفلق،ص،81.
55- ميشيل عفلق،ص،81.
56- Adolf Hitler,op cit.,394.
57-Ibid.p.395.
58-Ibid.p.390.
59- ميشيل عفلق،ص،90.
60- ميشيل عفلق،ص،90.
61- ميشيل عفلق،ص،91.
62- ميشيل عفلق،ص،91.
63- انظر ميشيل عفلق،ص،56.
64- Gustave Le Bon ?op.cit.,p.56.
65- الوقائع ،20 ،العدد 37، ايلول 1977، ل208.
66- Hana Batatu op cit.,p.734.
67- انظر:
Emanuel Kant,Fondements de la metaphysique des mœurs, Ed.Delagrave,Paris,1982,pp.111-179.
68- Hanna Batatu, op cit.,n.48,p.735.
69- Jean Jacques Chevalier,Les grandes œuvres politiaus,de Macchiavel nos jours,Librairie Armand Colin,Paris,1966,360.
70-Adilf hiltler,Mein Kampf, op cit.,p.442.

71- Ibid.,p.445.
72-Ibid.,p.506.
73_ Benito Mussolini,Fascismo,in, Enciclopedia italiana di scienze e arti,edizioni istituto G. Treccani, vol. Xiv, 1966 p.849.
74- adolf Hitler,op cit.,pp.307-398.
75- صدام حسين في
Samir al-Khalil,op.189
76- Adilf Hitler,Ibid.,p.398.
77- Gean-Gacques Chevalier,op.cit.,p.53.
78- Thomas Hobbes, Le Leviatan, traite de la matiere,de la forme et du pouvoir de la republique ecclesiastique et civile,Ed.Sirey,1971,pp.5-6.
79- Ibid.p.124.
80-Ibid. p.126.
81- Ibid .p.129.
82- Ibid/pp.177-178.
83-Ibid.p.174.
84- لهذا الغرض انظر:
Jules Monnerot, Sociologie de la revolution,Mythologies politiques du Xxe siecle,Marxistes-Leninistes et Fascistes, La nouvelle strategie revolutionnaire ,1969,pp.532-547, pp 498-499.
85- Samir al-Khalil ,op.115.
86- صدام حسين في:
Ibid.,p.192.
87- Michel Aflak,in ,Ibid., p.252.
88- Ibid.,p.252-253.
89-Tomas Hobbes,op.cit.,p.175.
90-Ibid.p.175.
91- Ibid.p.184.
92- ميشيل عفلق في سبيل البعث،ص،156.
93- Edmond Vermeil,op.cit.,p.256.
94- من مجهة نظر البعث الأمة وليست الدولة.
95- Benito Musolini,Fascismo, op.cit.,p.848.
96- Ibid.,p.849.
97-Ibid.,p.848.

98- Marcel Prelot et Jean Boulois, Institions politiques et droit constituionel,Dalloz,Paris,p.638.
99- Thomas Hobbes ,op .cit., p.362.
100- Ibid.,p.184.
101-Jean-jaques Chevalier,op.cit.,p.21.
102- Nicolo Machiavel, Le prince (De principatus), Libraririe generale francaise,1962,ch.Vi,pp.46-47.

104- Samir al-Khalil, op.cit.,p.267.
105- Nicolo Macchiavel,op.cit.,p.66.
106- Ibid., p.117
107- Ibid., p.118
108- يعرف كارل مانهايم الأيدولوجيا بأنه عبارة عن مجموعة من الأراء التي تحاول ان تتجاوز الوضع الراهن، و لكن في الحقيقة لا تسنطيع ان تحقق ما تصبوا اليه اي انها يوتوبيا.انظر:
karl mannheim, ideologie et utopie, librairie riviere et cie, paris 1956
109- jaseph peter stern, hitler er le christanisme, gallimard, paris, 1939, p.82.
111- samir al-kalil, op.cit.,pp. 155-156
112- q.h. ottinger, culte de la personnalite et parti en irak,in, swiss review of world affaires,juin 1984, p.12.
يقول هذا الكاتب بأن خلال ساعة من البث الأذاعي تكرر اسم صدام مابين 30 الى 40 مرة.

113- samir al-khalil,op. Cit., p.156
114- ibid., p. 157
115- charles saint-prot saddam hussein, un’’gaullisme’’ arabe,ed. albin michel paris, 1987,P. 43.
116- louis cavare, la notion d’etat dans le regime hitlerien, ceconomeques de l’ universite de travaux jurudiques et rennes, tome xiv, rennes, 1935, p. 34.
117- charles saint-prot, op. cit., p. 16.
118- جمع فرانسوا بايل مجموعة خطب لهتلر والتي يقدس فيها نفسه انظر:
Francois bayle,psychologie et ethique du national socialisme, etudes anthropologiques des dirigeants ss, pug, paris, 1952,pp. 380-392.

119- hannah arendt, du mesonge a la violence, essai de politique contemporaine, calman-levy, 1972, p. 142

120- ميشيل علفق، في سبيل البعث، ص،111

121- ميشيل عفلق، ص،36.

122-raoul girardet, le nationalisme francais(onthologie 1871-1914), ed. du seuil, 1983, p. 198.

123- ibid., p. 201

124- كان هتلر يريد ان يجعل من هذا "الألية التي لا روح فيها " الى جهاز حي والتي تضمن صهر الفرد داخل بوتقة الأمة. بهذا الشكل كان يجعل من الأمة "كيانا خلاقا" او "الشخصية الجمعية" او النابغ الجمعي" ومن وجهة نظر روزينبرك ايضا كان الشعب الجهاز الحي والذي يسري دم الأفراد فيه انظر:

alfre rosenberg,le myth du vigntieme sielce, doctrinaire de la revolution allemande(1918-1938, op. cit., p. 250.

وكذلك انظر:

Adolf hitler, mein kampf, op. Cit., p. 732

125- ميشيل عفلق ، في سبيل البعث، ص، 131.

وكذلك انظر:

126- ibid. p. 732

127- ibid. p. 732

128- ميشيل عفلق، ص،36.

129- ميشيل عفلق ،ص،36.

130- edmondverùeil, hitler et le christianisme,op. cit., p. 72.

131 edmond vermeil, doctrinnaires de la revolution allemande , op. cit., p.336.

132- alfredo rocco, la dottrina del fascismo e il suo posto nella storia roma, 1925, p.115.

133- مشيل عفلق، في سبيل البعث ص115.

134- نفس المصدر،ص،150.

135- نفس المصدر،ص،150,

136- نفس المصدر، ص،64.

137- يقول ارسطوطاليس بأن" المواطن الناقص ليس هو المواطن الذي واجبه هو تأدية الوظيفة العامة انظر:

Aristote, La Politique, Librairie philosophique J.Vrin Paris ,1989,p.171(iii,2),p.189(iii,5).

138- Francesso Luigi Ferrari, il regime fascista italiano, edizioni di 193- j. t. delos, la nation, le nationalisme et l’ordre de droite, editions

140- adolf hitler, op. cit., p. 568.

141- samir am-khalil, op.cit., p. 49.

الفصل الخامس
افكار عفلق و القومية الأوروبية وعصر الفاشية

افكار عفلق و عصر الفاشية:

عندما يتحدث حنا بطاطو عن اصل الفكر القومي لمؤسس حزب البعث العربي الأشتراكي فأنه يشير الى انه وفي فترة وجوده في باريس ، كان ميشيل عفلق يقرأ بشغف و اهتمام لماركس و نيتشة و اندرية جيد و دستويفيسكي وتولستوي و رولاند رومان وبيركسن و انتول فرانز[1].وفي مكان اخر يؤكد بطاطو على ان هنالك صعوبات منطقية تظهر في ايدولوجيته والتي هي ناجمة عن انتقائية ليس لها ضابط.

من وجهة نظر بطاطو ان فكر عفلق عبارة عن خليط من قومية انسانية اساسا و من مظاهر فردية "التنوير" وديمقراطية اليعاقبة و مثالية شباب ماتزيني والموقف الطبقي لماركس و نخبوية لينين، يضاف الى هذا كله ، و قبل اي شئ اخر جرعة قوية من الروحية المسيحية والأسلام المفسر قوميا[2].

عندما يقوم معظم الكتاب بتحليل افكار عفلق لايريدون الأجابة على سؤال مهم الأ وهو : عاش عفلق لمدة اربع سنوات في فرنسا ودرس التأريخ وعاد الى سورية وقام بالأشتراك مع بعض من القوميين العرب بتأسيس حزب البعث في فترة كان تأريخ العالم يمر بمرحلة عصيبة.

مامدى تأثير هذه المرحلة على فكر عفلق ورؤية الأيدولوجية البعثية؟ مامدى تأثير الأفكار الفاشية في عصر كانت تنتشر فيه هذه الأفكار كسرعة انتشار بقعة الزيت؟ كان عفلق قوميا متحمسا و مندفعا وكانت طبيعة قراءته انسب من طريقة اي شخص اخر لجمع واختيار الأفكار الفاشية ، وتلك الأفكار التي كانت معروفة حينذاك على الساحة الأوروبية. في فترة كانت الفاشية وبالتحديد سنة 1926 في الحكم وكانت القومية الأشتراكية في طريقها الى الأنتصار، ان ايدولوجيات "الحقيقة المطلقة" (القومية) كانت تريد او تتمنى ان تكون المحقق العظيم "لأرادة الأمة" كان موسوليني يقول: ان قرن العشرين ، هو عصر جمع الأمة ،عصر الفاشية"[3]. وفي نهاية العشرينات توجهت الكثير من الأحزاب الفاشية الى ايطاليا للبحث عن علاج لأمراض "الأمة النقية" او"العنصر النقي" . كانت ايطاليا موسوليني المحقق السياسي الأول للعقيدة القومية، والتي اصبحت باكورة الأنتاج العملي للفكر القومي. حيث ان الفكر القومي كانت تنتشر رويدا رويدا وتصل الى داخل الحدود السياسية للأمم الأخرى. ففي هولندة القومية كانت الأشتراكية البيكوكية ، في بريطانيا الأتحاد الفاشي لئوسفالد موسلي، في رومانيا الحرس الحديدي لكورينو كودرينو، في بلجيكا الحركة الملكية الريكسمية (ليون ديكريل) ....الخ، كلهم كانوا يسيرون على هدى الفاشية في ايطاليا .عندما كان عفلق مقيما في فرنسا " كانت القومية الكاملة لشارل موراس تعي شيئا فشيئا "ذاتها القومي" وكانت تتبع ما يحدث من وراء الحدود[4]. في كل

مكان كان يردد وبصوت عال نشيد بعث الأمة وحدة الأمة . و كانت عبادة الوطن القومي تدعو وفي كل الأنحاء لخلق الرجل الفاشي." الكيان العالمي للقومية"[5] . كان ينادي من اجل اعادة النظر في الماضي، في التأريخ ، وكان المطلوب من الرجل الفاشي، من الأنسان الفاشي ان يلتفت الى الماضي وان ينظر الى التأريخ بحماس وعيون ثاقبة.
وبعد ذلك اصبحت ثورة القومية الأشتراكية مكملة للأيدولوجية الأممية الفاشية. شيئا فشيئا كونت المانيا النازية ثقلا سياسيا اكبر في العالم العربي. في الوقت الذي كانت اوروبا تنظر بحسرة الى انهيار الديمقراطية، كانت بعض الدول العربية تنظر الى هتلر وموسوليني والأيدولوجية الفاشية كنموذج مثالي " للديمقراطية الأجتماعية" . وكانت للدعاية القومية الأشتراكية والفاشية تأثير كبير وبالأخص على شباب العرب والتي كانت يوما بعد يوم تعبر عن ترحيبها للقومية وعن كرهها للدول الأستعمارية(فرنسا، بريطانيا)[6]. في سورية والعراق ، وفلسطين ومصر تكونت عدة تنظيمات كشفية كانوا يلبسون قمصان تشبه القمصان السود الهتلرية. وفي لبنان تكونت الفلنجية اللبنانية[7]، في مصرنشط القمصان الخضر برعاية الدكتور مصطفى الوكيل والذي كان من دعاة الفكر النازي[8]. في سورية كونت الكتلة القومية عدة فرق كشفية من اجل تنظيم القوى العربية. وفي مقرات الأحزاب كانت هناك شباب ملتزمين بالتدريب العسكري. كان الشباب القوميين يتربون على الأسس الرياضية و الفنية وكان مبدأهم هو "الطاعة، الألتزام، التضحية"[9].
المثقفين الذين تخرجوا لتوهم من المدارس والمعاهد كانوا منهمكين في التوعية الثقافية و الفكرية للكشافة الشباب ذوي القمصان الحديدية . وفي الشهر الأول من سنة 1937 اي بعد اقل من سنة من تأسيسه ، وصل عدد منتسبي هذه الحركة الى اكثر من مائة عضو والتي كانت تضم مختلف الطبقات والشرائح في المجتمع[10]. كانت خصوصية الشباب القومي عبارة عن رفع ذلك المشعل والتلويح به والغرض منه ايصال رسالة الشبيبة التي تتكون من ثلاثية، الحرية،الحق ،القوة [11].
في العراق وبصورة خاصة كانت المنظمات القومية تعمل تحت تأثير القومية الأشتراكية والفاشية لتحقيق وحدة العرب: نادي المثنى ، التجمع الطلابي القومي، جمعية الجوال العربي، نظام الفتوة، كتلة الضباط القوميين...الخ. و بالأخص الفتوة التي كانت تأخذ التوجيهات من المانيا الهتلرية و ايطاليا الفاشية . وايضا جمعية الجوال العربي التي كانت تقوم بتدريب اعضائها على السلاح والفروسية ليتعلموا الأطاعة و الضبط العسكري ..الخ.
في تلك المرحلة التي اسس فيها مشيل عفلق لعقيدة اسمها البعث وكان الأطار الأيدولوجي لحزب البعث العربي الأشتراكي في طريقه الى البناء. في تلك الأونة لم تكن القومية الأشتراكية والفاشية كمؤسسات حكومية هي التي تلفت انظار وطموحات الناس، بل ان النظرية القومية وخاصة القومية الفرنسية والألمانية كانتا لهما الأثر الأكبر على الكثيرين من رجال السياسة والمثقفين

الذين كانوا يريدون اعادة النظر في التأريخ واعادة قراءته على اساس افكار منظري القسوة والكيان الشمولي . اذ وضع موسوليني الحجر الأساس للعقيدة الفاشية بالأستناد الى افكار سوريل و بيغوي وديله غرديل وبالأخص من خلال الطابع العقلاني الذي اضفته هيغل على نظرية الدولة . وكان برتو وموسكة و رينان يشكلون الحجر الأساس للنظرة الأرستقراطية التي تقف بالضد من الديمقراطية. كان موسوليني متحمسا جدا لمقترحات رينان التي سبقت ولادة الفاشية وكان يقول : " ان العقل و العلم(.....) هما من انتاج البشرية ولكن اذ طلب بصورة مباشرة ان يكون الشعب هو مصدر العقل (....) اخشى ان تكون اخر كلمة لهذه الديمقراطية التي يتحدثون عنها هو خلق نوع من الوضع الأجتماعي في مجتمع مريض يكون همه البحث عن تأمين الرغبات القذرة للرجل الدنئ"[12].

ان نظرة هتلرالأرستقراطية والتي هي ضد المساواة وعنصريته كانت تنبع من افكار غوبينو و هوستن ستيوارت وتشمبرلين ...الخ بدون شك ليس قصدنا هنا ان نتحدث عن الأصل السياسي والفلسفي للقومية الأشتراكية او الفاشية الأيطالية لأن هذا يخرج عن نطاق بحثنا ، لكننا نريد ان نقول بأن في الوقت الذي كانت هنالك علاقة عكسية بين القسوة و الحرية. في الوقت الذي كانت تنظر الى القومية على انها الممثلة الوحيدة لنواة المجتع والدولة، في الوقت الذي كان فيه الساسة والمفكرون والمثقفون يبحثون عن تعريف لهدف الدولة والعلاقة بين الفرد والمجتمع على ضوء النظريات الكلاسيكية للقومية.

ففي هذه الفترة بالذات كان ميشيل عفلق قد بدأ حياته السياسية واضعا اللبنة الأولى للأيدولوجية البعثية وكان حزب البعث العربي الأشتراكي متأثرا بروح ذلك العصر عند وضعه لبرنامجه السياسي والفلسفي والفكري وكان يناضل من اجل الوصول الى الحكم وتحقيق نظريات الدولة والمجتمع القومي.

حالة التوازي هذه القائمة بينه وبين الفاشية التأريخية تجعلنا ان نقول بأن افكار عفلق والبعث لاتتميز بأية اصالة؟ لأننا نجد جوانب كثيره من هذه الأفكار وردت في المنظومة الفكرية للقومية الغربية. هل نستطيع ان نقول بأن ميشيل عفلق يقوم بمحاكاة منطق ليس هنالك اية تشابه بينهما وعلى كل المستويات ثقافية كانت او اجتماعية او تأريخية او سياسية ؟ هل بأمكاننا القول بأن ميشيل عفلق حاول أيجاد نوع من التفاهم بين هذا المنطق وضرورات المجتمع العربي؟ يتبين لنا بأن عفلق كان يريد ان يقوم بتوليفة للمنطق القومي الغربي.وان نقل محتوى النظريات القومية الغربية الى المنطق العربي ، يؤدي الى ايجاد تبريرات تدافع عن تلك الأيدولوجيات التي تواجه كل ظرف "بظرف مضاد" ان ما يقوله جول مونرو عن القومية الأشتراكية و الفاشية الأيطالية ينسحب على البعث ايضا: " انه يتصرف مع الأفكار تماما كما يتصرف اي كائن حي مع بيئته عندما ينفذ غذاءه و طرق الحصول عليه فأنه يكتفي بما يحتاجه فقط ويترك الباقي"[13].

نريد ان نقول بأن عندما يقوم عفلق و القوميون العرب ايضا امثال(سامي شوكت و ساطع الحصري و زكي الأرسوزي) بأحتضان القومية ورفع رايتها

كتعبير وحيد لأرادة المجتمع ، فأنه لا يستنبط محتوى هذه القومية من الواقع الأجتماعي والتراثي والتأريخي العربي،لأن وكما نلاحظ بأن هذا المحتوى قريب جدا الى ما كانت تطرحه القومية الغربية ومع ماكانت تدعو اليه وما تعتقد به القومية الأشتراكية والفاشية في سنوات مابين الحربين وكانت تعمل بها في التطبيق العملي. بأضافة الى مانوهنا اليه ، نريد ان نحلل بعض من تأملات الأيدولوجية العفلقية كي نفهم "احجية" البعث العراقي.

عفلق والقومية الغربية

في قراءتنا لأراء وطروحات عفلق نلاحظ انه يقوم بصورة منهجية و مكررة، بالهجوم على حالة الأنهيار والأنانية واللامبالاة التي تهدد الكيان العربي في وجوده . وفي كل مناسبة ينبه عفلق الأمة العربية الى العوامل التي تهددهم بالفناء ويلاحظ ايضا انه عندما يقوم بأنتقاد التفسخ الذي يعتري الكيان القومي العربي . فأنه يقوم في الأساس بتوجيه الأنتقاد الى انقراض و تفسخ تلك الروح ، تلك "القوة الخلاقة" ، تلك الطاقة الكامنة التي كان العرب يتمتعون بها في الماضي وكانت مبعث افتخارهم بعظمة ماضيهم . في الحقيقة انه شئ مثير للأنتباه عندما يذكرنا هذه المصطلحات بجوهر افكار الكثير من القوميين الغربين بالأخص فيخته وموراس وريتان وبريس . من بين هؤلاء القوميين نجد هنالك الكثير من التشابه بينهم . لو اخذنا اي من هؤلاء الكتاب القوميين، (وبالرغم من الأختلاف في الأفكار والبيئة الثقافية و الظروف التأريخية لكل واحد منهم) الا اننا نجدهم يشتركون في كراهيتهم للأجانب والتطرف في الأعتزاز بالماضي وانتقاد الأوضاع الراهنة بشدة وتصوير الوضع بحالة مأساوية . هذا هو التكوين الأساسي لكل قومي يُجعل منه رومانتيكيا تحت تأثير خاص ليتحول الى سند للحكم الشمولي . فلنقوم بتحليل لهذا المصطلح عن كثب.

من وجهة نظر عفلق ان القومية تقف خلف تلك القوة المغذية للقيم الأيجابية (القوة الخلاقة، الطاقة الحية، النشاط الكامن ، والروح العربية، النفس العربية ، الأمة العربية الخالدة،الرسالة الخالدة...الخ).

يحاول عفلق ان يقوم ببعث القوة الدافعة بالأستفادة من صور الماضي وان يعثرعلى إجابة للحالة السلبية التي تمر بها القومية ، قومية تستطيع ان تنهي حالة التفسخ والأنحلال التي اصابت الأمة في قيمها. قومية ابتدائية و قوية بحيث تستطيع ان تقف في وجه حالة الخنوع والأنحطاط الذي يعاني منه الأنسان العربي المنفصل والبعيد عن روح الأمة والمجتمع القومي، ان القومية كعلاج وحيد لتفادي الأنقراض، وكرد فعل ضد الفناء نجدها في افكار الكثير من الكتاب القوميين الغربيين منهم: بريس ، موراس، تين ،دريومون ، فيختة ...الخ . لكن تنظير عفلق للكيان المنهار هو اقرب الى رينان من جانب والى فيخته من جانب اخر . لكن يجب التذكير بأنه لايمكن التقليل من شأن القومية العفلقية و ابقائها فقط في حيزها الوثائقي . بمعنى القومية كرد فعل للأنهيار . لوكنا نفكر

بهذا الأتجاه، اي لو وضعنا القومية العفلقية في مستوى القياس المنطقي للسفسطة لبريس ، رينان ، فيختة، نضع الفكر القومي في مواجهة انهيار وانقراض حياة الأمة . يستعين عفلق بالقومية في مواجهة الأنهيار، ففي هذه الحالة يقوم عفلق بمحاكاة بريس و رينان وفيخته. لو سلمنا بهذا فأننا لانبقي على اية اختلافات بينهما ولانقيم وزنا للمسار التأريخي والسياسي و الثقافي...الخ . نستطيع القول بأن هنالك نقاط مشتركة بين المكونات النظرية للقومية العفلقية وفي الجوانب التي تطرقنا اليها وبين النظريات القومية الأوروبية. ماهي تلك النقاط ؟ نستطيع ان نلخصها كالأتي (1) الوقوف بوجه الأنانية و تردي ظروف حياة الأمة،(2) الدعوة الى ايجاد حل لهذا الوضع السلبي،(3) ان الحل لهذا الوضع يكمن في التطرف والأعتزاز بتأريخ الأجداد،(4) ان جوهر العبادة والحنين للأجداد عبارة عن القومية بصورتها العامة. ان عفلق والقوميين الأخرين ومن خلال هذا المشروع العقلي، يقومون بتعريف العلاقة بين الفرد والمجموع القومي. لنقوم وعن كثب بتوضيح هذه النقاط. كان موريس بريس (احد ابرز الناشطين الرئيسين الذين كانوا يعادون اليهود وهوالمؤسس الأول للفاشية) ينادي لقومية تستطيع ان ترفض حالة التدني و الأنحطاط التي يعيشه الشعب وتقف بوجه التهديد الذي ينبئ بفناء الأمة الفرنسية وذلك بعد هزيمتها سنة 1871 . ان مجمل اراء بريس الأخلاقية عبارة عن الدعوة الى عظمة وسمو القومية التي تمثل انتصارات الماضي. في الحقيقة ان مصطلح "الطاقة الخلاقة" تعبر عن الحب لعظمة الماضي ، بهذه الصورة ان توجيه النقد للظروف التي احاطت بالأنهيار الفرنسي حسب بريس(كما عند عفلق حول انهيار الأمة العربية" فأنها نتيجة لأنقاد التفسخ التي انتابت الطاقة الخلاقة للأمة")[14]. من هذا المنطلق يعبر بريس عن شكواه تجاه فقد المواطن الفرنسي لشخصيته:" اشعر بتدني مستوى المواطنة الفرنسية، انقرض، اي لم تعد تحتفظ بالنقاوة التي يعاضدنا" ان الذي اصابنا هو اننا فقدنا اساس حياتنا ، حقيقة واقعنا ، طاقاتنا"[15]. في مواجهة انفراط عقد المجموع القومي "[16]، لكي يجد بريس حلا لهذه النواقص والأمراض يلجا الى النشاط و الأندفاع و البطولات الغابرة " الطاقة الخلاقة" و كل القيم المرتبطة بها ، كلها تعتبر علاجا لضعف و تخلف الأمة وسبيل للعودة الى منابع "الأنا القومي" والتي تمثلها عظمة "القوة الغابرة". ان فائدة الشكوى من انحلال" الطاقة الخلاقة" هو انه يعلمنا كيف نزيح جانبا عبادة "الأنا" الفرد و ارجاع الأنا القومي . ان هذه "المواجهة " تهز "قوى الشعور" كافة من اجل مصلحة الأمة . بدون شك ان الأمة التي تولد كحقيقة عملية ، ليست الأمة بمعناه القانوني او كمنظومة فكرية[17]. يقول بريس ان الأمة الفرنسية ، المنقسمة تواجه النكبات ، انها تتكون من عدد من الأفراد المنعزلين لا يستطيعون ان يضعوا المصلحة العامة في المرتبة الأولى.وانتهى"انا" الفرد بصورة سيئة جدا"[18]، فيجب ان يجد اصالته في ديمومة الأجيال السابقة". نحن جيل ابائنا واجدادنا(.....) انهم في قلوبنا يفكرون ويتكلمون . اننا نشكل عنصرا واحدا(...) ان الفرد غارق في اعصار ويحاول ان يجد نفسه داخل اسرة ، داخل العنصر ،

داخل الأمة"[19]. ان الماضي ينبع من مبدأ اساسي و"المستقبل" يصبح ساحة للعمل التطبيقي لكيان موحد تربط الحاضر والمستقبل معا و يحافظ عليها." ان الذين لا يصلون الى تلك الكنوز الدفينة، والذين لا يتعرفون على حقيقة انفسهم كأستمرار لأبائهم واجدادهم وقلوبهم مفعمة بالأحترام والحب والخوف كيف يتسنى لهم ان يجدوا اتجاههم؟"[20].

ان كل معرفة انية ونشاط سايكولوجي للأنسان و نظرته تجاه الحياة يجب ان يتمحور حول النسل . الوعي العائلي(بمعنى الذي يتعلق بالأباء و الأجداد) يجب ان يجد نفسه في علاقة اساسية ." ان نظرتي تتمحور حول مسألة النسل. بهذا الشكل يجد بريس" نقطة الأرتكاز و موطئ قدم له في الماضي و المستقبل[21].

ولكن الذي يبدو اقرب الى مشيل عفلق من الأخرين وله تأثير كبير عليه هي اراء فيخته . نجد في القومية العفلقية مساحة واسعة لأفكار فيخته . يجب ان ننوه الى انه وبالرغم من ان معضلة التربية تشكل مركز اهتمام نصائح فيخته . الا ان الشكوى من الأنانية و التفسخ الأخلاقي والعبودية والضعف و الفساد[22] القومي تشكل الحجر الأساس للقومية وتشكل لغتها وعنصريتها. وفيما يتعلق بنصائحه الى الأمة الألمانية يقول فيخته:"ان الأنانية وصلت الى القمة . ماعدا حالات شاذة ، اصابت الأنانية كل الحكام والمحكومين واصبحت القوة الدافعة الوحيدة بالنسبة اليهم"[23].ان الأمة الألمانية ابتليت بالأجنبي و فقدت الأعتزاز بوحدتها القومية. فقد ان الأوان لمرحلة جديدة ان تأتي بعد عهد من الأنانية و سيطرة الأجانب. ان الأوان بأن تجد الأمة الألمانية وحدتها ورابطتها القومية. من اجل ان لا تصيب الأمة بالأنهيار الكامل، من الضروري جدا ان تحيي الأمة الألمانية وحدتها من جديد[24]. يجب ان تتحلى الأمة الألمانية بغيرة الرجال وان تنظر مليا الى مأساتها[25]. ان امة وصلت الى هذه الدرجة من الأنحطاط لا تستطيع ان "تحقق نفسها" وان تضمن وحدتها ما لم تدعو الى العلاج والذي هو عبارة عن خلق منهج جديد و متكامل[26]. يجب ان تصبح الأمة الألمانية شخصية متحدة ، ان ارادت ان تتخلص من الأنحطاط وان تبعث من جديد ولكي تخلق لنفسه شعورا عاليا[27]. ازاء هذه الحالة من الأنهيار هنالك فقط علاج واحد للأمة الألمانية: ازاحة الستار عن تلك العلاقة التي" تربط مابين المصلحة الفردية بالمجموع القومي"[28]. ماهي مكونات هذه العلاقة ، الجواب بدون شك هي القومية. قومية فيختوية مرتبطة بأيدولوجية فلسفية ، يضع الأعتزار بالروح الألمانية مقابل " الروح الفارغة " للوضع الراهن واحياء الروح مقابل الأنهيار والأرادة الأخلاقية و النقية والفكر الأبدي والألمانية مقابل حالة الأنقسام والفساد و الأنانية، بكلمة واحدة القومية الأبتدائية مقابل الأنقسام و انفراط عقد العلاقة القومية. من وجهة نظر فيخته انه بأمكان القومية ان تحقق ازدهارا انقى و اكمل و انسب في التطورالدائم لمبادئ الخلود الألهي في العالم"[29]. بهذا الشكل فإن على القومية الشمولية والحقيقية ان لا يسمح بخنوع الأمة الى حالة التخبط وانكسار ارادة ورغبة اثمن من الأحتلال الأجنبي. اذا كيف تعثر القومية على مصدر قوتها من الماضي؟ ذلك الأنسان الذي يملك احساسا بالنبل و لكي يديم

حياته وحياة خلفه بصورة جيدة ونبيلة على الأرض لمدة طويلة بعد مماته يجب "ان يحي نفسه وان يقوم بتكرار وجوده في جسد اطفاله بعد موته "[30]. يجب على الأنسان الألماني ان يعثر على روحه الحقيقية في الماضي وان يساهم وبدون توقف و بالأستناد على الماضي في "اصلاح عنصره". ان الخلود يكمن في الماضي. بهذه الطريقة فقط يستطيع الأنسان الألماني ان يولد من جديد" ولكونة خالد فأعماله تكون خالدة ايضا"[31].نجد معنى الأيمان بالخلود في الشعب الذي يجد اصالته فيه و ترعرع في احضانه. ان الخلود هو نتيجة لذالك القانون الخاص لطبيعة روح شعب الذي يكون في قلوب اولائك الرجال الذين يعيشون في المجتمع ويقومون وبدون هوادة وعلى الصعيد الروحي والطبيعي بأنتاج بعضهما البعض"[33] . الرجال الذين لا يطيعون قوانين الأمة الخالدة ، لايستحقون ان يحملوا اسم شعبهم لأنهم لا يؤمنون بتلك العناصر الأساسية التي تكون كيانهم. بصورة عامة ان الشخصية عبارة عن تطوير لتلك العناصر التي تصنع مبدا الخلود للفرد وتجعل منه ان يؤمن بأبديته.

لنقوم الأن بتقييم لفكر ميشيل عفلق القومي. من وجهة نظر عفلق ان القومية تشبه اسم شخص :" القومية كالأسم الذي يلصق بنا منذ ساعة ولادتنا ومثل قسمات الوجه المقدر علينا حتى من قبل ان نولد في وراثة ابوينا واجدادنا"[34]. متى انتبه الأنسان العربي الى قدره يخرج من حالة الحياة السطحية ويدخل في جريان الحياة الحارة القوية، فاذا رافق عنده هذا الأنتباه الى القدر، القبول به، اتخذت حياته اتجاها واتسمت بالرجولة[35]. عند عفلق وكما هو عند فيخته ان القومية هي قوة سياسية وتأريخية وتترك بصماتها بصورة ثابتة على الأحداث. ان الرجل العربي الذي يؤمن بهذا القدر لا يستطيع ان يبتعد عنه يجب ان تكون اعماله على مسرح الحياة خليقة بهذا القدر وان تكون مليئة بالبطولات"[36]. فأنه من العبث ايضا ان يحاول الأنسان التحلل من رباط قوميته التي احكمت شدها اصابع القرون"[37]. ان الرجل العربي عليه ان يجد اصالته في الماضي لأن حياته الحاضرة لاتمثل الا تشائما محضا . نستطيع القول بأن قومية (الأباء والأجداد) لميشيل عفلق هي اعمق بكثير من قومية بريس او فيخته. في كل كتاباته او المناسبات لا يتوانى عفلق من ذكر ان الفرد لا يساوي شيئا ان عاش عمره وهو لايدري انه فرع من نبتة تغور اصولها في احشاء الماضي " وتمتد اغصانها على امتداد العصور، ولا يعلم انه واحد من الملايين الذين تعاقبوا خلال القرون والأجيال فحرثوا الأرض وشيدوا العمران واعملوا الفكر واذابوا الأرواح وحاربوا و سقطوا صرعى الحروب ، كل ذلك ليكتبوا تأريخ امتهم سطرا سطرا، و ليرفعوا بنيانها حجرا حجرا، و ليوضحوا عبقريتها و يتابعوا رسالتها[38]. وان ابناء الأمة جاهدت و جالدت وصارعت العواصف و صمدت للنكبات ولعدة قرون لكي تخرجه من ظلمة العدم الى نور الحياة[39]. وان منح شرف مسؤولية الماضي لأعضاءه كان ثمرة لجهود المئات من الأجيال [40] ولكن في عصر الضعف و المذلة والتأخر والتفرقة لن تكون سهلة[41] وقد يكون القدراحيانا قاسيا ولكنه عادل ابدا، فهو لا يوزع البطولة الأبنسبة الصعوبة

ويصبح وسيلة لتحرير بلادهم من استعمار اجنبي والوقوف بوجه خطر التجزئة[42].

اننا نلاحظ بأن القومية العفلقية عبارة عن رد فعل لأزمة سياسية ووجود.

في ظروف التيه الجماعي ، تعطي القومية الأمل بالنجاة لأنها تستطيع ان تبقي على احتياطي القوة الروحية العربية وان تعطي معنى لحياة العرب . وكما اوضحنا ان اساس هذه القومية عبارة عن عبادة الأباء والأجداد . يتحتم على العرب ان يعيشوا في جو من الحب والعاطفة للأباء والأجداد. يجب ان يعطوا ظهورهم الى الوضع الراهن وان ينظروا الى المستقبل من خلال صور الماضي . ميتيمبسكوزي* القومية، تجعل من تحويل الأمة الى العائلة شرطا .

في الحقيقة اننا نلاحظ هذا التشابه الأصطلاحي في اراء مجمل هؤلاء القوميين الذين اشرنا اليهم . فإن هذه القومية تصبح في حد ذاتها شيئا مخيفا عندما يتم "تسيسها" وتوضع في قالب "رومانتيكي" . ان الكيان السلفي (الأباء و الأجداد) لهو شئ طبيعي ان كان القصد منه طرح بحث تأريخي، ولكن عندما يربط بقضية السلطة و التسلط يأخذ منحى اخر . يحاول بريس ايضا ان يجد حلا لأنهيار الأمة من خلال القومية ، ولكي تستطيع قوة العاطفة والشعور ان تتحول الى جزء عملي، يجب على الفرد ان يسلك الطريق الأبدي بالأستناد الى وعي الأجداد . بهذه الصورة تتحول الأمة الى عائلة واحدة. وفيخته ايضا يعد بحياة ابدية في النار الملتهمة للوطنية العظيمة[43]. لكن "قوة الأرض" تكرر نفسها عن طريق تحقيق وعي هؤلاء الأباء والأجداد والتي تمتد جذورها عبر التأريخ. ويجد رينان العلاقة بين الماضي و الحاضر في الذاكرة" ان عبادة الأباء والأجداد حق مابعده حق، هم الذين جعلونا ان نكون هكذا"[44]. ولميشيل عفلق في هذا الصدد نفس الكلام و يكرر نفس الفكرة" فالقومية عبارة عن ذكرى حية"[45].ان القومية هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته، لأن الوطن بيت كبير والأمة اسرة واسعة"[46].

ان قومية جورج فاشر لبوز وعنصريته البايولوجية و"نظرته النخبوية" للتأريخ ومفهوم "الأختيار الموجهه" تأتي نتيجة للنظرة الأساسية للمجتمع" انها تظهر كأستمرار للأباء والأجداد"[47].ان القومية لبوز البايو سياسية تغرس جذورها في مفهوم "الأمة ـ العائلة" انها تجد نفسها في الأجيال الغابرة ويقول لبوز في هذا الصدد "الأمة(...) هي عائلة كبيرة ذات حدود معينة. الأحياء والأموات والأجيال اللاحقة يتعاونون فيما بينهم . ان الأمة تتكون من العائلة ، وبالتحديد انها تتكون من عدة عائلات متضامنة ، ان الأمة عبارة عن المجموع البايولوجي ، من شئ مادي وليس من "استعباط قانوني"[48].

يحاول لبوز" ان يرينا شخصية الأمة الحقيقة في "واقع بايولوجي" [49]. ان الأمة وكمجتمع مؤسس على رابطة الدم تقدم كنموذج لعائلة كبيرة ومجموع اولئك الأشخاص الذين منحدرون من عروق مختلفة ويتحدون عن طريق العلاقات الأسرية المعقدة يجب ان يؤثر عليهم من خلال ابائهم واجدادهم. لأن الأمة تشتمل على احياء اليوم واموات البارحة واجيال نهايات العصورالقادمة ، لأن

الأمة لها الأرادة "الدائمية والعالمية" اي الوحيدة التي لها امكانية البقاء للحفاظ على ديمومة الأباء والأجداد"[50]. من وجهة نظر لبوز أن " تعفن" الأمة كمجتمع بايو تأريخي هو نتيجة للأختلاط والتداخل بين الأجناس المختلفة." انتحار الأمة تأتي من خلال تناسل الأجنبي الذي يختلط مع السكان الأصليين. وبالنتيجة يؤدي الى" الأزياد في العناصر المفسدة للصفات الوراثية او الأفساد العرقي للعناصر الأصيلة"[51]. من خلال هذه النظرة العنصرية ، يصل لبوز الى تعريف للفرد:"لايمكن للأنسان ان يصبح عضوا في الأسرة او الأمة بقرار سياسي(...) ان العنصر و الأمة هما كل شئ". ان الأمة فقط هي الحقيقة الأجتماعية ولا قيمة للفرد انه فقط شئ مجرد ، انه استعباط"[52]. ان الأمة تقوم بوضع الضوابط لأصالة العلاقات بين الأفراد ، ان الأمة تمثل الصورة الحقيقية للفرد.

في سنة 1940 يتعرض مشيل عفلق بالنقد الى جميع النظريات القومية ويهاجم الذين ينظرون الى القومية كثقافة. وفي محاولة له للأجابة على كافة المحاولات السابقة للتعريف الثقافي للقومية يقول:" اخشى ان تسف القومية عندنا الى

---

*تلك العقيدة التي ترمز الى ان نفس الروح التي تدخل الى اجساد عدة الأشخاص او الحيوانات.

المعرفة الذهنية والبحث الكلامي فتفقد بذلك قوة التعصب و حرارة العاطفة(...) وكاني بهم يعلقون ايمانهم بالقومية على درجة التعريف من الصحة والقوة. مع ان الأيمان يجب أن يسبق كل معرفة و يهزأ بأي تعريف، بل انه هو الذي يبعث على المعرفة و يضئ طريقها(....)القومية التي ننادي بها حب قبل كل شئ . هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته(...) وكما ان الحب لا يوجد الا مقرونا بالتضحية فكذلك القومية، و التضحية في سبيلها تقود الى البطولة(...) ان الذي يحب لا يسأل عن اسباب حبه . و اذا سأل فليس بواجد له سببا واضحا. والذي لا يستطيع الحب الا لسبب واضح يدل على ان الحب في نفسه قد فتر او مات"[53].

ان هذه الأراء قريبة جدا من طروحات فيخته حول القومية. من المؤكد ان فيخته عندما وضع تعريفا لحبه للقومية كسبيل لحث الألمان علىالنضال ضد المحتل، ترك ساحة الفلسفة من اجل التفرغ للسياسة النقية .من وجهة نظر فيخته ان القومية هي الطريق الوحيد لأحياء الوحدة بعد قرون من المأسي و العذابات و التشرذم السياسي، من اجل تكوين " ارادة سليمة وثابتة و منتجة" و "تأمين" ديمومة الأمةالألمانية" اقترح فيخته ان يحل حب القومية محل الأنانية و حب الفرد بين الألمانيين." يجب ان يحل حب اخر والذي هو مرتبط مباشرة بالأشياء الأيجابية محل تلك الأنانية السيئة"[54]. ولكي يتمكن هذا الحب من هز الخلايا الداخلية للفرد الألماني ويتكاثر الى ان يصل الى "اعماق وجوده" يجب ان تستيقظ كل قواه. ان الوطنية عبارة عن حب الفرد لأمته[55]. ان الفرد بحد ذاته

يتحول الى الأمة و تظهر شخصيته الأبدية عندما" تندمج تلك العلاقة بصورة تامة مع الأمة". ان خلود الأمة في التطبيق العملي يأتي من ربانية هذه العلاقة العاطفية. حب الوطن هو الذي يجعل من الفرد عضوا "فعالا و مؤثرا" له القدرة على التضحية من اجل شعبه"[56]. لكي يحرر امته يجب على الفرد الألماني ان يبدي استعداده للموت من اجل ان تعيش امته وان يمنح السعادة و الدوام لهذا الوجود الذي كان امله الوحيد[57]. وإلا فهل يوجد شئ اخر يدفع بالألماني الى ان يقوم بنضال مرير وان ينتصر على "القوة المدافعة"؟ لكن الأيمان بذلك "العنصر الأبدي" والتي هي الوطنية . ان الأيمان، في التأريخ الألماني كان هذا الشئ المهم الذي استطاع ان ينفذ الى اعماق الألمان وغدا الأساس لأمالهم في تحقيق السعادة الأبدية"[58].

القومية و"الحل الرباعي" العفلقي

ان القومية هي الأيمان والحب قبل كل شئ. ماذا يمكننا ان نرى خلف هذه النظرة؟ عندما يقال بأن القومية هي ايمان، ذلك يعني سمو القومية الى مستوى الدين لتتحول بعده الى مبدا عظيم يتحتم على المجتمع القومي ان يؤمن به ايمانا مطلقا. لأن الأيمان في جوهره هو نوع من المعرفة بحيث لا يمكن اكتسابها مطلقا عن طريق التجربة اوالمنطق. ان الأيمان الذي يخضع و بدون اية شروط للتنبوء الذاتي بعيد جدا من ان يعرف من خلال مبدأ السجال والأثبات. اذ يتعامل ميشيل عفلق مع الأيمان القومي كتعامله مع الأيمان الديني. من وجهة نظره ، ان القومية هي شعور يتم التأكيد منه عن طريق الأيمان فقط . ان قيمة الأيمان تعود الى شكل وقانون الحركة التي يتم تعريفها من خلال القوى الميتافيزيقية وتضع الحدود لها وعن طريق هذه القوي تتم ضمان وجود المجتمع القومي. ان القومية هي التي تحدد تكامل وحدة الأعضاء ومتطلباتهم و اقتراحاتهم ،لأنه بأحتضان الأيمان للقومية، تزداد قيم التمسك بالأمة و تصبح التضحية التزاما اخلاقيا . فمن هذه الزاوية يمكننا ان نرى القبول غير المشروط للأيمان الرباني بالمجموع القومي عن طريق غياب المعرفة والمنطق . ان المجتمع القومي يجب ان ينظم نفسه على اساس من التوجه بحيث لاتتمكن لا المعرفة ولا البحث المنطقي تبريرها . يقول ميشيل عفلق" ان الأساس الخالد لعملنا ، الأساس الذي لا يتبدل ولا يستغنى عنه هو الأيمان ، والتفاؤل مظهر بسيط من مظاهر الأيمان"[59].
الملفت للنظر، ان كافة القوميين الشموليين ينظمون انفسهم على اساس هذه النظرة الفلسفية لماذا؟ لأنهم يؤمنون بأن قدسية النضال يجب ان تنبع من هذا الأيمان .لأنه هذا يدفع بالمرء ان يعمل بنكران ذات وان يخضع للفكر القومي في الحدود المطلوبة. يريد مشيل عفلق مثل موسوليني و هتلر ان يحول المجتمع الى مجتمع سياسي، يغير اساس الأيمان . بهذا الشكل فأن الأمة تصبح مرتبة دينية غايتها السمو بالمواطن على كل الأعتبارات الخاصة من اجل خدمة الفكر القومي. مثلا . ان موسوليني يجعل من الأيمان اساسا للمجتمع يستطيع من خلاله الفرد ان يعبر عن اعماله و ان لا يشعر بالألم . ان لم تكن الفاشية عبارة عن الأيمان، كيف تتمكن ان تمنح البطولة(ستويسيزم)* والجسارة لأعضائها"[60]. من وجه نظر الفاشية ، ان المجتمع كتنظيم روحي يجب ان يتكون من مجتمع سوسيوسياسي حيث يكون اعضاءه في علاقة صميمية مع القانون العظيم والذي يعبر عن مجتمع الأيماني. ان هتلر يقوم بتعريف مفهوم الشعب (فولك) من خلال نظرة عالمية اساسها الأيمان " مجتمع العمل والنضال"، وكما كان يقول ، كان يجب ان تغرس جذورها في رؤية دينية عميقة. ان الفكر القومي لم يتمكن ان يتحقق ان لم يكن من خلال مجتمع سياسي مؤمن ."ان الأيمان يساعد الأنسان ان يرتفع الى مستوى اعلى من مستوى الحياة الحيوانية وفي نفس الوقت يشارك في تقويته و ضمان وجوده"[61].ان خلود الجسد الألماني ، والحياة الأبدية، ووجود الأنسان "العظيم" انها جميعها كلمات

ولا تعطي معنى حقيقيا ولا تستطيع ان تؤثر على الأنسان ان لم تحصل على قوتها و اندفاعها من ايمان قاطع. بمعنى ان لم تنبع قوتهم من ايمان قطعي ليس بحاجة الى البرهان لأنه صحيح بدون اية شكوك."ان الأيمان هو اداة تملأ كل المجالات وتمهد الطريق امام المفاهيم الدينية الأساسية"[62].يجب ان تؤمن ادوات الكفاح للمجتمع القومي بحيث يصبح من الممكن جمع الأفراد روحيا" في نفس الأعتقاد ونفس الرغبة[63]. ان لم يكن هكذا فليس هنالك اية فائدة من القيم العملية للعلوم او اية منظومة فلسفية لحياة شعب ما وتصبح تعصبا من دون تأثير. ان المسألة الرئيسية التي يجب على القومية ان تواجهها و ان تجد لها حلا" هي ان التحول الحقيقي في نظام فلسفي على المستوى المثالي الى مجتمع الأيمان والنضال ويتم وضع ضوابط محددة لها، و منظم بشكل صلب ، محركه هو اعتقاد واحد"[64].

لنقوم بتحليل جانب اخر من نظرة عفلق . ان القومية هي حب واي محاولة لوضعها في اطار ثقافي تعني باننا نجعل منها شيئا مجردا و بعده " نجردها من قوة العصب وحرارة العاطفة" . ان هذا يعني بأن القومية يجب تستمد قوتها من العاطفة العمياء ، من اندفاع داخلى والتي تمد جذورها في اعماق اللامنطق. اذا فيبني ميشيل عفلق النظرية القومية علي اساس تلك القوة والغريزة الميكانيكية التي تحرك الأنسان الى ان تصل الى اعماق روحه. وكما كان يقول عمانوئيل كانت ان الحالة العاطفية شعور " يمنع الأنسان من الوصول الى التفكير" و يرمي به الى اعماق اللا تفكير [65]. ان نظرته كانت لها معاني عميقة في مجال فلسفة التأملية ، وليس لهذا علاقة مباشرة بهدف بحثنا . لكنها يساعدنا في فهم اكثر للفكر السياسي لعفلق.

ان نظرنا من هذه الزاوية الى رؤية ميشيل عفلق . نرى بأنه عندما يذكى نار العطف ، يريد ان يغير اساس الأنتماء الى المجتمع الى حالة عاطفية قوية لها وظيفة اخلاقية . بأبعاد القومية من المعرفة المنطقية، يغير عفلق الشعور والعاطفة الى اداة قوية ويجعل منها رغبة ماكيافيلية والتي عندما تصل الى اعماق اللامنطق ، تقوم بتحريك فضيلة الأندفاع البطولي في قلوب الجماهير ، وعلى اساس من طاقة الحركة اللامحدودة ، يريد البعث ان يدفع بالفرد لكي يعمل من اجل خارطة المجتمع القومي .يريد عفلق وعن طريق هذه القوة المحركة ان يهز جسد الأمة العربية و ان يقتل فيه التفكير المنطقي وان يرمي به الى احضان اللامنطق . وبنفس الطريقة وضع هتلر الحجر الأساس للعقيدة القومية الأشتراكية على اساس من العاطفة الجياشة و ليس على اساس من البانوراما الثقافية"[66].

---

* عقيدة قديمة امنت بها الفلاسفة والتي تقول بأن السعادة تنبع من الفضيلة. ولكن موسوليني يستعمل هذه الكلمة للدلالة على البطولة.

كانت على القومية الروحية لهتلر ان تبتعد عن كل "تنظيم نظري" لكي تستطيع ان تؤثر على "قوة سحب اكبر" [67]،(بمعنى القوة التي بأستطاعتها ان تدعوا الناس الى الأنحراط في التنظيم القومي الأشتراكي) وان تقوم بأثارة الرغبة للعنف في اعماق الأنسان . كانت على القومية النازية العاطفية ان تقوم بخدمة لولادة الكاملة للروح القومية المتجانسة . كان عليه ان يؤمن بأستخدام السلاح لأحضار هذه الروح لتحقيق الأنتصار للفكر العنصري واعلان "الحرب ضد النهج المحافظ" [68]. كان ئوتو شتراسر يهاجم الماركسيين لأنهم برأيه يريدون ان يدفعوا بالجماهير على مستوى عملي الى احضانهم وذلك عن طريق الجدل العقيم . من وجهة نظره كان الماركسسيون لا يعرفون بأن فقط قوة واندفاع الروح فقط بأمكانها تحريك كل الأشياء وكان يقول بهذه المناسبة " انتم الماركسيين تنادون دائما لعقيدة كارل ماركس (...) ولكن اين صحة تلك الأحداث والتي تحاولون أثباتها منذ ثمانين سنة على الصعيد العملي والثوري الأجتماعي ؟ انتم تقومون بخطأ جوهري عندما تنكرون الجسد والروح، عندما تنسون بأنهما المحرك لكل شئ"[69].

بهذه الصورة ايضا تدعو القومية العربية الى قوة و اندفاع الروح العربية. بحسب عفلق ان الفقر هو قبل كل شئ فقر الروح، اي ان فقر الروح هو قبل فقر المجتمع. لذا يجب ان يؤثر على العاطفة الكامنة خلف الروح القومية ، لايوجد هنالك اي اطار ايدولوجي اخر بأمكانه ان يدخل بتلك النشاط والهمة الى عمق الوعي السياسي اذا ما قورنت بالقوة العاطفية للقومية "الأجداد الروحيون". ان ميشيل عفلق واع تماما بعدم امكانية اية ايدولوجية احراز انتصار شامل كالذي حصل عليه البعث ان لم تدغدغ عاطفة واندفاع المجتمع. المهم عند البعث ان يحقق البرنامج الذي يؤدي الى تحقيق اهدافه: خلق المجتمع البعثي. باسم هذا البرنامج يهاجم عفلق كل تحقيق وتمحيص ثقافي للقومية. وكان هتلر ايضا يقول:" ان التكنيك الجيد في المجال السايكولوجي للجماهير تكمن في الأبتعاد عن كل تحليل هدفه اثبات صحة شئ ما بل يجب بحث الهدف النهائي الكبير"[70]. ان حشو عقول الجماهير بالتحليلات الطويلة بين شيئين ذو تشابه ظاهري و تباعد في المحتوى تؤدي الى فقدان ما يسميها ايميل دوركايم الظروف القوية والمحددة للوعي الجمعي"[71]. من اجل الوصول الى "الهدف النهائي للأمة" يجب ان يفكر في الوحدة والأعداد الكامل لتلك الطاقات المنتجة التي تمهد الطريق امام اعلاء شرف الروح العربية(عند عفلق) الروح الألمانية (عند هتلر). ولكن هذا لا يتم الا عبر ما يسميه خبير النازية(مارتن بروزات) الأحياء" تأصيل الوعي الجمعي والطاقات القومية"[72].

الجدير بالذكر ان جعل القومية دينية او الهية لكي يتم بعدها رفض كافة المحاولات لجعلها مشروعا ثقافيا. تضفي على القومية طابعا اسطوريا،لأنه لو

اردنا ان نستعير اصطلاحا افلاطونيا نستطيع القول بأن الأسطورة عبارة عن رواية ذات علاقة بالألهة، لها علاقة بكائنات الهية وابطالها. الأسطورة ليست بحاجة الى البرهان او التحليل المنطقي. الحقيقة هي ان مشيل عفلق يريد و عن طريق الأسطورة ان يمنح معنى لحياة العرب. يقول جورج سوريل بأننا لايمكننا ان ندحض الأسطورة ،لأنها في الأساس مطابقة للفكر الجمعي وتعبر عن حركة هذه الأفكار. لذا لايمكن تحليلها وبأن اقسامها يؤلف وحدة لايمكن استعمالها على صعيد السرد التأريخي"[73]. بحسب سوريل ان الناس يشتركون في الحركات الأجتماعية المهمة، يقومون بتأدية اعمالهم بصورة تنسجم مع الأسطورة والتي تعتبر دافعا لشجاعتهم وتؤمن لهم البطولة"[74]. ان الأسطورة تشبه تصورات عدة تتحرك كلها كوحدة واحدة" وتؤدي دور "الحركة المبدعة وتحرك الأنسان[75]. لذا يجب ان تطرح القومية وكأنها اسطورة. ان تم اللجوء الي العلم والثقافة في التحليل الحرفي للقومية فسيكون ذلك بمثابة خنق لها ، وانذاك تفقد اسطورة البعث قوتها، يجب الحفاظ على هذه الأسطورة لأن فقدانها تعني ، تلاشي تلك الحركة التي تغذي الأيدولوجية البعثية. في الحقيقة ان تلك الأسطورة القومية تمنح قيمة اخلاقية لثورة البعث وكانت هذه الأسطورة الثورية (العنفية) والتي كان سوريل يريد ان يجعل منها المحرك للثورة المطلقة . يقول سوريل" نستطيع ان نتكلم بأستمرار عن الثورة. لكن ان لم يكن هنالك اسطورة مقبولة من قبل الجماهير فلن تستطيع هذه الأنتفاضة ان تكون سببا لحركة ثورية"[76]. ان الأسطورة تمهد الطريق لفهم النشاط وفكر وعاطفة الجماهير وتقوم بأعداد تلك الأنشطة والأفكار الجماهيرية لنضال مصيري . ان الأسطورة ليست وصفاً للأشياء ، بل تعبيرا عن الأرادة"[77]. ان القومية العاطفية التي يقترحها ميشيل عفلق تتخطى كل رؤية منطقية، و تغير من طبيعتها وتتحول الى شكل من اشكال الدين وتكفر اي نقد او دحض او تحليل موضوعي واية مناظرة معرفية ، بعبارة اخرى كل علم يطرق بابها و يحاول ان يقف بوجة الدوغمائية الدينية البعثية. ان القومية الروحية ـ السلفية ـ انها تستند الى هذه القوة الروحية في تبريرها للعنف المفرط.

يقول صدام حسين ان الشرط الدائمي الذي يجب ان يلتزم به الثوري اثناء نضاله هو "الهجوم و التصدي" [78]. يجب على القومية وكما هو في الحب ان توسع" جذوة النضال" لكي تنتصر فكرة البعث . يجب ان يتصف البعث"بطبيعة شرسة ومميتة تجاه من لا يشاركه في الرأي. ليس من المجدي ان يلزم نفسه بالنضال ضد افكار مناوئيه دون ان يهتم بالشخص نفسه لأن الأفكار التي يناضل ضدها لا تمثل نفسها بل تجسد الشخص الذي يحملها لذ يجب ان يقضي عليه لكي يتم القضاء على افكاره"[79].وكان هتلر يقول عندما يصمت العقل يكون القرار الأخير للعنف و يكون الهجوم افضل وسيلة للدفاع"[80]. اي تشابه عجيب! و أية ثقة مطلقة بالنفس! واي ايمان مطلق بالقسوة والعنف.

من هذا المنطلق يجب على القومية الهجومية والقومية التي هي رد فعل ان تستطيع تحريك الأنسان وتعده لكي يكون بأمكانه الأنقضاض في كل الأوقات

على الذين يقفون بوجه تحقيق فردوس القومية. ماهي القوة الأكثر فعالية والتي تستطيع ان تخدر الجماهير؟ بدون شك انها اسطورة القومية العاطفية. ان الشخصية الشيطانية لهذه القومية تخلق ارادة مطلقة جاهزة في "نضالها الدؤوب" وفي كل لحظة ان تقضي على الطرف المقابل بمجرد انه الأخر:"من معنا فهو ضدنا" ، من ليس معنا، يجب ان يؤمن بذلك القانون العظيم الذي اوجد فينا الشعور القومي" ان هذه النظرية العفلقية في عراق البعث، والذي طبقت في زمن صدام حسين : قطع الأذن و اللسان و القتل و الأنفال و حلبجة والسلاح الكيماوي والمقابر الجماعية وتجفيف الأهوار في جنوب العراق.. الخ هي ثمرة هذه الأفكار.

يجب ان لا ننسى يأن هنالك علاقة جدلية بين العقيدة الفلسفية و تصرفات الأنسان . بين النظرية و التطبيق من منهما ترسم حدود الأخر؟ هل ان النظرة الفلسفية تضع الضوابط للتصرفات ام بالعكس؟ هل توجد هنالك من سابقة نظرية تبرر لفعل معين وكما كان الرومان يقولون(بعد هذا يأتي دورهذه ، بمعنى : ان تتابع بعض الظروف تكون عاملا لبعض النتائج؟).

يريد مشيل عفلق ان يفرض رؤية شمولية على مجموعة انسانية. يريد ان يفرض نموذجا لحياة قومية على اساس من النظر بأحترام لكيان لا منطقي و قاسي ونضال وتضحية و بطولة تستند الى الميثولوجيا مشابهة لما كانت عليها القومية بين الحربين العالميتين. والأكثر من ذلك ماهي الخصال الرئيسية لنظرة البعث وعفلق ؟ ان النضال والبطولة والتضحية،

في التطبيق ، هي جزء من المصطلحات البعثية والفاشية التأريخية ، بل انها مشتركة على الصعيد الأدبي. للنضال. بالشكل الذي خطط لها ويطالب بأن تنفذ وان تطبق من قبل فلسفة البعث والأيدولوجيات الشمولية ، يجب ان تشمل كل الكيان البشري وان تصبح الوسيلة والغاية لكل المواطنين الذين يشكلون المجموع القومي"ان النضال بالنسبة لعربي ليس وسيلة فحسب، انما هو غاية في حد ذاته "[81]. ان حماية الثورة والحزب فوق اي اعتبار اخر وان اذلال الخصم وابادته هو من صميم العقيدة واساليب الحزم الثوري [82].وكان لهتلر نفس الرؤية، انه كان يضع الأطار لمنهج القومية الأشتراكية "كتنظيم في النضال" عندما كان يريد تحقيق حلم "المانيا الأبدي"[83]. كان هتلر يريد ان يغير عصر السبات والجمود الى "عصر النضال"[84]. ليس بكافي ان نقتنع بسوء هذه الأوضاع لكي نثبت قناعاتنا "بأن هذه القناعة" قد لاتغرس جذورها ان لم تكن ضمن اطار نضال لخلق ظروف جديدة . النضال كأسمى واجب في الحياة"[85]. وان الفاشية ترى في الحياة وهدف الحياة " كنضال دائمي وابدي"[86]. لكي تستطيع الأمة تحقيق نفسها يجب على العناصر التي تكونها ان تتجاوز بعضها. ولبلوغ هذا الهدف يجب بعث الحركة في كل الأشياء . لأن الحركة هي قوة المحركة للتأريخ . ان القومية هي جذوة هذه الحركة . هذا هو معنى النضال والتصدي والبطولة عند هتلر وموسوليني وعفلق.

يقول ميشيل عفلق بأن الأمة تستطيع ان تحقق نفسها. و بأمكانها ان تبلغ اهدافها عن طريق التصدي. خاصة عندما تأخذ هذا التصدي طابعا جديا و تقف في كل لحظة في مواجه الموت . في مواجهة الموت، تمسح التشاؤم و الخمول والجهالة والأنانية. حينما يواجة الرجل الموت يتحول الى الرجل الحقيقي ، ذالك الرجل الذي هو مستعد بأن يضحي بحياته ، ويشعر بعدم فائدة تلك القوى التي تكبله [87].ان حياة الرجل البعثي تكون اغنى وارادته تكون اوسع واقوى ان كان على استعداد ليتجاوز نفسه ان الأنسان البطل هو ذلك الشخص الذي يكون مفعما بطاقة الحياة والتضحية. وان المواجهة والنضال والبطولة لا تستطيع ان تسمح " بتحقيق اهداف سامية وتطور ذو معنى وثورة جذرية" ان لم تمنح قيمة كبيرة ، اي ان لم تشتمل على التضحية[88]. ان عبادة القومية بالطريقة التي يتحدث عنها البعث وعفلق ، بحاجة الى هذه التضحية. اذا كيف يمكن للأنسان العربي ان يواجه مصيره الصعب وان يقوم بتنفيذ استحقاقات المستقبل ان لم يكن مستعدا للموت من اجل تحقيق هذا الهدف الأخلاقي . كان موسوليني يريد ان يبني المجتمع الفاشي ، اي المجتمع الروحي على اساس التضحية " ان حياة الأنسان تتحقق بنكران الذات ومن خلال التضحية بمصالحه الشخصية وبالموت ايضا يحقق وجودا روحيا كاملا ويمنح قيمة الرجال"[89]. ان تطور المجتمع وازدهاره . لم يكن بأستطاعته ان يضمن السلم و التعايش السلمي بين الشعوب والعلاقات المدنية و المواطنة للمجتمع القومي. بل ان التضحية والنشاط بمستطاعتهما ضمان ذلك فقط . عندما كان هتلر يريد " ان يبني "المانيا الكبرى"، كان يريد بهذا ان يزرع في قلوب الألمان بذور" الوحدة الداخلية والقومية" لأن من وجهة نظره كانت هذه هي القوة الوحيدة القادرة على دفعه لكي ينهي حياته" الذي يحب شعبه ، لايستطيع ان يثبت حبه الا بهذه التضحية التي يفرضها على نفسه"[90]. كان هتلر يعرف عقيدة القومية الأشتراكية على اساس من التضحية والتصدي والبطولة وكان يقول:"ان القومية الأشتراكية ليست عقيدة السعادة والطالع الجيد، بل انها عقيدة العمل والنضال و التضحية"[91]. ان "اسطورة البطولة" التي كانت تتضمن اطلاقا لسياسة وحشية ، كانت لها صدى في اراء جوزيف بيترستيرن والذي يطلق عليها "رموز التضحية"[92]. الأيمان، النضال (المواجهة) التضحية ، البطولة: انها تكون محتوى (العلاج الرباعي) الذي تطالب به القومية الأشتراكية والفاشية والبعث: يجب على كل اعضاء المجتمع القومي ان يساندوها لكي يتمكنوا من جعل الأضطراب العقلي للرسالة القومية المبدأ الأساسي لحياة المجتمع . بهذه الصورة كانوا يربون اعضاء المجتمع على اساس الحزب الشمولي كديانة سياسية، وعلى اساس عبادة الحزب الشمولي. كان البعثيين يقولون"" امنت بالبعث كأله لاشريك له وبالعروبة كدين لا بديل له"، او "ان البعث دين والعروبة مبعثه"[93].

هوامش الفصل الخامس

1-hanne batatu, op. cit., p. 725

2-ibid ., pp.733-734

3- benito mussolini, fascismo, enciclopedia italiana di sciencze, lettere e arti, vol.vix, edizioni istituto g. treccani? Rizzoli e c.milano, 1932, p. 850

4- robert brazillah, notre avant- guerre, librairie plon, paris, 1941, p. 234.

5-ibid., 236

6- valeria fiorani piacentini, le radici della crisi del gofo, dottrina coranica e legittima del potere militare, in, politica internazionale, vol. xviii, 1990, pp. 38-39.

7- كانت الفلنجيون اللبنانيون يعملون تحت الحركة القومية الفلسطينية ، للمزيد انظر

Oriente moderno xvi, 1936, pp. 264-265., oriente moderno, xviii, 1937, p. 183, P 234.

وانظر ايضا:

Roger faligot et remi kauffer, le croissant et la croix gammee, le secrets de l'alliance entre l'islam et la nazisme de hitler a nos jours, editions michel albin, paris, 1990, p. 58.

8-ibid., p. 58.,

وانظر ايضا:

oriente moderne, xiv, 1934, pp. 460-461,xvii ? 1937, pp. 202-204, pp. 3-306.

9- oriente moderne, xxi, n.3, 1941, p. 119.

10- ibid. 119.

11- ibid. 119.

*للمزيد من المعلومات حول هذا التنظيم و تأثير الفاشية التأريخية على المثقفين العرب العراقيين بين الحربين ، انظر : حازم المفتي، العراق بين العهدين ، ياسين الهاشمي وبكر صدقي ، مكتبة النهضة العربية،1990، ص142-162.

وانظر ايضا:

Ettore Rossie, l'istituzione scolastica militare al- futuwwa, in, oriente moderno, apprile 1940, pp. 297-302

12- وانظر ايضا:
Oriente moderno, xvi, 1936, pp. 264-66, xvii, 1937, pp. 300-301. Benito Mussolini, la doctrine fasciste, vallechi editore, firenze , 1935, pp.
13- رينان في:
Jules Monnerot, socioligie de la revolution, mythologies politiques du xxe siecle, marxistes- leninistes et fascistes, la nouvelle strategie revolutionaire fayard, paris, 1960, p. 572
14-Pierre Andre taguieff, le nationalisme des nationalistes. Un probleme pour l'histoire des idees politiques en France, in, theories du nationalisme : nation, nationalite francias (ovrage collectif), editions kime, paris, 1991, p. 94.
15- Raoul Girardet, le nationalisme francais (1870-1914),ed. Du seuil, paris, 1983, p. 17.
16-Ibid. p. 184
17-Jean Jacques chevalier, les grandi opere del pensiero politico, il mulino, bologna, 1968, p. 380.
18- Raoul Girardt, ibid. 186.
19- Ibid. pp. 186-187.
2O-Ibid. p. 188.
21- Ibid. pp. 188-189.
22- J.G. fichte, discours a la nation allemande, alfred costes editeurs, paris, 1923, p. 1,8,9,15.
23- Ibid.p. 7.
24- Ibid p.4.
25- Ibid.p.6.
26- Ibid.p.9.
27- Ibid.p.11.
28- Ibid.pp.10-11
29- Ibid.p.126.
30- Ibid.p.121.
31- Ibid.p.122.
32- Ibid.p.122.
33- Ibid.P.123.
34- ميشيل عفلق في سبيل البعث،ص،114,
35- نفس المصدر ص 114.
36- نفس المصدر ص 114.

37- نفس المصدر ص 114-115.
38- نفس المصدر ص 115.
39- نفس المصدر ص 115.
40- نفس المصدر ص 115.
41- نفس المصدر ص 115-116 .
42- نفس المصدر ص 116.
43- Fiche.op.cit.p128.
44-Ernest Renan,Qu'est-ce qu'une nation ? Raoul Girardet,op.cit.p.65.
45- ميشيل عفلق نفس المصدر ،ص،121.
46- نفس المصدر ص 116.
47-Pierre Andre Taguieff,op.cit.p.89.
48- Georges Vacher Lapouge,in, Pierre Andre Taguieff,ibid.p.92.
49- Ibid.p.87.
50- Ibid.p.88.
51- Ibid.p.93.
52- Ibid.p.90.
53- ميشيا عفلق نفس المصدر ص 111-112.
54-Fiche ,op.cit.p.22.
55- Ibid.p.119.
56- Ibid.p.124.
57- Ibid.p.125.
58- Ibid.p.130.
59- من وجهة نظر عفلق ان قدسية النضال تنبع من الأيمان الذي يدفع بالفرد الى اطاعة "الفكر القومي انظر، نفس المصدر ص 11.
60- Benito Mussolini,op.cit.p.57.
انظر ايضا: ص، 27.
61- Adolf Hitler, Mein kampf,op.cit.p.377.
62- Ibid.p.378.
63- Ibid.p.379.
64- Ibid.p.379.
65- Emmanuel kant , Antropoligie du point de vue pragmatidue,J Vrin,1964.
66- Martin Brizat, L'Etat hitlerien,I'evolution des structures du troisieme Reich, Fayard, 1985,p.48.
67- Ibid.p.48.

68- Ibid.p.423,p.453,p.48.
69- Otto Strasser, in ,Wilhelm Reich, La psychologie de masse du fascisme, Payot,Paris ,1972,p.30.
70- Adolf hitler ,in,Ibid,p.63.
71- Emile Durkheim , De la division du travail , Puf, Paris , 1986,p.47.
72- Martin Brizat , op .cit.,p.49.
73- Geroges Sorel , Reflexion sur la violence, Libraire Marcel Reiere,Paris, 1946,p.47.

للمزيد من امعلومات حول دور الأسطورة وتأثيرها على المجتمع ، انظر : ارنست كاسبر ، الدولة والأسطورة ، ترجمة احمد حمدي محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة، 1975. وانظر ايضا:
Mircea Eliad, Aspects du mythe, Gallimard , Paris ,1963.
74- Ibid.p.32.
75- Raoul Girardet, Mythes et mythilogies politiques,Ed.Du Seuil, Paris, 1986,P.13.
76- Georges Sorel,op.cit.,p.45.
77- Ibid.p.46.
78- saddam Husayn,in Samir al-Khalil ,op.cit,p.113.
79- Hanna Batatu, op.cit.,p.488.
80- Adolf Hitler ,op .cit.,p.488.
81- ميشيل عفلق في سبيل البعث ص62.
82- هاني الفكيكي ، اوكار الهزيمة ، تجربتي في حزب البعث العراقي ، مؤسسة المنار، الطبعة الأولى لندن ص 1993، ص 276.
83- Edmond Vermeil ,Hitler et le christianisme, Gallimard, Paris , 1939.p.39.
84- Adolf Hitler , op .cit.,p.396.,p.488.
85- Ibid.p.532.
86- Benito Mussolini, La doctrine du facisme, op.cit., pp. 56057.
87- Michel Aflak,in , Parti bath arabe et socialiste(choix de textes de la pensee du fondateur du parti bath),Bol Ind., 'La Albarreja',Madrid, 1977,P.92.
88- Michel Aflak ,in, Samir al- Khalil, op .cit.,p.264.
89- Benito Mussolini ,op.cit.,p.47.
90- Adolf Hitler, op.cit.,p.425

هتلر في:
91- Joseph Peter stern, Hitler, le Huhrer et le peuple,Flammarion, Paris, 1984,p.61.
92- Joseph Peter Stern, Ibid.p.60.
93- حسن السعيد، نواطير الغرب، صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي 1948-1968، مؤسسة الوحدة للدراسات ، بيروت، 1992، ص، 37.

المحتويات

كلمة المترجم
لمحة
المقدمة
الفصل الأول : ميشيل عفلق و البعث العفلقي العراقي
عفلق و حزب البعث
حزب البعث العربي في العراق
النظام البعثي الأول
النظام البعثي الثاني
الجبهة الوطنية والقومية التقدمية
من الحكم الثنائي الى الحكم الفردي
هوامش الفصل الأول
الفصل الثاني الية عمل نظام البعث العراقي
تنظيم البعث و البوليس السياسي
الجيش العراقي
ميليشيا البعث: الجيش الشعبي
بعض الأجهزة شبه العسكرية الأخرى
عسكرة الشباب و تربية الأطفال
هوامش الفصل الثاني
الفصل الثالث: ايدولوجيا البعث
ماهو البعث
الأهداف الثلاثة للبعث
الوحدة
الحرية
الأشتراكية
ثورة البعث
الأوكسيمورن البعثي: القومي الأسلامي ام الأسلامي القومي
هوامش الفصل الثالث
الفصل الرابع
البعث والفاشية التأريخية
البعث والقومية الأشتراكية
الدولة القومية للبعث و القومية الأشتراكية
نظرية الدولة البعثية
البعث ونظرية النخبة
حكاية اللوياثان البعثي
الفرد والأمة ومعارضة "الصديق ـ العدو"
هوامش الفصل الرابع
الفصل الخامس: افكار عفلق والقومية الأوروبية وعصر الفاشية

افكار عفلق وعصر الفاشية
عفلق والقومية الغربية
القومية والحل الرباعي العفلقي
هوامش الفصل الخامس
المراجع باللغات الأنكليزية والفرنسية و الأيطالية
مراجع حول الأشتراكية القومية و الفاشية
المراجع بالغة العربية